ISSN 0258 - 1094

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

السنة السابعة والعشرون

العدد ٦٥

مجلة

مجمع اللغة العربية الأردني

(مجلة متخصصة محكمة)

تصدر مرتين في السنة

* البحوث التي ترسل إلى المجلة تكون خاصة بها ، ولم يسبق أن نشرت في مكان آخر، وأن تتوافر فيها شرائط البحث العلمي .
* يرسل كل بحث إلى ثلاثة محكمين مختصين ، وفي ضوء تقاريرهم تقرر هيئة التحرير نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره .
* البحوث غير المجازة لا ترد إلى أصحابها .
* يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية .
* تقبل للنشر مراجعات الكتب إذا كانت قيمة .
* يجوز للباحث أن ينشر بحثه في مكان آخر ، بعد نشره في مجلة المجمع ، شريطة أن يشير إلى ذلك .

الاشتراكات

في الأردن	خمسة دنانير سنوياً
في البلاد العربية والأجنبية	اثنا عشر دولاراً سنوياً أو ما يعادلها

تضاف أجرة البريد الجوي لمن يشاء ذلك من المشتركين

المملكة الأردنية الهاشمية – عمان – ص.ب ١٢٢٦٨ هاتف ٥٢٤٣٥٠٠ – ناسوخ (فاكس) ٥٣٥٧٠٦٤ – ...

بسم الله الرحمن الرحیم

ISSN 0258 - 1094

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد ٦٥
جمادى الأولى- شوال ١٤٢٤هـ

السنة السابعة والعشرون
تموز- كانون الأول ٢٠٠٣

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

ص.ب ١٣٢٦٨ عمان- ١١٩٤٢- الأردن

الناسوخ (الفاكس) ٥٣٥٧٠٦٤

البريد الإلكتروني: Jaa@Ju.edu.jo

موقع المجمع على شبكة (الانترنت) www.majma.org.jo

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٠٠٣/٤/٧٦٣

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: ٢٠٠٣/٧٢٥/د

هيئة تحرير المجلة

الفهرس

البحوث

أصناف التراجمة في ديوان الإنشاء المملوكي

أ.د. سمير الدروبـــــــي

جامعة مؤتة– قسم اللغة العربية

لقـــد خـــدم حـــركة الـــترجمة والتعريـــب في ديوان الإنشاء[1] في العصر المملوكـــي الممـــتد قرابة ثلاثمئة عام تقريباً عدد كبير من التراجمة من مختلف الطوائف والأجناس، ويمكن تصنيفهم إلى ما يأتي:

- **كتاب ديوان الإنشاء:**

أدى ديـــوان الإنشـــاء دوراً كبـــيراً وخطيراً في إدارة الدولة المملوكية وتسيير أمورها، وامتدت صلاحيات صاحبه المسمّى بكاتب السر أو صاحب الدواوين الشريفة أو كاتم السر إلى أكثر الجوانب أهمية في تصريف شؤون الحكم سواء أكانت مدنية أم دينية أم سياسية أم عسكرية أم اقتصادية.

فديـــوان الإنشـــاء ولا سيما كاتب سره مسؤول عن التعرف على أخبار الممـــالك المختلفة وعرضها على السلطان، وهو القائم بكتابة التعيينات لكبار موظفـــي الدولة من مدنيين وعسكريين، وهو الراسم لحدود صلاحياتهم في وصاياه التي ترفق بتقاليدهم أو تواقيعهم أو مناشيرهم.

وفـــوق ذلـــك، فإنه كان مسؤولاً عن نشاط جهاز البريد وتنظيمه تنظيماً دقيقاً براً وبحراً وجواً، وكذلك عرض ما يحصل عليه البريدية من أخبار[2]، أو يـــأتون بـــه من رسائل على السلطان، بل إن صلاحياته تجاوزت الإدارة الداخلـــية إلـــى تنظـــيم العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأخرى عن طريق

---

١. انظر: الدروبي، "حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء المملوكي"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ع ٦٢، ٢٠٠٢م، ص ١١-٧٣.

٢ . انظر: الشيباني، رسالة رصف الفريد في وصف البريد: ٦-٧ (مقدمة المحقق: سمير الدروبي).

مخاطباتهم وتلقي رسائلهم، واستقبال سفرائهم ، وتنظيم إقامتهم ومقابلتهم للسلطان[1] .

وبناء على ما ذكر من مهام الديوان وواجباته، فإن صاحبه يحتاج إلى عدد كبير من الكتاب المضطلعين بالعربية وغيرها من اللغات السائدة في ذلك الوقت، ولذا فإننا نجد في مصادر ذلك العصر ما يشير بوضوح إلى أولئك الكتاب التراجمة الذين يحسنون العربية وغيرها من اللغات.

ولو وقفنا على العصر الأيوبي الذي كان العصر المملوكي امتداداً له لوجدنا كاتباً كبيراً يلي القاضي الفاضل أهمية في دولة صلاح الدين، وهو العماد الأصفهاني(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) الذي ذكر لنا في ترجمته أنه كان ينشئ الكتب بالعجمية[2] .

وقبيل أفول نجم الإمارات الأيوبية وبداية الزحف المغولي إلى بلاد الشام نجد أن أمراء الأيوبيين بدمشق ومصر قد استخدموا في ديوان الإنشاء واحداً من الكتاب الأعاجم وهو المؤيد بن الموفق بن محمد الدفترخوان الحنفي الذي قدم إلى دمشق في أيام الناصر صلاح الدين داوود (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، ثم باشر العمل في ديوان الإنشاء بمصر أيام نجم الدين أيوب الذي حكم بين سنتي ٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٣٩-١٢٤٩م، وكان المؤيد:"يكتب خطاً حسناً، وينظم وينثر بالعجمي والعربي، وكان قدومه في أيام الناصر صاحب الشام، فاستخدم في ديوان الإنشاء لأجل كتب التتار فإنها كانت في تلك الأيام ترد بعضها عجمي، فاستخدم لتعريبها وكتابة الأجوبة عنها"[3].

أما في العصر المملوكي الذي كان أكثر إيغالاً في العجمة؛ لغلبة العناصر المملوكية من تركية وجركسية ورومية ومغولية وفرنجية على الحكم، فإن الحاجة إلى المترجمين كانت أكثر إلحاحاً،وقد وضح لنا

---

١ . انظر: العمري: التعريف بالمصطلح الشريف:١٥٥-١٥٨؛القلقشندي، صبح الأعشى:٩٢/١١-٩٣.

٢ . الصفدي، الوافي بالوفيات:١٣٣/١.

٣ .الصفدي، الوافي بالوفيات:ج٢٠، ورقة١٦٠ظ-١٦١و.

الحكم، فإن الحاجة إلى المترجمين كانت أكثر إلحاحاً،وقد وضح لنا القلقشندي- مؤرخ ديوان الإنشاء وكاتب أضخم وأجمع دستور له- ذلك قائلاً: "فإن الشخص يميل إلى من يخاطبه بلسانه لا سيما إذا كان من غير جنسه، كما تميل نفوس ملوك الديار المصرية وأمرائها وجندها لمن يتكلم بالتركية: من العلماء والكتاب ومن في معناهم على ما هو معلوم مشاهد"(١).

وقول القلقشندي الآنف الذكر يفسر لنا كثرة التراجمة في الديوان من ناحية، وإقبال بعض كتاب السر على تعلم اللغة التركية أو غيرها من اللغات لما ذلك من أهمية في إدارة شؤون الدولة، وخير مثال على ذلك علاء الدين علي بن أحمد بن الأثير(ت٧٣٠/١٣٢٩م) وهو من أبناء أشهر العائلات الكتابية في العصر المملوكي، وكان علاء الدين مقرباً من الناصر محمد بن قلاوون حيث عهد له بصحابة ديوان الإنشاء بالديار المصرية سنة ٧١١هـ/١٣١١م، واستمر في منصبه حتى وفاته، وبلغ من المكانة والعظمة في الدولة المملوكية مبلغاً كبيراً حتى أصبح يقلد أمراء المماليك في أثناء أدائه لعمله في الديوان، وكان كما صوره الصفدي: " يركب بستة عشر مملوكاً من الأتراك، فيهم من هو بعشرة آلاف درهم وأكثر، وكان أخيرا يقف هؤلاء المماليك في خدمته بالديوان سماطين، ولا يتكلم إلا بالتركي، ومماليكه يُعرّبون كلامه للناس..... وأصّل في الديوان كلماً كثيرة"(٢) .

ولعل في قول الصفدي السالف" وأصّل في الديوان كلماً كثيرة" ما يدل على أن علاء الدين بن الأثير قد أدخل كثيراً من المصطلحات والألفاظ والرسوم السائدة في دواوين المغول والترك والفرس، في مكاتبات ديوان الإنشاء المملوكي وبخاصة إذا عرفنا أنه كان يقرّب الأدباء والحكماء الوافدين على دولة المماليك من بلاد العجم، مثل عبد اللطيف العجمي (ت ٧٣١هـ/١٣٣٠م)الذي وصف بالفصاحة بالتركي والعجمي(٣).

ومن كتاب السر المجيدين للغة التركية أبو بكر بن محمد بن محمد المعروف بابن مزهر(ت٨٩٣هـ/١٤٨٧م) الذي وصفه لنا عصريه السخاوي في أكثر من مصدر بأنه قد " جوّد اللسان الذي لا يستغنى عنه في مخاطبة الأتراك"(٤) .

---

١ . القلقشندي، صبح الأعشى:١٦٦/١-١٦٧.

٢ . الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر:١٥٦/٢-١٥٧.

٣. انظر : المصدر السابق:١١٧/٢-١١٨.

٤ . السخاوي، الذيل على رفع الإصر: ٤٧٧؛الضوء اللامع:٨٨/١١.

والعـــبارة السابقة موحية لنا بأنه لم يقتصر على التعلم فحسب، بل وصف بالتجويد للغة التركية والبراعة فيها، الأمر الذي يفسر لنا الألقاب التي أطلقت علـــى كتاب السر مثل" لســـان الـــممالك" و"لسان مـــلوك الأمصار"، والمعنى كما فسره القلقشندي بأنه " يتكلم بلسان ملوك الممالك"[1] .

ويعـــدّ شـــيرزاد بـــن ممدود بن شيرزاد بن علي شرف الدين الرومي (ت٧٠٧هـــ/١٣٠٧م) مثالاً على التراجمة والكتاب الذين عملوا في دواوين الإنشاء العربية وغير العربية، فقد كان والده كما ذكر ابن حجر من بعلبك، ثـــم تحـــول إلى دمشق، وسمع بها من ابن عبد الدايم وحدث عنه: "ثم سافر إلـــى الروم صحبة الطواشي صواب الأوحدي، فأقام نحو عشر سنين وولي بهـــا الإنشـــاء، وترســـل إلى الملوك، ثم توجه في البحر إلى مصر، وتقرر تـــرجماناً للدولة للكتب التي تردّ من بلاد العجم في سلطنة قطز إلى أن مات في ثاني المحرم سنة٧٠٧/١٣٠٧ بالقاهرة"[2] .

فالـــنص الســـالف يكشـــف لنا عن مصدر تعلم شيرزاد بن ممدود للغة الرومـــية(التركـــية)، وإن تعيينـــه ترجماناً في الديوان بني على خبرة سابقة تمثلت في خدمته في أكثر من ديوان من دواوين الإنشاء في إمارات الأتراك بـــبلاد الأناضول التي كانت تعرف آنذاك ببلاد الروم أو البلاد الرومية، مما يجعـــل مـــن هذا الترجمان الكاتب خبيراً بأحوال تلك الإمارات حين الحاجة إلى مخاطبتهم من ديوان الإنشاء المملوكي.

وتمدنـــا المصادر بطائفة من أسماء الكتاب الذين عرفوا أكثر من لغة، وتكلمـــوا بعدة ألسنة كمحمد بن شريف بن يوسف الزرعي المولود بدمشق، والمـــتوفى في سنة (٧١١هـــ/١٣١١م)، الذي قال عنه المقريزي بأنه:" كان يكتـــب في التوقيع، وله معرفة بالإنشاء...ويعرف عدة لغات"[3] ، ووصف بأنـــه" تعـــانى الخط المنسوب، وسافر إلى بعلبك، وتعلم من ياقوت وغيره،

---

١ . القلقشندي، صبح الأعشى: ٦٨/٦.

٢ . ابن حجر، الدرر الكامنة:٢٩٤/٢-٢٩٥؛ وانظر: ابن حبيب، تذكرة النبيه:٢٨٤/١.

٣ . المقريزي، السلوك، ج٢،ص١١٣؛ وانظر: الصفدي، أعيان العصر:٢١/٣.

وكـــان تـــام الشكل حسن البزّة، متأنقاً في أموره، يتكلم بعدة ألسن، واتصل بخدمـــة بيـــبرس الجاشنكير قبل السلطة، ثم أثابه الجاشنكير بإدخاله ديوان الإنشاء"[1] .

ويـــبدو أن دولـــة المماليك كانت جاذبة للكتاب والعلماء والحكماء، ومن هـــؤلاء الوافديـــن نظام الدين يحيى بن عبد الرحمن (ت٧٦١هـ/١٣٥٩م) وكان كاتباً مجوداً وموسيقاراً بارعاً، قدم إلى دولة المماليك، وكان مقرباً من أمـــرائهم، ثم طلب العودة إلى بغداد، حيث قام بكتابة مراسلات حكام بغداد إلى المماليك، يقول الصفدي :" وكان (كذا) الكتب ترد عن حكام بغداد إلى ديوان الإنشاء بخطه، وكان والده النور حكيماً، يطب ملوك المغل وغيرهم، وكـــان نظـــام الدين يكتب المنسوب، ويضع الكوفي والمغلي على أحسن ما يكون"[2].

ومـــن الـــتراجمة الذيـــن أســـندت إلـــيهم كتابة السر في دولة المماليك الجراكســـة بـــدر الدين محمود بن عبدالله الكُلستاني، وقد عُرف بالكُلستاني لكـــثرة قـــراءته لكتاب الشاعر العجمي السعدي المسمى بكُلستان التي تعني بالتركـــي حديقة الورد، وقد قدم من بغداد إلى دمشق، واتصل بنائبها الطنبغا الجوبانـــي، ثم وفد على مصر فَولي تدريس الشيخونية والصرغتمشية، وقد نُعت بأنه:" يتكلم بالعربي والفارسي والتركي وهو لسانه"[3] .

أمـــا ســـبب تعيينه كاتباً للسر فإنه بينما كان السلطان المملوكي متوجهاً إلـــى حلب في سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م للقاء اللنك(تمرلنك أو تيمور لنك)ورد علـــيه "كـــتاب تمرلنك بعبارة تركية على منزلة الصالحية، فطلب من يكتب جوابـــه بالتركية، وذلك لعجز بدر الدين بن فضل الله كاتب السر الشريف، فقـــيل له عن بدر الدين محمود السرامي"[4] الذي قرأ الكتاب، وأجاد الإجابة

---

١. الصفدي، أعيان العصر:٣/٢١-٢٢.

٢. الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر: ٣/٣٢١-٣٢٢.

٣. الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان:٢/٢١.

٤. المصدر السابق:٢/٢٣-٢٤.

علــيه، فأمــر السلطان برقوق أن يكون بصحبة الدوادار قَلَمْطاي، ثم توفى كاتب السر بدر الدين بن فضل الله العمري في السنة نفسها، فعين الكلستاني كاتباً للسر في الدولة المملوكية، واستمر الكلستاني كاتباً للسر حتى وفاته في سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م [١].

ويُعــد إبراهيم بن عبد الرازق بن غراب القبطي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) مــن أشهر التراجمة في عصر المماليك الجراكسة، وأصله من أبناء الكتبة القــبط بالاســكندرية ، وجدّه غراب هو أول من أسلم من آبائه، واتهم بأنه ممــن دلّ الفــرنج على عورات المسلمين بالإسكندرية عندما قاموا بغارتهم المشــهورة عليها في سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م. وقد تعلّم إبراهيم "لسان الترك حتى حذق فيه"، وتولى عدة وظائف هامة في الدولة المملوكية أهمها: وظيفة ناظــر الخاص التي يقوم صاحبها في التحدث فيما هو خاص بمال السلطان ووظيفــته ناظــر الجيش، وكاتب السر، إلا أنه ترفّع عن وظيفه كاتب السر لمكانــته عند السلطان المملوكي الناصر ناصر الدين الدين فرج بن برقوق الذى حكم بن سنتي(٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٨-١٤٠٥م)[٢].

أما أكثر التراجمة جولاناً في الآفاق، وطوافاً في الأرض، فهو أحمد بن محمــد المعروف بابن عربشاه(ت٨٥٤هـ/١٤٥٠م) الذي اقتاده تيمور لنك أسيراً من دمشق وهو فتى في الثالثة عشرة من عمره تقريباً، وذلك في سنة (٨٠٣هـ/١٤٠٠م)، فتعلم الفارسية والتركية وبرع فيهما، ودخل بلاد الخطا طلــباً للعلــم، وهو يفيض لنا في سيرته الذاتية في إجازته لتلميذه يوسف بن تغــري بردي قائلاً:" واستفدت اللسان الفارسي والخط الموغولي وأتقنتهما، واجتمعــت فــي بلاد المغل بالشيخ برهان الدين الأنْدُكَاني والقاضي جلال الديــن السَّــيرامي، وأخــذت عنهما، وقرأت النحو على مولانا حاجي تلميذ السيد الشريف.

---

١ . انظر: ابن حجر، إنباء الغُمر بأنباء العمر:٨٨/٢-٩٠؛ السخاوي، الضوء اللامع:١٣٦/١٠-١٣٧؛ ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة :١٧٥/١٤.

٢. انظر: المقريزي، درر العقود الفريدة:١٠١/١-١١٤؛السخاوي، الضوء اللامع:٦٥/١-٦٧.

ثم توجهنا إلى خوارزم فأخذت عن مولانا نور الله. ومولانا أحمد الواعظ السرائي بن شمس الأئمة، وكان يقال له ملك الكلام فارسياً وتركياً وعربياً، ثم توجهنا إلى بلاد الدشت وسراي ...واجتمعت في قيريم أيضاً بمولانا محمود البلغاري، ومولانا محمد اللب ابي، وعبد المجيد الشاعر الأديب صاحب قصة يوسف المسماة بمؤنس العشاق بالتركي وهي من أطراف ما صنف.

ثم قطعت بحر الروم إلى مملكة ابن عثمان فأقمت بها نحواً من عشر سنين، فترجمت للملك غياث الدين أبي الفتح محمد بن أبي يزيد بن مراد بن أدرخان بن عثمان رحمه الله تعالى كتاب " جامع الحكايات ولامع الروايات" من الفارسي إلى التركي في نحو ست مجلدات، وتفسير الإمام أبي الليث السمرقندي وتعبير القادري بالتركي نظماً، ثم باشرت عنده الإنشاء، فكتبت عنه إلى ملوك الأطراف عربياً وفارسياً وتركياً"[1]

ويجعل ابن عربشاه وفاة السلطان ابن عثمان حدا فاصلاً لإقامته في بلاد الترك التي أقفل عنها متوجهاً إلى وطنه القديم الشام، فدخل حلب في سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م، ثم تحول عنها بعد أربعة أشهر إلى دمشق ثم أدى الحج، وسافر في سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م إلى القاهرة واتصل بالسلطان جقمق، واتخذ من عاصمة المماليك دار إقامة عاكفاً على الترجمة والتأليف حتى وافته المنية في سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م[2].

ومما يدل على أهمية معرفة اللغات لكاتب السر أنه نعت بـ"لسان ملوك الأمصار" و"لسان الممالك" أي أنه يتكلم بلسان ملوك الممالك كما يقول القلقشندي[3]، ويعضد ذلك أن واحداً من كتاب السر بالقاهرة ثم دمشق وهو شهاب الدين أحمد بن يحيي العمري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) قد أبدى ملاحظات لغوية عن اللغتين التركية والمغولية ربما دلت على معرفته بهاتين اللغتين[4].

---

١ . ابن تغري بردي، المنهل الصافي: ٢/١٤١-١٤٣.

٢ . انظر: المصدر السابق: ٢/١٤١-١٤٤؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: القسم السادس (١٠-١١)،ص١٠٤.

٣ . القلقشندي، صبح الأعشى:٦/٦٨.

٤ . انظر: العمري، مسالك الأبصار:٣/ ٥٧، ٨١، ٩٧، ٩٩.

وعلاوة على ذلك فإن معرفة اللغات الأعجمية لم تقتصر على كتاب ديوان الإنشاء، بل نجد أن بعضاً من الكَتبة في الدواوين الأخرى حذقوا اللغة التركية، فسليمان بن إبراهيم(ت٧٤٤هـ/١٣٤٣م) وصف بأنه:" يتكلم فصيحاً باللغة التركية"[١].

- **المهمندارية:**

وهم" جمع مَهمندار، وهو فارسي معرب وأصله مَهمن ومعناه الضيف، والثاني دار ومعناه ممسك الضيف"[٢] كما يقول الخالدي العمري، أما السُبكي فقد عرّف المَهْمَندار بأنه:"اسم لمن يقوم بأمور قُصّاد الملوك ورسلهم"[٣]، وأما القلقشندي فإنه جعل المهمندارية من وظائف أرباب السيوف، ويقوم صاحب هذه الوظيفة بتلقي الرسل الواردين وأمراء العُربان وغيرهم[٤].

ويكون المهمندار تابعاً لكاتم السر أي صاحب ديوان الإنشاء، ويشترط فيه أن يكون: "عاقلاً ذكياً يقظاً فطناً أميناً ناهضاً فصيحاً في اللغتين"[٥].

ويبدو لنا أن مهمة المهمندار ومساعديه كانت على درجة كبيرة من الأهمية؛ لأنه أول رجال الدولة الذين يستقبلون القُصاد والرسل ويقومون بأمر ضيافتهم، ويتكلمون معهم بألسنتهم ولغاتهم، وينزلونهم في أماكن إقامتهم اللائقة بهم، ومن ثَمّ فإن المهمندار يترك الانطباعات الأولية في نفوس الرسل عن الدولة المضيفة لهم، ولذلك فإن السُبكي في كتابه "معيد النعم" الذي يُعد من كتب الإصلاح السياسي والإداري في الدولة المملوكية اشترط على المهمندار:" أن يعتمد مصلحة الإسلام، ويُرهب القُصاد، ويوهمهم قوة المسلمين وشدة بأسهم، وعظيم

---

١. ابن تغري بردي، المنهل الصافي:٥/١٧.

٢. الخالدي العمري، المقصد الرفيع المنشا: ورقة ١٠٣و.

٣ . السُبكي، معيد النعم ومبيد النقم:٣١.

٤ . القلقشندي، صبح الأعشى:٤/٢٢.

٥ . الخالدي العمري، المقصد الرفيع المنشا: ورقة ١٠٣و.

ســطوتهم، واتفــاق كلمــتهم، وقــيامهم في حَوزة الدين وذَبّهم عن حريم الملة الإســلامية وحفظ النظام، وأن يُنهي لُمور القُصاد إلى الملك بمقدار ما يكون فيه المصلحة، ورُبّ من يتعين عليه المبادرة إلى إكرامه، ومن يتعين عليه الكف عن إعظامه، بحسب ما تقتضيه الحال[١].

ومــن مهــام المهمــندار أن يتعرف على سبب مجيء الرسل وقصدهم من ســفاراتهم، ويقوم بإبلاغ كاتب السر بذلك، ثم يقوم بإحضارهم بين يدي السلطان للاطــلاع على رسالتهم وغرض قدومهم[٢]، ثم هو ملزم" بعدم إقامتهم بعد تناول أجوبتهم اليوم الواحد"[٣].

ويفهم مما أوردته المصادر بشأن المِهمندار ومساعديه بأنهم يقومون بالترجمة الشفوية التي يقصد منها معرفة غايات القُصاد من زيارتهم لبلاط الدولة المملوكية، ثم تنظيم مراسيم إقامتهم واستقبالهم وسفرهم.

- **أمراء المماليك:**

يرجع المماليك في نشأة دولتهم إلى أيام الأيوبيين، وعلى وجه الخصوص أيام الصالح نجم الدين أيوب الذي حكم من (٦٣٧-٦٤٧هـ/١٢٣٩-١٢٤٩م)، فقد أكثر نجــم الديــن مــن استجلاب المماليك الأتراك وكون منهم فرقة في جيشه تعرف بالممالــيك البحرية[٤] الذين كانوا نواة الجيش المملوكي فيما بعد، ومعظم المماليك الأتــراك مــن قبــيلة القَبجاق وهي إحدى القبائل التركية التي تسكن منطقة آسيا الوسطى حول بحر قزوين[٥].

---

١. السبكي، معيد النعم ومبيد النقم: ٣١-٣٢.

٢. انظر: . . De. Jean. Thenaud , Le Voyage D'Outremer (Paris, 1884), P. 180, 190-191

٣. الخالدي العمري، المقصد الرفيع المنشأ: ١٠٣ظ.

٤. ابن واصل، مفرج الكروب: ٥/٢٧٤-٢٧٥، ٢٧٨.

٥. انظر: العيني، السيف المهند: ١٩-٢٠؛ عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك: ١/١٠١.

وعـــلاوة على الجنس التركي فإن الجركس[1]هم العنصر الثاني في الجيش المملوكي إضافة إلى ما ضم إلى هذا الجيش من تتار[2]، وروم جاءوا من أصول تركية وأوروبية[3].

وبـــناء علـــى ما تقدم فإن هؤلاء المماليك ينتمون إلى جنسيات متعددة ذات لغات مختلفة، نقلوها معهم إلى موطنهم الجديد الذي تم تعريبهم فيه.

وتمدنـــا كتب تراجم العصر المملوكي وتواريخه وحولياته بأسماء عدد كبير مـــن المماليك ثنائيي اللغة، ولا غرو في ذلك فإن بعضهم جاء إلى دولة المماليك طلباً للحماية، وفراراً من تسلط التتار ووحشيتهم في التعامل مع الناس[4].

فأيـــاز بن عبدالله الصالحي(ت٦٨٧هـ/١٢٨٨م)أحد حجاب الظاهر بيبرس كـــان واحداً من التراجمة الذين يثق بهم بيبرس ويعتمد عليهم، وقد أرسله بيبرس ســـفيراً إلـــى أبغا بن هولاكو في سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م، وذكر ابن الفرات في ترجمـــته:" وترســـل عنه إلى أبغا ملك التتار وإلى غيره... وكانت الملوك تعتمد عليه في المهمات الجليلة"[5].

ولا ويمكـــن أن يفهم من عبارة: "وترسل عنه" أنه كتب إليه بالعربية؛ لأن كبار الكتاب العرب في ديوان الإنشاء كانوا يضطلعون بذلك.

ويمكـــن الاســـتدلال مـــن تـــرجمة أقطاي فارس الدين الصالحي المعروف بالمســـتعرب (ت٦٧٢هـــ/١٢٧٣م)، وهـــو من كبار الأمراء في دولة الظاهر بيـــبرس، بأنـــه كـــان عارفـــاً باللسان الإفرنجي وذلك لقيامه بمهمة السفارة بين

---

١. سعيد عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك:٢٢٣.
٢. ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر:١٠٥-١٠٦، ١٣٧، ١٣٨.
٣. ابن إياس، بدائع الزهور:٢- ٣٠٤، ٣٦٤، ٤١٦.
٤. انظر: ابن حبيب، تذكرة النبيه :٨٥/١؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار:٢٢/٢.
٥. ابن الفرات، تاريخ:٧٤:٨؛ وانظر: ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر:٣٤.

السلطان المنصور علي(حكم من سنة ٦٥٥-٦٥٧هـ/١٢٥٧-١٢٥٩م) وبين الفرنج وذلك عندما رأى منه المعز:"ذكاءً وفطنة ورأياً سديداً، فندبه إلى مواصلة الفرنج فسعى [بينهم] وبين الملك المعز إلى أن أصلح له الفرنج، وأطلق جماعة من أسر الفرنج بسفارته، وكذلك من المسلمين"[١].

ومن هؤلاء الذين جمعوا بين العربية والمغولية قبجق المنصوري الذي كان نائباً للشام، وهو من الفرسان المعروفين بالبأس والشدة، حكى عنه صلاح الدين الصفدي قائلاً: " ويجيد الكلام والخط باللغة المغولية، وحكى لوالدي عن نفسه أنه كان كاتباً لحسن تقو أحد نوينات المغول، وأن أباه كان رأساً من رؤوس الكتابة بالمغولية، مجيداً في الترسل فيها، وقال له: مثل ما عندكم كلام جيد وكلام ردئ هكذا عندنا"[٢].

ومن الأمراء التراجمة أوتامش الأشرفي[٣](ت ٧٣٧هـ/١٣٣٦م)، ويُذكر في بعض المصادر بلفظة أيتمش[٤]، وكان في الأصل مملوكاً للسلطان الأشراف صلاح خليل بن قلاوون (ت٦٩٣هـ/١٢٩٣م)، ثم ولاه الملك الناصر محمد بن قلاوون (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م) نيابة الكرك، وكان مقربا من الناصر الذي أرسله غير مرة سفيراً للقان بوسعيد ملك التتار الإلخانيين في العراق وفارس، ووصف بأنه: " يعرف بالمغلي لساناً وكتابه، ويدرب آداب المغل، ويحكم في بيت السلطان بالياسة واليسق الذي قرره جنكزخان، ويطالعها ويراجعها، ويعرف بيوت المغل وأنسابهم وأصولهم، ويستحضر تواريخهم ووقائعهم، وكان إذا جاء من تلك البلاد كتاب إلى السلطان بالمغلي يكتب هو الجواب عنه"[٥].

وفي مقاله كاشفة للمستشريق ليتل Little يتبين لنا الدور الدبلوماسي الكبير الذي أداه هذا الترجمان في توطيد العلاقات، وحل الخلافات القائمة بين السلطان

---

١. ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر:١١٢-١١٣.
٢. الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٧٨/٢٤.
٣. الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر:٢٠٩/١.
٤. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة:٤٥٣/١.
٥. الصفدي ، أعيان العصر وأعوان النصر:٢٠٩/١.

الناصـــر محمد، وبين ملك الإلخانيين بوسعيد، وذلك في ثلاث رحلات سفارية قام بها في السنوات: ٧٢٢هـ/١٣٢٢م، ٧٢٦هـ/١٣٢٥م، ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م، وذلك لما تمتع به من معرفة تامة باللغة المغولية، وبما له من مؤهلات شخصية مكّنته من أداء هذه السفارات الناجحة[١].

ومـــن الـــتراجمة الأمراء: الأمير ظهر بغا أو ظهير بغا المغلي أو طاير بغا (ت٧٣٨هـــ/١٣٣٧م) وكـــان بُغـــا قـــد حضـــر إلـــى دولـــة المماليك في سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، في عهد الناصرمحمد بن قلاوون الذي قرّب بغا وجعله أميراً، وكان يقرأ على السلطان كتب بوسعيد التي ترد بالمغلي ويكتب الأجوبة، وكان يفد علـــيه من أقاربه على مدى الأيام من عشرة إلى مائة فيبرهم، ويصلهم، فمنهم من يقيم بالقاهرة، ومنهم من يرجع[٢].

ويـــبدو من المعلومات المتوافرة لدينا أن بعضاً من أمراء المماليك كان يعرف أكثر من لسان، فبلبان الرومي كان يترسل عن السلطان إلى أكثر من دولة[٣].

والأمـــير منكلي بغا الصلاحي الحاجب كان يكتب خطاً حسناً ويتكلم بالعجمية والتركـــية الخالصة[٤]، وأياز بن عبدالله كا ن يترسل عن السلطان إلى ملوك التتار وملـــوك الإفـــرنج[٥]، ومَنكلـــي بُغـــا الصـــلاحي الظاهـــري المعروف بالعجمي (ت٨٣٦هـ/١٤٣٢م)، أرسل سفيراً إلى تيمورلنك خلال حكم الناصر فرج، وكان فقهـــياً، :" ويذاكـــر بالشعر باللغات الثلاث: العربية والعجمية والتركية، ويكتب

---

١. Donald p. Little, " Notes On Aitamis a Mongol Mamluk", Die Islamichen Welt Zwischen Mittelalter und Neuzeit, Feutschrift fur, Hans Robert Roemer zum 65. Geburtstag, ed. Ulrich Haarmann & Peter Bachmann, (Beirutre Texte und Studien, 22). Wiesbaden : Franz Steiner Verlage, 1979,PP.387-401.

٢. انظر: الصفدي، أعيان العصر:٢/٢٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة:٢/٣٣٧؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي ٢/٢٩٣.

٣. الصفدي، الوافي بالوفيات:٢٤/٣٩١.

٤. العيني، عقد الجمان:٤٣٨.

٥. ابن تغري بردي، المنهل الصافي:٣/١٢١-١٢٢.

الخـــط المنســـوب" [1] ، فإرساله سفيراً وإنشاده للشعر باللغات: العربية والعجمية والتركية، دليل على تمكن هذا الأمير من هذه اللغات.

وعـــندما أصدر السلطان قانصوه الغوري بتاريخ ٩١٥هـ/١٥٠٩م مرسوماً يمـــنح فـــيه امتيازات تجارية لطائفة الفرنتيين (الفلورنسيين)، ذكر فيه أحد كبار المترجمين في نهاية العصر المملوك وهو الأمير تغري بردي الترجمان، ونص الوثـــيقة :"..... وبرز أمرنا الشريف بكتب أمان شريف للقنصل والتجار وما سأل فـــيه حضـــرة الملـــك وجهز ذلك إليه، ورسمنا للمجلس العالي الأميري الكبري المجاهدي المؤيدي الذخري النصري الأوحدي الأكملي الأعزي الأحضي السيفي عمـــدة الملـــوك والســـلاطين تغري بردي أحد أعيان الأمراء العشرات بالديار المصـــرية، والـــترجمان بأبوابنا الشريفة-أدام الله سعده- بأن يكتب إلى حضرة الملك بما فيه إطابة خواطر التجار بما سيعلم حضرة الملك بأمر تجاره وجماعته بالحضور إلى ثغر الإسكندرية المحروس..."[2].

ويـــبدو أن تغري بردي الترجمان واظب على القيام بواجباته ومهامه الكبيرة والخطـــيرة[3] إلـــى أن قـــبض علـــيه الســـلطان فـــي شـــهر محـــرم من سنة ٩١٧هـــ/١٥١١م،مـــتهماً إيـــاه بمخاطبة ملوك الإفرنج واطلاعهم على بعض أســـرار الدولة، فبقيت وظيفة ترجمان الإفرنج خالية قرابة ثلاث سنوات، ثم عين أحـــد المماليك ترجماناً ويدعى يونس الترجمان الذي كان نائباً لتغري بردي في محرم من سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م [4].

وممـــا يـــدل علـــى كثرة المماليك الذين يجيدون اللغات الأعجمية وبخاصة التركـــية والمُغْلـــيّة ما ذكر القلقشندي عن ترجمة كتب بعض القانات من ملوك الشـــرق:" يـــتولى ترجمـــتها مـــن يُوثَق به من أخصاء الدولة: من الأمراء أو

---

١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة:١٥/١٧٩.

٢. M. Amari, I diplomi Arabi del R Archivio Fiorention. (Firenze, 1863), P. 224.

٣. انظر: . Thenaud, Le Voyage Doutremer P. XLVI

٤. انظر: ابن إياس، بدائع الزهور:٤/٢١٠، ٢٦١-٢٦٢.

الخاصكية ونحوهم، ممن يعرف ذلك اللسان، ثم يقرأ ترجمته على السلطان، ويعتمد ما يأمر به في جوابه ليكتب به"[١].

ويروي لنا اليوسفي خبراً عن أحد مماليك الأمير برصبغا أو برسبغا الحاجب الناصري (ت٧٤٢هـ/١٣٤١م) عند حديثه عن قتل أحد أمراء المغول في حمى الدولة المملوكية في سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٢م، فيقول:" وبلغني من بعض مماليك برصبغا، كان يعرف بلسان المغل، أنهم لما وقع بينهم وبين برصبغا المفاوضة قال لهم الرجل أمير ركب العراق بلسان المغل..."[٢].

- **العلماء والأدباء:**

أدي العلماء دوراً مهماً إبان العصر المملوكي، وقد تجلى ذلك الدور في تعليم الناس، وفي الوقوف في وجه الظلم، وفي شحذ همم الأمة ونفوسها؛ لتقف صخرة قوية في وجه ما يتهددها من أخطار عظيمة تجلت في سيول التتار الجارفة التي لا تنقطع، وفي غارات الصليبيين وحملاتهم المتواصلة على السواحل الشامية والمصرية، وسواحل الجزيرة العربية في أخريات أيام الدولة المملوكية.

وكانت الترجمة من اللغات الأعجمية إلى العربية، أو من العربية إلى اللغات الأعجمية مما اضطلع به نفر من علماء ذلك العصر سواء أكانوا من الفقهاء أم المتصوفة أم المؤرخين أم الحكماء والفلاسفة، مقدمين خبراتهم العلمية والمعرفية سائغة لديوان الإنشاء المركزي في القاهرة، أو للدواوين الفرعية التي نسجت على غراره في النيابات الأخرى كدمشق وحلب وطرابلس وصفد وغزّة والكرك.

---

١. القلقشندي، صبح الأعشى:٢١٦/٦.

٢. اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر:١٧٥.

ومــن الفقهـاء المترجمين: فخر الدين محمد بن مصطفى بن زكريا بن خوجا المولــود بــدورك بـبلاد الــروم سـنة ٦٣١هــ/١٢٣٣م، والمــتوفى سـنة ٧١٣هــ/١٣١٣م، ويروي صلاح الدين الصفدي عن شيخه أبي حيان الأندلسي (ت٧٢٥هــ/١٣٢٤م) سيرة هذا الترجمان، قائلاً:" كان شيخاً فاضلاً عنده أدب وله نظــم ونثر وقد نظم " القدوري في الفقه " نظماً فصيحاً سهلاً جامعاً، ونظم قصـيدة فــي النحو تضمنت أكثر " الحاجبية "، وفخر الدين هذا كتبنا عنه لسان الــترك ولسان الفرس، وكان عالماً باللسانين يعرفهما إفراداً وتركيباً أعانه على ذلــك مشاركته في علم العربية، وله قصائد كثيرة منها " قصيدة في قواعد لسان الــترك " ونظم كثير في غير فن. ودرس بالحسامية الفقه على مذهب أبي حنيفة، وكــان قديماً قد تولّى الحسبة بغزة وكان بارع الخط... وقد أدّب بقلعة الجبل بعض أولاد الملـــوك"[١]. وما رواه لنا الصفدي عن أبي حيان الأندلسي في غاية الأهمية؛ لأنـــه يكشف لنا عن المصدر الأساسي الذي استقى منه أبو حيان مادته في معجمه الموســوم بـــ " الإدراك إلى لسان الأتراك " من ناحية، ويكشف لنا عن شخصية عالم مترجم مختص باللغات: العربية والفارسية والتركية من ناحية أخرى.

ومـــن الأدبـــاء الـــتراجمة: عـــبد اللطـــيف بـــن خلـــيفة العجمـــي (ت٧٣١هــ/١٣٣٠م)، وكان أخوه كحال غازان ملك التتار، هاجر إلى الدولة المملوكـــة، إلا أننا لم نستطع تحديد تاريخ وفوده عليها، وصف بأنه "كان أديباً فاضلاً لبيباً عاقلاً على ذهنه غوامض من العربية... يترسل بغير سجع... وخطة قوى إلى الغاية من تعليق العجم... يتحدث بالتركي العجمي فصيحاً"[٢].

وكان العجمي متصلاً بالسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون وبغيره من كبار الأمراء، وجعل له راتب في جملة المماليك السلطانية، وعرف بأنه كان خبيراً بأخلاق الملوك ومخاطباتهم وسياساتهم، وعارفاً بأخبار وقائع المغول،

---

١. الصفدي، الوافي بالوفيات:٣١/٥؛ وانظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة:٢٨/٥؛ السيوطي، بغية الوعاة:٢٤٦/١-٢٤٧.

٢. الصفدي، أعيان العصر:١١٧/٢-١١٨.

ومستحضراً لكلام الحكماء، وقد قربّه القاضي علاء الدين بن الأثير كاتب السر وكانت له به خصوصية[1]، ويبدو أن السبب في ذلك هو الانتفاع بمعرفته للغتين التركية والفارسية.

أمـا المـترجمون مـن المتصـوفة، فإن علي بن محمود بن حمد القونوي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) خير من يمثل هذا النوع من المترجمين، فقد كان القونوي مدرسـاً بدمشـق في المدرسة القلجية التي أقرى الطلبة فيها منهاج البيضاوي، والحاوي الصغير، ومختصر ابن الحاجب، ثم تولى مشيخة الشيوخ فيها بدلاً من قاضـي القضـاه شرف الدين المالكي بحكم وفاته، وفوق هذا فإنه عُرف بورعه وتديّنه وتواضعه[2].

أما صلته ودوره في ديوان الإنشاء، فإن إقامته بدمشق قد جعلت منه قريباً مـن ديوان إنشائها الذي كان يلي في أهميته ديوان القاهرة، ولذلك فإن الصفدي يصفه مرة بأنه:" كان يُعرّب الكتب الواردة على ديوان الإنشاء باللغة العجمية"[3] وينعـته مـرة أخـرى بأنـه: " كان يُعرّب لديوان الإنشاء الكتب التي ترد عليه بالعجمية من البلاد الشرقية"[4].

ومعلوم لدينا بأن الصفدي قد ألّف كتابه "الوافي بالوفيات" الذي هو مصدرنا فـي قوله الأول قبل كتابه "أعيان العصر" الذي اشتمل على عبارته الثانية، الأمر الـذي يوحي بأن الصفدي أراد بالزيادة الواردة في قوله: الثاني إزالة ما اعترى عـبارته الأولى من لبس وغموض في قوله: " اللغة العجمية " التي لا يدري ما هي، هل هي اللغة الفارسية أو المغولية.

ومـن العلمـاء المترجميـن محمـود بـن عـبد الرحمـن الأصـبهاني (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، الذي كان بارعاً في علوم الأوائل والعقليات والشرعيات، وقد ورد على دمشق سنة٧٢٥هـ/١٣٢٤م بعد أدائه لفريضة الحج وزيارته للقدس

---

١. الصفدي، المصدر السابق:٢/١١٧-١١٩.

٢. الصفدي، المصدر السابق:٢/٢٥٧.

٣. الصفدي، الوافي بالوفيات:٢٢/١٨٩.

٤. الصفدي، أعيان العصر:٢/٢٥٧.

الشريف، وسمع منه ابن تيمية، وقال في حقه:" اسكتوا حتى يسمع كلام هذا الفاضل الـــذي مـــا دخـــل الـــبلاد مـــثله"[1]، ثم طلبه السلطان محمد بن قلاوون في سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م وقرّبه، وكان: " ما يعرف اللغة التركية فقعد به ذلك، إلا أنه راج باللغة العجمية عند الأمير سيف الدين قوصون"[2].

ويورد لنا بدر الدين العيني في حولياته خبراً بخصوص أحد المتصوفة العجم وهـــو نصر الله بن عبد الله بن إسماعيل العجمي (ت٨٣٣هـ/١٤٢٩م) الذي طاف بلاداً كثيرة، ثم قدم إلى مصر، فعرض السلطان عليه كتابه السر ولكنه أبى ذلك[3] .

وخبر العيني المتقدم يدل بجلاء على أن معرفة هذا المتصوف للغة أعجمية أو أكـــثر هـــي التي أهلته لمنصب خطير كمنصب كاتب السر من جانب، وتدل على تـــراجع فـــي مصـــطلح ديوان الإنشاء الذي يقصر هذه الوظيفة على بلغاء الكتاب وكبرائهم من العرب من جانب آخر.

أمـــا الفلاسفة والحكماء الذين نمت الترجمة وترعرعت في رحابهم، ونهضوا بأعـــبائها، وخاضوا عبابها في العصر العباسي كحنين بن إسحاق وحبيش الأعسم وقسطا بن لوقا وغيرهم فإن العناية باللغات الأعجمية كانت من شأنهم وديدنهم[4].

وخـــير مـــن يمـــثل الحكماء التراجمة في العصر المملوكي محمد بن إبراهيم المعروف بابن الأكفاني(ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) الذي ولد بسنجار ونشأ بها، ثم هاجر إلى مصر وتوفى فيها، وقد برع في الطب والهندسة، والحساب والمنطق والفلسفة، عـــلاوة علـــى الأدب والـــتاريخ، وحفـــظ أشعار العرب من جاهليين ومولدين ومحدثين ومتأخرين[5] .

ويـــبدو أن نشأته وذكاءه، وسعة دائرة اهتماماته، قد مكّنته من اكتساب أكثر من لغة وبخاصة المغولية والفارسية، ويتضح ذلك من خلال رواية فتح الدين بن ســـيد الناس اليعمري (ت٧٣٤هـ/١٣٣٣م) المهاجر الأندلسي إلى مصر، والتي أوردها الصفدي:"... وأما أحوال الشرق ومتجدّدات التتار في بلادهم في أوقاتها

---

١. الصفدي، أعيان العصر:٣/٢٦٢.

٢. المصدر السابق:٣/٢٦٣.

٣. العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان(تحقيق: عبد الرزاق الطنطاوي القرموط):٣٨٥-٣٨٧.

٤. انظر: سمير الدروبي:"منهجية المسلمين في الترجمة في العصر العباسي"، مجلة ترجمان، جامعة عبد المالك السعدي، ع١م ص٥١-٩٣، ١٩٩٩م.

٥. الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢/٢٥-٢٦.

فكأنما كانت القُصاد تجيء إليه، والملطفات تتلي عليه بحيث أنني كنت أسمع منه ما لم أطلع عليه من الديوان"[1].

- **الأسرى:**

لم تهدأ الحرب بين المسلمين والفرنجة حتى بعد طردهم على أيدي المماليك من الساحل الشامي في نهاية القرن السابع الهجري، بل استمرت غاراتهم على الشواطئ المصرية والشامية، وغزاهم المماليك في مواقعهم الجديدة كقبرص ورودس وغيرها، وفي أثناء ذلك وقع بأيدي المسلمين أسرى كثيرون. ومن هذا النوع من التراجمة الأسرى: ابن تغري بردي الذي روى قصة أسره واعتناقه الإسلام لبدروا مارتيرد انجلاريا سفير الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا في سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م.

فيذكر لنا انجلاريا: أنه عندما وصل إلى القاهرة استقبله الترجمان، فسأل انجلاريا ابن تغري بردي الترجمان عن اسمه، والبلد التي أتى منها، وكيف صار إلى ما هو عليه؟ فقال له الترجمان:" إنه ابن رجل من بلنسية يسمى لويس دبرات Luis de Prate، وإنه ولد في قرية مجاورة لبلنسية تسمى مونبلانش Monblanch ، وعندما شب عمل بحاراً، فأرادت المقادير أن تلقى سفينته، عاصفة هوجاء على مقربة من الساحل المصري، وتحطمت السفينة وألقت الأمواج بركابها على الشاطئ، فأخذه الناس فيما أخذوه إلى السلطان؛ لأن عُرف البلاد يقضي بأن حطام السفن الغارقة أو الجانحة وكل ما فيها يعتبر ملكاً للسلطان ويساق إليه، إلا إذا كانت السفينة لتجار معروفين، أو ثبت أنها لتجار يحملون صكّ أمان.

---

١. المصدر السابق:٢/٢٦.

وقــد قــال هذا الرجل: إنهم سجنوه وعذبوه ثلاث سنوات حتى اضطر إلى اعتناق الإسلام بلسانه خلاصاً لنفسه، وأما قلبه فظل مسيحياً مخلصاً. وقد ختنوه على كبر، واختار هو من الأسماء الإسلامية -في رأية-تغري بردي"[1].

ومن الأسرى الذين عملوا تراجمة بلبان الجنوي الذي يمكننا أن نعرف عنه وعــن دوره فــي الــترجمة من خلال ما ذكره لنا أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) الذي كان نائباً لوالده رئيس ديوان الإنشاء في أيام الناصــر محمــد بــن قــلاوون، ولكن أحمد العمري اختلف مع السلطان فأودع الســجن، ويذكــر أنــه تعــرّف في السجن على بلبان الجنوي الذي أمدّه بأوثق المعلومــات عــن الإمارات التركية الإسلامية في بلاد الأناضول، وعن الممالك الرومية (اليونانية) مثل القسطنطينية وطرابزون.

وحكى لنا العمري قصة الترجمان بلبان الجنوي قائلاً: "بلبان الجنوي عتيق الأمير الكبير بهادر المعزي، وهو ممن له الخبرة التامة بما يحكيه، وهو الذي أفاد كيفية تصوير هذه البلاد، واسم هذا بلبان في بلاده دومانوكين دوريّا بن بادا دوريّا، وهو من بيت حكم في جنوة، اتفق أنه جمعت بيني وبينه المقادير في الاعتقال وعنه أخذت ما قال"[2].

والناظر في مسالك الأبصار يجد أن هذا الترجمان قد أمدّ العمري بمعلومات وافرة وقيمة تتعلق بـــ: حدود وعملة واقتصاد وسكان وجيوش وأمراء وجغرافية جمــيع الإمارات التركية الواقعة في آسيا الصغرى والتي كانت تربطها علاقات وديــة مــع المماليــك، ومــن هــذه الإمارات التي عرفها بلبان وتحدث عنها: كصــطمونية وقاويــا وبرســا واكــيرا ونيف ومغنيسيا ومرمرا وبركي وفوكه، وانطاليا وقراصار وأرمناك وكرمينان وطنغزلو وتوزا وعميدلي[3].

---

١. حسين مؤنس،"سفارة بدرو مارتيرد أنجلاريا سفير الملكين الكاثوليكيين إلى السلطان الغوري (ديسمبر ١٥٠١-فبراير١٥٠٢)"، ضمن: أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس-إبريل ١٩٦٩: ٤٦٠/١-٤٦١.

٢. العمري، مسالك الأبصار،١٦٤/٣.

٣. المصدر السابق:١٥٤/٣-١٧٩ وانظر: العمري، التعريف بالمصطلح الشريف: ٥١-٥٥.

وفـــوق ذلك فإن هذا الترجمان المدعو ببلبان الجنوي كان المصدر الأساسي الـــذي استقى منه العمري مادة رسالته الموسومة بـــ" ممالك عباد الصليب" وهي رســالة طــريفة عـــن المماليك الأوروبية، ونظام الحكم فيها، وملوكها وأرضها وسكانها ونظمها الإدارية وجيوشها ومناخها... الخ.

- **التجار الأوروبيون من بنادقة وجنويين وفلورنسيين وإسبان ومسلمين وغيرهم:**

عمـــل ســــلاطين المماليـــك على استجلاب التجار من كل الملل والأجناس تنشـــيطاً لحـــركة التجارة التي أصبحت مصدراً هاماً من مصادر خزينتهم، ولذا فإنـــه من الطبيعي وجود أعداد كبيرة من الأجانب في أكثر الحواضر المملوكية كالقاهــرة ودمشـــق والقدس، والإسكندرية وحلب وبيروت وعكا ويافا وطرابلس وعجلون وعمّان وغيرها من المدن.

فقـــد لاحظ الرحالة الأوروبي اليهودي عوبديا:" أن المرء يقابل في القاهرة أعـــداداً لا تحصى من الأجانب من كلّ أمة، ويتحدثون بكل لسان"[١]، وبدهي أن بعضـــهم قـــد تعلم العربية نتيجة لمخالطته أهلها وإقامته الطويلة بين ظهرانيهم، عـــلاوة على أن بعض العائلات الإيطالية قد تخصصت في التجارة مع المشرق، مـــنها: بيـــت الإخـــوة موروسيني Morosini الذين ذاع صيتهم في القرن الرابع عشـــر الميلادي/ الثامـــن الهجري، وكانوا يتجرون في بلاد الشرق وبخاصة في حلـــب، وكان لهم فرع هام يقيم في دمشق وبيروت[٢]، كما أن بعضاً من الأسر البندقـــية اتخـــذت دمشـــق مركزاً لأعمالها التجارية مثل: أسرة كويريفي وأسرة باباريجو وأسرة واستورلادو[٣].

---

١. قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر:٦٧.

٢. ديل، البندقية:٦٥.

٣. هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى:٣/٣٣٨.

ومـــن الإشارات الواضحة التي تدل على معرفة تجار الفرنج للّغة العربية، واســـتخدام الدولـــة المملوكـــية لهـــم أحياناً تراجمة يقومون بمهام دبلوماسية أو يترجمون بعض النصوص، أن السلطان المملوكي قام باعتقال جميع الفرنجة في دولـــته بعـــد غـــارة ملـــك قبرس وأعوانه من الفرنج على الإسكندرية في سنة ٧٦٧هـــ/١٣٦٥م، وبقي تجار الفرنجة في الأسر حتى سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م حـــتى قدمت سفن الفرنج للإسكندرية طلباً لافتكاكهم:" فلما سمعت أسارى الفرنج بقدومهـــم اســـتغاثوا، فسمع السلطان استغاثتهم، فسئلوا عن ذلك، فقالوا: نريد أن يســـافر مـــنا اثنان إلى أرض الفرنج، يكلمون الباب* والملوك في إيقاع الصلح، والطاعـــة لمولانـــا السلطان، ونعد مولانا السلطان بأن كلبين منا قد هلكا إذا لم يرجعا، فرسم السلطان بذلك، فأرسلوا أرناط بن مرك البندقي وآخر معه"(١). وقد غـــاب الـــتاجران نحواً من عشرة أشهر، وعادا بصحبة رسل البنادقة والجنوية والروادســـة والقبارسة، ثم جرت مفاوضات الصلح بين الطرفين سوى القبارسة والروادســـة. ويـــرى جروســـيه أن بعضاً من البنادقة الذين أتقنوا العربية كانوا يعملون تراجمة في مفاوضات المعاهدات التجارية بين المماليك والبنادقة(٢).

ومن التجار التراجمة الذين تحدثت عنهم المصادر التاجر الإيطالي برتراندو دي ميجنانللـــي الـــذي ولد في إيطاليا سنة ٧٧٢هـــ/١٣٧٠م، في أسرة من طبقة النـــبلاء، ثـــم غـــادر إيطاليا متجولاً في بلاد الشرق إلى أن استقر به المقام في دمشـــق التـــي أصـــبح بها من رجال المال والأعمال، وكما قال هو عن نفسه: وجـــدت هـــناك الثروة الوفيرة والشرف العظيم، لكن ذلك كان يقابله الكثير من الجهد والمخاطر الجمة.

وقـــد تعلـــم دي ميجنانللي خلال إقامته في دمشق اللغة العربية، وتمكّن من العمـــل بالـــترجمة الـــتحريرية والشـــفوية للســـلطان المملوكي الظاهر برقوق

---

* المقصود به " البابا "

١. النويري، الإلمام:٦/٤٠٤-٤٠٥.

٢. عفاف السيد صبره، العلاقات بين الشرق والغرب:٢٥٢.

(ت ٨٠١هـ/١٣٩٨م) وذلك عند وصول يعقوب دي كروز Jacob de Croze سفيراً لدوق ميلان جيوفاني جاليزو Giovanni Galcazo .

وكان السفير قد حمل رسالة من الدوق يطلب بمقتضاها الإذن من السلطان برقوق لإصلاح الباسيليكا في بيت لحم بفلسطين، كما يطلب حماية الآباء في جبل صهيون.

وقد ترجم دي ميجنانللي خطابات الدوق إلى اللغة العربية ورد السلطان عليها إلى اللغة اللاتينية[1].

وعلاوة على ذلك فإن بعضاً من كبار التجار الأعاجم قد قاموا بمهام السفارة بين دولة المماليك وغيرها من الدول، وقد أطلق عليهم اسم " الخواجكية "[2] وواحدهم " الخواجا " الذي كان من ألقابه في ديوان الإنشاء: " السَّفيريّ" الذي يفسره القلقشندي بقوله: " لسفارتهم بين الملوك وترددهم في الممالك لجلب المماليك والجواري ونحو ذلك، وهو منسوب إلى السفير: وهو الرسول والمصلح بين القوم نسبة مبالغة، ولم يستعمله الكتاب مجرداً عن الياء "[3]

ولا يخفى أن من يقوم بمهمام السفارة بين الملوك لابد له من معرفة لغة البلاد المرسل إليها، لما تحتاج إليه الدبلوماسية الناجحة من قدرة على أداء الرسالة، توسلاً لتحقيق الغرض المرجو منها، ولذلك خصّ السفراء والخواجكية بلقب:"ثقة الدّول"[4].

---

١. أحمد عبد الكريم سليمان، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة مع ترجمة مقال الكاتب اللاتيني دي ميجنانللي عن حياة تيمور لنك: القسم الثاني:٣.

٢. يقول القلقشندي، صبح الأعشى:١٣/٦:" الخواجا من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس ونحوهم وهو لفظ فارسي، ومعناه السيد، والخواجَكيُّ بزيادة كاف نسبة إلية للمبالغة، كأن الكاف تدخل في لغتهم مع ياء النسب" .

٣. المصدر السابق:١٥/٦.

٤. المصدر السابق:٤٢/٦.

- **القناصل:**

لقد كان من النتائج الإيجابية لحركة التجارة النشطة بين دولة المماليك وجنوة والبندقية وفلورنسا وغيرها من المدن الإيطالية والممالك الأوروبية وجود عدد من القناصل الذين يرعون المصالح التجارية لهذه الدول، ولاشك أن اختيارهم كان بناءً على معرفتهم بأحوال الشرق العربي ولغته، الأمر الذي يحتم عليهم إقامة طويلة في الشرق واحتكاك وثيق بأهله.

ولدينا من النصوص ما يثبت معرفة القناصل للعربية، وقدرتهم على نقل مراسيم السلطان التي يصدرها بشأن رعاياهم إلى لغاتهم، فقد حدث خلاف بين مسلمي الإسكندرية وتجار الفرنج بشأن أسرى المسلمين وذلك في سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م، فما كان من نائب الإسكندرية إلا أن دعا قناصل الإفرنج المقيمين في المدينة، وقرأ عليهم كتاب السلطان المتضمن منع سائر الفرنج من السفر ما لم يردوا الأسرى:" فلما سمعت القناصلة والتجار ذلك كتبوا كتاباً بالخط الرومي ودخل به رجل من المسلمين البحر، وجعله بعقب رمح وغرز سنانه بقاع البحر ورجع إلي البر، فأتى قارب من مراكب الإفرنج أخذه ورجع به إلى المراكب، فلما قرأوه تيقنوا أن أصحابهم مأسورون"(١).

- **رجال الدين المسيحي:**

نجم عن تسامح الدولة المملوكية تجاه النصارى ومنهم رجال الدين خاصة، وجود عدد كبير منهم في مختلف الأماكن المقدسة الموجودة على أرض الدولة المملوكية في القدس وبيت لحم وسيناء والناصرة وطور سيناء وغيرها من الأماكن المقدسة.

وتشير المصادر إلى أن رجال الدين المسيحي المقيمين على أرض الدولة المملوكية كانوا يمثلون مختلف الطوائف المسيحية من: روم وسريان وأرمن وكرج وأقباط وأحباش وفرنسيسكان(٢)، وكانت لهم أديرتهم وكنائسهم التي يتمتعون فيها بأتم الحماية والرعاية من الدولة وفقاً لما تذكره وثائق هذه الطوائف الصادرة إليهم من ديوان الإنشاء المملوكي(٣).

---

١. النويري، الإلمام:١٩٢/٥-١٩٣.

٢. انظر:علي السيد حسن، القدس في العصر المملوكي:٨٢-٨٧.

٣. انظر: Risani; Documenti E. Firmani, PP. 6-170. E rnst ., D ie Mamlukischen Sultansurkunden des Sinai -- Klosters, PP. 4-255.

وفــوق ذلك فإن الإسكندرية كانت مركزاً لكرسي بطرك اليعاقبة الذي يتبع مذهبه نصارى النوبة والحبشة[1].

ولمــا كــان رجال الدين المسيحي يمثلون مختلف الطوائف النصرانية فإنهم كــانوا يعرفون لغاتها، ولذلك فإن الدولة المملوكية كانت تستعين بهم في أعمال الترجمة عند الحاجة، ويتضح ذلك من خلال:

أ-المشــاركة والتصــديق علــى الهــدن بين المماليك والفرنج، فقد وقع المنصور قــلاوون فــي سنة ٦٨٩هــ/١٢٩٠م هدنة مع الجنوية، وجاء رسل الفرنج إلى القاهــرة لتوقــيع الهدنة، فشهد عليها بطرس أسقف مصر وميخائيل الراهب من دير طور سيناء[2].

ب-تعريــب الكتــب الواردة إليهم ورفعها إلى السلطان المملوكي فيما إذا كانت متعلقة به[3].

ج- القــيام بمهمــة السفارة للسلطان المملوكي، وحمل رسائله إلى ملوك الغرب المســيحي، حيــث اســتنجد صاحب الأندلس بالسلطان المملوكي في سنة ٨٩٢هـــ/١٤٨٦م طالــباً منه النصرة على الفرنج الذين أشرفوا على أخذ غرناطة، فبعث السلطان قايتباي إلى :" القسوس الذين بالقيامة التي بالقدس، بـــأن يرسلوا كتاباً على يد قسيس من أعيانهم إلى ملك الفرنج صاحب نابل، بـــأن يكاتب صاحب قشتيلية، بأن يحل عن أهل الأندلس ويرحل عنهم، وإلا يشــوش الســلطان علــى أهل القيامة، ويقبض على أعيانهم، ويمنع جميع طوائف الفرنج من دخول القيامة..."[4].

- **اليهود:**

ممــا اتســمت بــه المجــتمعات الإسلامية منذ عهد الرسول وفيما تلاه من العصور تسامحها مع اليهود، والقبول بوجودهم في إطار الدولة الإسلامية كأهل

---

١. انظر: صبح الأعشى:٣٠٨/٥. وانظر: . Suriano,Treatise On The Holy Land, P. 90

٢. ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور:١٦٦-١٦٩.

٣. انظر: المصدر السابق: ١٧٢-١٧٣.

٤. ابن إياس، بدائع الزهور: ٢٤٤/٣-٢٤٥.

ذمـــة خلافــاً لمـــا كـــان علـــيه حال يهود من اضطهاد وتقتيل في المجتمعات الأوروبية.

وانطلاقاً من قاعدة التسامح فإنه سمح لليهود بممارسة التجارة وجوب الآفاق بحـــثاً عـــن الثراء مما مكنهم من معرفة عدد من اللغات التي يتواصلون بها مع شعوب الأرض المختلفة، كما سمح لهم بالإقامة للعبادة في الأماكن المقدسة[١].

وبـــناءً علـــى مـــا تقدم فإن عدداً منهم قد برعوا في الترجمة وإتقان اللغات المخـــتلفة، كمـــا برعوا في التجارة والطب والصرافة وغيرها من المهن المهمة آنذاك.

فقد ذكر الرحالة اليهودي ميشولام أن مترجم السلطان المملوكي كان يهودياً مـــن أصـــل أســـباني، وكان عارفاً بسبع لغات هي العربية والإيطالية والتركية والألمانية والفرنسية إلى جانب اللغة العبرية[٢].

ويحدثـــنا الـــرحالة الأوروبي بيرو طافور الذي شرع في رحلته إلى الشرق ســـنة ٨٣٩هـــ/١٤٣٥م- وكان، تاجراً وسفيراً أرسل لبلاط السلطان المملوكي- أن تـــرجمان الســـلطان مـــن أصل يهودي لكنه أسلك فيما بعد، يقول: " فتلقاني المـــترجم بالترحاب العظيم وأنزلني في داره، فبقيت به يومين قبل أن أتمكن من رؤية السلطان، وأخذ المترجم طوال هذه الفترة في محادثتي، فسألني الكثير عن نفسي، ولما عرف مني أنني قشتالي الأصل، أشبيلي المولد، امتلأت نفسه غبطة لســـماعه هذا النبأ، فقد ولد هو الآخر بها، ودرج طفلاً على ترابها، إلا أنه حمل صـــغيراً إلى بيت المقدس مع أبيه وكان يهودياً، لكنه أسلم حين مات أبوه، وكان

---

١. انظر: F.f Suriano Treatise On The Holy Land . (Jerusalem, 1949), PP. 101-102.

٢. قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر: ٦٤.

اسمه في بداية الأمر"حايم" أما الآن فيدعى "صايم" وقد أراد أن يعرف من أكون ومن أين جئت؟ فلم أكتم عنه شيئا من خبري لأنتفع بخدماته ونصحائه"[١].

وجاء في إحدى الوثائق المؤرخة في ٢٩من صفر ٨٢٦هـ/١١ من فبراير ١٤٢٣م، وذكر لخمسة من التراجمة المسلمين المعتمدين لدى الدولة المملوكية وهم: شمس الدين محمد بن العادل، وتقي الدين محمد بن الأسيوطي وشمس الدين محمد بن عمر ومحمد بن حمزة ومحمد بن علي بن كندك، ومترجم يهودي اسمه مردوخ بن شموال[٢].

---

١. طافور، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي:٦٤-٦٥.

٢. صبحي لبيب،"الفندق ظاهرة سياسية، اقتصادية، قانونية:٢٩٦ ضمن كتاب: مصر وعالم البحر المتوسط. ويبدو أن عائلات يهودية قد تخصصت في موضوع الترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية من قبل العصر المملوكي ومن بعده.ففي ملخص لدراسة بعنوان"المترجمون إلى اللغة العربية في وهران في القرن ١٦" وهي من إعداد شانتال دي لافيرون من المركز الوطني للبحث العلمي بباريس مانصه: "عند البحث في الأرشيف العام بسيمنكا (إسبانيا) حول موضوع وهران أثناء الاحتلال الإسباني لاحظنا غياب وثائق الإدارة الإسبانية فيما بين ١٦٥٢-١٦٦٨ إلا أننا عثرنا على هذه الوثائق في لندن وجوناف. وتبين لنا أن أغلبها تتناول العائلات اليهودية الرئيسية في وهران والتي من بينها عائلات تتمتع بامتياز المناصب الرسمية للمترجمين إلى العربية ومن بين هذه العائلات توجد عائلة كانسينو، وقد مكّنتنا وثائق المتحف البريطاني والمكتبة الجامعية بجوناف من تتبع حياة وسير بعض أعضائها المترجمين إلى العربية لدى حكام وهران. وبالإضافة إلى كانسينو توجد عائلات زابورتاس والألبو التي تعتبر من ضمن العائلات السبعة التي سمح لها الأسبان بالإقامة بوهران. إن الوثائق المذكورة أعلاه تتحدث عنها في عدة مناسبات وتشير إلى أن بعض أعضائها كانوا مترجمين إلى العربية"، انظر: (المجلة التاريخية المغربية، السنة ١٧، العدد٥٩-٦٠، سنة ١٩٩٠).

فهرست المصادر والمراجع

أحمد عبد الكريم سليمان:

-**تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة**.ط١، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٨٥م.

ابن إياس، محمد بن أحمد(ت٩٣٠هـ/١٥٥٣م).

- **بدائع الزهور في وقائع الدهور**. تحقيق: محمد مصطفى، ط٣، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٤.

بروكلمان، كارل:

- **تاريخ الأدب العربي، القسم السادس (١٠-١١)**. نقله إلى العربية: حسن محمود إسماعيل، الهيئة المصرية، القاهرة،١٩٩٥م.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).

- **المنهل الصافي والمستوفى على الوافي(١-٦)**. تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرون، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦-١٩٩٠م.

- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٣-١٩٧٢م.

ابن حبيب، حسن بن عمر بن الحسين (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

- **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**. تحقيق: محمد محمد أمين، ط١، مطبعة دار الكتب، القاهرة،١٩٧٦-١٩٨٦م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

- **إنـــباء الغمـــر بأنباء أبناء العمر**. تحقيق: حسن حبشي، ط١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

- **الـــدرر الكامـــنة فـــي أعـــيان المائـــة الثامنة**. تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦م.

حسين مؤنس:

- "**ســـفارة بـــدرو مارتـــيرد أنجلاريا**"، ضمن كتاب: أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م.

الخالدي العمري، محمد بن لطف الله (تاق٩هـ/١٥م):

- **المقصـــد الرفـــيع المنشـــا الهادي إلى ديوان الإنشا**. مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم (٤٤٣٩).

الدروبي، سمير:

-" **حركة التعريب في ديوان الإنشاء المملوكي**"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع٦٢، ص١١-٧٣، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ن.

– "**منهجية المسلمين في الترجمة في العصر العباسي**"، مجلة ترجمان، جامعة عبد المالك السعدي، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، ع١، مجلد٨، سنة ١٩٩٩م.

ديل، شارل:

- **البندقـــية جمهوريـــة أرســـتقراطية. تـــرجمة**: أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق إسكندر، دار المعارف، القاهرة،١٩٤٩م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م):

- **معيد النعم ومبيد النقم**.ط١، دار الحداثة، بيروت،١٩٨٣م.

السخاوي، شمس الدين عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م):

- **الذيل على رفع الإصر**. تحقيق: جودة هلال ومحمد محمود صبح، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، بلا تاريخ.

- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**. مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٥هـ.

سعيد عبد الفتاح عاشور:

- **مصر والشام في عصر الإيوبيين والمماليك**. دار النهضة، بيروت، بلا تاريخ.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥م):

- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤م.

ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم(ت٦٨٤هـ/١٢٨٠م).

- **تاريخ الملك الظاهر**، تحقيق: أحمد حطيط، فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٨٣م.

الشيباني، أحمد بن أبي الفتح (ت٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)

- **رسالة رصف الفريد في وصف البريد**، دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، دار البشير، عمان، ٢٠٠٢م.

صبحي لبيب:

- " **الفندق: ظاهرة سياسية، اقتصادية، قانونية**". ضمن كتاب: مصر وعالم البحر المتوسط، إعداد وتقديم: رؤوف عباس، ط١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة -باريس، ١٩٨٦م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(٦٧٣هـ/١٣٦٧م):

- **أعيان العصر وأعوان النصر**. مكتبة السليمانية، مجموعة عاطف أفندي رقم (١٨٠٩)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورات، ١٩٩٠م.

- **الوافي بالوفيات**. تحقيق: هلموت ريتر وآخرون، فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٦١-١٩٩٦.

الصيرفي، علي بن داود (ت٨٧٩هـ/١٤٧٤م):

- **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**. تحقيق:حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠-١٩٧٣م.

طافور:

- **رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي**. ترجمة وتقديم:حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٨م.

ابن عبد الظاهر، محيي الدين عبدالله (ت٦٩٢هـ/١٢٩٢م):

-**تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**. تحقيق: مراد كامل، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة،١٩٦١م.

- **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**. تحقيق:عبد العزيز الخويطر،ط١، الرياض،١٩٧٦م.

عبد المنعم ماجد:

- **نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر**.ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م.

عفاف صبرة:

- **العلاقات بين الشرق والغرب**.دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣م.

العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/١٣٤٩م):

- **التعريف بالمصطلح الشريف**.دراسة وتحقيق:سمير الدروبي، جامعة مؤته، الأردن، ١٩٩٢م.

- **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**. مخطوط أحمد الثالث، طوبقابوسراي، رقم (٢/٢٧٩٧) و (٣/٢٧٩٧).

العيني، بدر الدين محمود (ت٨٤٩هـ/١٤٥١م):

- **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد**. تحقيق: فهيم محمد شلتوت. دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٦-١٩٦٧م.

- **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث وتراجم ٨١٥هـ-٨٢٤هـ)**. تحقيق: عبد الرازق القرموط،ط١، مطبعة علاء، القاهرة، ١٩٨٥م.

- **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان** (حوادث وتراجم ٨٢٤هـ-٨٥٠هـ). تحقيق: عبد الرازق القرموط، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٩م.

ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م):

- **تاريخ ابن الفرات**. عني بتحرير نصه: قسطنطين زريق، تاريخ ومكان النشر غير مذكورين.

قاسم عبده قاسم:

- **اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني**،ط١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة-باريس،١٩٨٧م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـم١٤١٨م):

- **صـــبح الأعشـــى في صناعة الإنشا**. مصورة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة عن المطبعة الأميرية.بلا تاريخ.

المقريزي، أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):

- **إغاثـــة الأمة بكشف الغمة**. نشر: محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال،ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م.

- **درر العقـــود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م.

- **السلوك لمعرفة دول الملوك**. تصحيح: محمد مصطفى زيادة،ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٥٦م.

- **المواعـــظ والاعتـــبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقريزية**. طبعة جديدة بالأوفست، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

النويري، محمد بن القاسم (ت٧٧٥هـ/١٣٧٣م):

- **الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية**. تحقيق: عزيز سوريال عطية،ط١، حيدر آباد الدكن، الهند،١٩٧٣م.

هايد،ڤ:

- **تـــاريخ الـــتجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**. عربه عن الترجمة الفرنســـية: أحمـــد محمـــد رضـــا، ط١، الهيـــئة المصـــرية للكـــتاب، القاهرة، ١٩٨٥-١٩٩٤م.

ابن واصل الحموي، جمال الدين محمد بن سالم(ت٦٩٧هـ/١٢١٧م):

- **مفـــرج الكروب في أخبار بني أيوب**. تحقيق: جمال الدين الشيال وحسن محمد ربيع، الهيئة المصرية العامة، القاهرة،١٩٥٣-١٩٧٧م.

اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى (ت٧٥٩هـ/١٣٥٨م):

- **نــزهة الــناظر فـــي سيرة الملك الناصر**. تحقيق ودراسة: أحمد حطيط/ ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.

الأسس النظرية للمنهج التعليمي

في بلاغة ابن سنان الخفاجي

الدكتور عبد الكريم الحياري

الجامعة الأردنية

-أ-

تنسب كتب التراجم إلى ابن سنان الخفاجي (-٤٦٦هـ) طائفة من المؤلفات لم يصـل إليـنا منها إلا كتابه "سرّ الفصاحة" وديوان شعره[١] . أما مؤلفاته الأخرى فلديـنا أسماؤها ليس غير، إذ لا نعرف أحداً نقل عنها أو ذكر أنه أفاد منها، خلافاً لكـتابه "سـرّ الفصـاحة" الـذي كـان له أثر واضح في تاريخ الفكر الأدبي عند العـرب[٢]. وهكذا فإنك إذا تناولت ابن سنان مفكراً أو بلاغياً أو ناقداً فإنما تتحدّث عمّا جاء به في هذا الكتاب على وجه التحديد[٣]. وهذا البحث محاولة للمشاركة في الجهود الرامية إلى إيضاح ما قدّمه ابن سنان لنظرية الأدب عند العرب، ممّا لعله يساعد في بيان موقعه في تاريخ الفكر البلاغي والنقدي. وقد كنت ذهبت في موضع آخـر إلـى أن الـرجل لـم يحـظ حتى الآن إلا بأقل ممّا هو جدير به من عناية الدارسين، ومن المؤمّل أن تبيّن الصفحات القادمة أن ثمّة جوانب في فكر ابن سنان ما زالت في حاجة إلى دراسة وتحليل.

اخترت ههنا أن أتناول تعليم البلاغة في رأي ابن سنان؛ فإن المسألة التعليمية هـذه مـن أهـم القضايا المتّصلة بالبلاغة، بل لعلّها تتقدّم على كل مسألة غيرها؛ فالـبلاغة علـم تعليمـي[٤] ولـيس مـادة ثقافية، والبلاغيون (يُفترض فيهم أنهم) معلمـو البيان، والحملات التي تعرّضت لها البلاغة قديماً وحديثاً إنما صدرت عن

---

١. انظـر فـي مؤلفاته: صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٧/٥٠٥؛ وهذه المؤلفات نفسها يذكرها ابن شاكر الكتبي، انظر: فوات الوفيات، ٢/٢٢٢، وقد طبع "سرّ الفصاحة" وديوان ابن سنان غير مرة.

٢. انظـر في هذا الشأن: عبد العاطي علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين: عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، ص٣٦٠-ص٣٧٢، ص٣٧٩-ص٣٨٢.

٣. انظـر فـي موضوعات الكتاب: عبد الرازق أبو زايد، كتاب سرّ الفصاحة لابن سنان الخفاجي، دراسة وتحليل، ص٣٥ وما بعدها.

٤. انظـر مـثلاً ما يقوله عبد السلام المسدي من أن من أبرز ما يميّز البلاغة (عن الأسلوبية التي هي "وليدة الـبلاغة ووريـثها المباشـر" "أن البلاغة علم معياري يرسل الأحكام التقييمية ويرمي إلى "تعليم" مادته وموضوعه: بلاغة البيان"، وأن البلاغة "ترمي إلى خلق الإبداع بوصاياها التقييمية"، الأسلوبية والأسلوب، ص٥٢-ص٥٣.

هذه المسألة التعليمية بعينها، فقد أُخذ على البلاغيين إخفاقهم في تعليم هذا الفن، أي أن علمهم غير قادر على الوفاء بالغرض الذي يدّعون أنه قد وُجد أصلاً لتحقيقه(٥). وللبحث في تعليم البلاغة عند ابن سنان بخاصة أهمية من وجه آخر؛ ذلك أن الناس وقد شغلهم النظر في وظيفة البلاغة في تعليم فن القول كادوا يغفلون عن أن هذا العلم يراد به أيضاً تعليم فن النقد. ولا أدل على ما في ذلك من جور على هذا الغرض النقدي من أنه هو نفسه، كما سيتبيّن فيما بعد، مقدّم في مذهب ابن سنان على غيره، بل يطغى على ما سواه عنده.

ويسترعي الانتباه حقاً في كتاب "سرّ الفصاحة" أن صاحبه يستوقفك بين حين وآخر ليُسمعك رأيه في أمر من الأمور المتصلة بتعليم البلاغة، وهذا ينبئك عن مدى اهتمامه بهذه المسألة، أو ربما مدى إلحاحها عليه. هذه الآراء قد تأتي على قدر ما من التفصيل حيناً، وربما جاءت موجزة شديدة الإيجاز حيناً آخر، كما أنها تتفاوت كذلك في مدى وضوحها. وغرضنا ههنا تقصّي ما دوّنه ابن سنان من آراء وملاحظات تتصل من تعليم البلاغة بسبب، وتناولها بالدراسة والتحليل مبوّبة وفق الجوانب المختلفة للمسألة التعليمية، وذلك بضمّ ما تآلف منها واتصل بجانب بعينه من تلك الجوانب بعضه إلى بعض، وتفصيل ما تركه ابن سنان مجملاً، وتوضيح ما يحتاج منها إلى شرح وبيان، واستخراج ما يتضمنه كلامه أو يستلزمه مما لم يصرّح به، مع عدم إغفال الاستعانة في أثناء ذلك بما جاء عند غيره من البلاغيين والنقاد إذا كان ذلك يساعد في إيضاح مقاصده، أو الإبانة عن قيمة آرائه، أو وضع أفكاره في سياق عام يتجاوز حدود كتابه.

والحديث عن تعليم البلاغة، أو علم الفصاحة في مصطلح ابن سنان، يتناول أموراً يمكن ردّها في نهاية الأمر إلى أبواب أربعة:

١- الغرض من تعلّم البلاغة أو تعليمها.

٢- إمكانية تعليم البلاغة.

٣- مادة الدرس البلاغي.

٤- طريقة تقديمها للمتعلّم.

٥. انظر مثلاً: أمين الخولي، بل هي ثورات على علوم البلاغة، مجلة الهلال، ٤٤/٥٤١-٥٤٥.

وسيُصار فيما سيأتي من البحث إلى لمّ أشتات الملاحظات التي تناثرت في كتاب "سرّ الفصاحة"(*) مما يتّصل بكل باب من تلك الأبواب، بما يفضي إلى إعادة صياغة مذهب ابن سنان التعليمي على نحو مترابط، يتبيّن معه ما يتميّز به هذا المذهب من وضوح واتساق وتماسك، أو ما يعتوره من أوجه الضعف وجوانب القصور.

-ب-

رأى ابن سنان الناس مختلفين في مفهوم الفصاحة، يتداولون مصطلحاً لا يعرفون حقيقة معناه، ومن ثمّ فإنهم يختلفون في تمييز الكلام الفصيح من غيره، لأنهم لا يحتكمون في ذلك إلى أصول مقرّرة ومعايير معلومة(٦). ولذلك فإن بيان مفهوم الفصاحة وشروطها هي الغاية التي أراد ابن سنان بكتابه أن يصل إليها:"اعلم أن الغرض بهذا الكتاب معرفة حقيقة الفصاحة، والعلم بسرّها" (ص١٣). ومن هنا اختار لكتابه عنوان "سرّ الفصاحة"؛ فإن في الفصاحة أسراراً تخفى على الناس ومفهومها يكتنفه الغموض، وقد ألّف كتابه لكشف تلك الأسرار وإزالة ذلك الغموض(٧). ولكن ما الفائدة التي يجنيها المرء من معرفة الفصاحة؟ وما الغرض الذي وجد علم الفصاحة أصلاً للوفاء به؟ والإجابة عن ذلك ضرورية في نظر ابن سنان؛ فإن معرفة المتأدّب وجه الحاجة إلى هذا العلم مما يحمله على الإقبال عليه والعناية به، فكان "من الواجب أن نبيّن ثمرة ذلك (العلم) وفائدته، لتقع الرغبة فيه" (ص١٣).

---

*. الطبعة المستخدمة هنا هي الصادرة عن دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢. وقد أشرت في متن البحث إلى المواضع المقتبسة بنصّها من "سرّ الفصاحة"، وإلى غيرها في الحواشي. والصفحات المذكورة في المتن جميعها تشير إلى مواضع من هذه الطبعة. وإذا أشير في الحواشي إلى مصدر ما دون تحديده، فالمقصود هذه الطبعة من "سرّ الفصاحة".

٦. انظر: ص١٢، قارن: ص٦٣، ص٢٨٥.

٧. انظر: ص٢٣٤، ص٢٩١.

يحرص ابن سنان على التنبيه على أهميّة العلم بالفصاحة وعظيم خطره، وأن "الدواعي إلى معرفة ذلك قوية، والحاجة ماسّة شديدة" (ص١٤)؛ ذلك أن كلاً من طالب الأدب وطالب العلوم الشرعية جميعاً محتاج إليه [٨]:"أما العلوم الأدبية، فالأمر في تأثير هذا العلم فيها واضح، لأن الزبدة منها والنكتة نظم الكلام على اختلاف تأليفه ونقده ومعرفة ما يُختار منه مما يُكره. وكلا الأمرين (أي نظم الكلام ونقده) متعلّق بالفصاحة، بل هو مقصور على المعرفة بها، فلا غنى للمنتحل الأدب عمّا نوضحه ونشرحه في هذا الباب" (ص١٣-ص١٤).

علم الفصاحة يضع بين يدي طالب الأدب جملة من الأسس والمبادئ التي يهتدي بها في إنشاء كلام ينوي تأليفه، أو يستعين بها في الحكم على كلام أنشأه غيره. وهذا بعينه هو ما تسعى العلوم الأدبية كلّها إلى تحقيقه: أن تساعد المتعلم على أن يصبح أديباً منشئاً، أو ناقداً يميّز جيّد الكلام من رديئه. علم الفصاحة وُجد أصلاً لتعليم فنّ الإنشاء وصناعة النقد، أي أن الغاية التي تطمح الدراسات الأدبية مجتمعة إلى الانتهاء إليها هي غرضه المباشر، ولذلك فإن منزلته بين علوم الأدب غير خافية، وحاجة المتأدبين إليه بادية ظاهرة.

ويحظى هذا العلم بأهميّة كبيرة أيضاً بين العلوم الشرعية، وما ظنّك بعلم يتّصل من معجزة الإسلام ودليل نبوّة الرّسول -صلى الله عليه وسلم- بسبب وثيق؟ إنه أداة لا بدّ منها عند البحث فيما به كان القرآن معجزاً، ولا يستغني المرء عن هذا العلم مهما كان رأيه في وجه إعجاز القرآن وفصاحته، فهو عند ابن سنان أحد رجلين: رجل يُرجع عجز العرب عن معارضة القرآن إلى كون فصاحته خارقة للعادة، خارجة عن حدود الطاقة البشرية، وآخر يرى أن القرآن من جنس كلام العرب وأن فصاحته كانت في مقدورهم، وإنّما عجزوا عن معارضته لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك وأفقدهم القدرة عليه. والأمر في الحالين يعود بنا إلى موضوع الفصاحة، والقائل بأيّ من هذين المذهبين لا بدّ له

---

٨. انظر مثلاً ما يقوله أبو هلال العسكري في هذا الموضوع، كتاب الصناعتين، ص١-ص٣.

من معرفة حقيقتها؛ فالأول ليس له "مندوحة عن بيان ما الفصاحة التي وقع التزايد فيها موقعاً خرج عن مقدور البشر... والثاني يجري مجرى الأول في الحاجة إلى تحقق الفصاحة ما هي، ليقطع على أنها كانت في مقدورهم، ومن جنس فصاحتهم" (ص١٤).

مفهوم الفصاحة ودرجاتها هو الموضع الذي يفترق عنده أصحاب المذهبين: هل كانت الدرجة التي وصلت إليها فصاحة القرآن ممكنة للعرب لولا الصرف، أم أنها لم تكن ممكنة لهم على الإطلاق؟ وهذا يبيّن أهمية علم الفصاحة وخطره للباحث في موضوع الإعجاز. ولا يُلتفت هنا إلى ما يروى من كلام مسيلمة الكذّاب وغيره ممّن حاولوا معارضة القرآن الكريم، فهذا كلام يفتقر إلى الفصاحة التي هي موضوع التحدّي أصلاً. وها هنا أيضاً نجد أنفسنا في حاجة إلى هذا العلم لكي "تعلم أن مسيلمة وغيره لم يأت بمعارضة على الحقيقة، لأن الكلام الذي أورده خالٍ من الفصاحة التي وقع التحدّي بها" (ص١٤).

على أن ابن سنان قد قنع بما قرّره ههنا في مطلع كتابه من وجه الحاجة إلى علم الفصاحة في بحث موضوع الإعجاز، ولا يكاد يعود إلى هذا الموضوع إلا لتأكيد إصراره على أنه من القائلين بمذهب الصرفة[٩] . الأغراض الأدبية لهذا العلم هي التي تستأثر باهتمام ابن سنان، على أننا هنا أيضاً نجد أن تعليم صناعة النقد يحظى بعنايته خلافاً للغرض الآخر الذي نصّ عليه أيضاً في مبتدأ كتابه، ذلك المتصل بتعليم فن الإنشاء. خطابه في العادة موجّه إلى من ينقد كلاماً مؤلّفاً لا إلى من يريد أن يبتدئ كلاماً، وعندما عاد في موضع آخر[١٠] إلى بيان وجه الفائدة من علم الفصاحة اقتصر هناك على الجانب النقدي من المسألة، ولم يتلفت إلى ما سواه. وحقاً أنه قد ختم كتابه بفصل "فيما يحتاج مؤلف الكلام إلى معرفته"[١١]، وواضحٌ أنه يخاطب فيه المنشئ بخاصة، إلاّ أن

---

٩. انظر: ص٩٩- ص١٠١، ص٢٢٥ وانظر في مذهب الصرفة الذي اشتهر به أبو إسحق النظّام: وليد قصاب، التراث البلاغي والنقدي للمعتزلة، ص٤٦-ص٤٨،ص٣١٥ وما بعده.

١٠. انظر: ص٩٥-ص٩٧.

١١. انظر: ص٢٨٨-ص٢٩١.

ذلك لا ينفي ما نقوله ههنا بل يؤيّده، إذ لا تكاد تجد ذكراً لعلم الفصاحة في هذا الفصل، ونحن إنما نتحدث عن هذا العلم لا عن غيره.

ثمـــة أســـباب قــد نعلّل بها ميل ابن سنان الواضح إلى صناعة النقد، منها إمكانـــية تعليمها ممّا سنتحدث عنه في حينه، أما هنا فنقول: لعلّ ابن سنان يرى أن الوظـــيفة الـــنقدية هي الأصل وأن غيرها فرع عليها؛ ذلك أن ما يرمي إليه هـــذا العلم إنما هو تحديد أسس الجودة والرداءة في الكلام، فيعرف المرء عندئذ كـــيف يمـــيّز مخـــتار الكلام من مطّرحه، فإذا كان منشئاً أصبحت هذه المعرفةَ (الـــنقدية) أداة يســـتعين بهـــا في تجويد كلامه وتخليصه من الرداءة وقد صار عارفـــاً بخصـــائص الجـــودة والرداءة، كما أنه يستند إلى هذه المعرفة إذا كان يبحـــث في إعجاز القرآن وبلاغته، فما هذا البحث إلا موازنة نقدية بين القرآن وكلام العرب للتوصّل إلى أنه من جنس كلامهم (كما يرى ابن سنان وأصحاب الصرفة) أو أنه مباين له [١٢].

-ج-

فائدة علم الفصاحة في جانبه أنه يهّيئ المرء لأن يصبح ناقداً، فمن أراد أن يلـــتحق بأهل هذه الصناعة وهو لا يعرف الفصاحة ابتداءً، ولا يقدر على الفرق بين جيد الكلام ورديئه -يستطيع أن يكتسب هذه المعرفة وتلك القدرة عند وقوفه علـــى مـــبادئ هذا العلم ومعاييره، فتكون حال طالب الفصاحة هنا كحال من لا يتكلم اللغة سليقة فيطلب علم النحو ليعرف وجه الصواب من الخطأ، وحال من لـــيس له ذوق فـــي موسيقى الشعر فيستعين بعلم العروض للتمييز بين الصحيح والمخـــتلّ فـــي أوزان الشعر. على أن القادر على الفرق بين الحسن والقبيح لا يـــزال هـــو أيضـــاً في حاجة إلى علم الفصاحة وإن بدا انه مستغنٍ عنها. هذا الصـــنف مـــن المتأدّبيـــن يعرف الجيد من الرديء وليس كالطائفة السابقة التي تجهل ذلك، ولهذا فإن وجه انتفاع هذا الصنف بمبادئ الفصاحة يختلف عن وجه انـــتفاع تلـــك الطائفـــة بها. فائدة علم الفصاحة هنا ليست في تربية القدرة على

١٢. انظر آخر الفقرة "هـــ" من هذا البحث.

التفريق بين الحسن والقبيح، فهذه القدرة موجودة عند المتعلم أصلاً، ولكنه لا يستطيع تعليل أحكامه فتظل تلك الأحكام مجرد انطباعات لا يقوى على توضيحها[١٣]، وتكون بمنزلة الدعوى التي لا تستند إلى دليل. هذا المتعلم تكوّن لديه بطول صحبته للنصوص الأدبية ومخالطته أهل الأدب حسٌ أدبي جعله قادراً على أن يستحسن ويستقبح، ولكن دون أن يرجع في ذلك إلى أصول مقرّرة يعرف معها لِمَ استحسن ما استحسن أو استرذل ما استرذل. وهنا يأتي علم الفصاحة بمبادئه ومعاييره لكي يضع لذلك الحسّ الأدبي إطاراً منهجياً، إذا جاز التعبير، أو أسساً نظرية للاستحسان أو عدمه.

ما يقدّمه علم الفصاحة لمن لا يميّز الجيد من الرديء شبيه كما رأينا بما يقدمه علم النحو لمن لا سليقة له، والعروض لمن ليس له ذوق في موسيقى الشعر، وأما من يعرف الحسن من القبيح فإن علم الفصاحة يقوم عنده مقام النحو لصاحب السليقة اللغوية والعروض لمن له ذوق في موسيقى الشعر. أن كل علم منها ليس من غرضه أن يوجد في متعلّمه ما هو موجود فيه قبلاً، بل المراد تمكينه من التعليل والتفسير والاستدلال، وأن ينقل معرفته من كونها مبنيّة على مجرّد الطبع أو الذوق إلى أن تصبح معرفة منهجية اصطلاحية. وقد يحسن بنا أن نورد كلام ابن سنان –على طوله– لما فيه من جدّة وطرافة، يقول:"منزلة هذا الكتاب لمن لا يعرف البلاغة وطلاوة الكلام منزلة العروض لمن لا ذوق له يميّز به بين صحيح النظم وفاسده، والنحو لمن لا يُعرب[١٤] طبعاً وعادة، وإنما يتكلّف ويتصنّع... فأما من يفرق بين الكلام المختار وغيره، فإنه –وإن كان غير مفتقر إلى كتابي هذا كافتقار العاري من هذه الصناعة، الراغب في اقتباسها– فهو محتاج إليه من وجه آخر، منزلته أيضاً منزلة العروض والنحو لصاحبي الذوق والطبع؛

١٣. قارن: الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ١/٣٩٤-٣٩٥، انظر أيضاً: (Pseudo) Cicero, Rhetorica Ad Herennium, P233.، على أن ابن سنان، خلافاً لغيره لا يخرج هؤلاء الذين لا يستطيعون التعليل والتفسير من دائرة النقد والنقاد.

١٤.في غير واحدة من الطبعات المتداولة من الكتاب:"لا يعرف"، والصواب ما أثبته، بدليل قوله بعد بضعة أسطر من هذه الفقرة نفسها:"المعرب بطبعه وعادته".

لأن العالم بالفصاحة إذا قطع على فصاحة بيت من قصيدة أو فصل من رسالة أو كلمة أو ما أشبه ذلك، وفضّله على غيره، لم يمكنه أن يبيّن من أين حكم، ولا لأيّ وجه فضّل، بل إنما يفزع إلى مجرد دعواه ومحض قوله. فإذا عرف ما بينته وفصّلته في هذا الكتاب علّل واستدلّ، وذكر الوجوه والأسباب، كما أن العارف صحيح النظم بذوقه والمُعرب بطبعه وعادته إذا وقف على علم العروض والنحو علّل في البيت الموزون والكلمة المعربة وقال: هذا إنما كان صحيح الوزن لأنه من الدائرة الفلانية والبحر الفلاني، وضربه كذا، وعروضه كذا، وعدد أجزائه كذا، وذكر ما يحسن فيه من الزحاف ويقبح، وفصّل ما يفصّله العروضيون، وقال في الكلمة المعربة: إنما كانت مثلاً مرفوعة لأنها فاعلة، والفاعل في كلام العرب مرفوع، وما يجري هذا المجرى، وعلى مثل هذا النحو يقول في الفاسد الذي ينفر منه ذوقه أو يكرهه طبعه، ويعلّله على حدّ هذا التعليل الذي ذكرته" (ص٩٦-ص٩٧).

-د-

على أن ثمّة سؤالاً لا مفرّ من مواجهته عند الحديث عن الغرض التعليمي (إنشائياً كان أو نقدياً) من علم الفصاحة: هل يمكن تعليم الفصاحة؟ والجواب عن هذا السؤال هو في حد ذاته جواب مسألة أخرى وهي جدوى تعليم الفصاحة؛ فالفائدة إنما تكون في تعليم ما يمكن تعلّمه واكتسابه. ولا بدّ لنا من أن نقسم حديثنا هنا قسمين يتناول كل منهما واحداً من غرضي هذا العلم: النقدي والإنشائي. وقد ذكرنا أن ابن سنان خصّ الجانب النقدي بعنايته واهتمامه، وتحدث في شيء من التفصيل عن وجه الفائدة من علم الفصاحة من هذه الناحية. ومن حديثه هذا يمكن استخلاص رأيه في إمكانية تعليم فن النقد، إذ إنه لم يخض في هذه المسألة على نحو مباشر.

ليس في كلام ابن سنان ما يدلّ على أنه يشترط توافر صفات بعينها كالذوق أو الموهبة فيمن أراد أن يكون ناقداً، بل المفهوم من سياق كلامه أن باب النقد مفتوح لكل متأدّب؛ فأيّما امرئ وقف على الأصول والمبادئ التي تضمّنتها كتاب "سرّ الفصاحة" وفهمها وأحسن تطبيقها يمكن أن يصبح ناقداً، ولسان حاله

يقول(إذا استعرنا ما علّق به أحدهم على كتاب ماثيو آرنولد "مقالات في النقد"): لا عذر لأحد بعد قراءة هذا الكتاب في ألا يكون ناقداً[١٥]. صناعة النقد إذاً لا تحتاج إلى قدرات خاصة توجد عند بعض الناس دون غيرهم، وإنما هي علم يُكتسب اكتساباً، وهي في متناول الإنسان العادي الذي لديه حظ مقبول من الذكاء والفطنة، ولديه رغبة في تحصيل هذا العلم، وهمّة تدفعه إلى الوقوف على أسراره ودقائقه.

كلامنا هذا يصدق على نحوٍ لا يُحوج إلى مزيد من الشرح والبيان على الطائفة الأولى من متعلّمي النقد: أولئك الذين يجهلون الفرق بين مختار الكلام ومطرّحه؛ فإن قدرتهم على النقد مكتسبة أولاً وأخيراً من علم الفصاحة الذي استحال به عجزهم إمكاناً ولولاه ما استطاعوا التمييز بين الجيد والرديء. والأمر بالنسبة إلى الصنف الآخر من المتعلمين، أي الذين لديهم ما سميناه حسّاً أدبيّاً في التفريق بين الحسن والقبيح – قد يشكل بعض الإشكال، وبخاصة أن ابن سنان يقيس هؤلاء على أصحاب السليقة اللغوية وعلى من لهم طبع في موسيقى الشعر وأوزانه، مما قد يوحي بقدرة فطرية لا مكتسبة. وحقيقة الأمر أن هذا الحس الأدبي في مذهب ابن سنان يكتسبه صاحبه بالدربة والتعلّم، فهو "إنما حصل له ذلك بالمخالطة والمناشدة وتأمّل الأشعار الكثيرة والكلام المؤلّف على طول الوقت وتراخي الأزمنة" (ص٩٦). وجدير بالملاحظة ههنا أن ابن سنان –فيما يبدو– يختار ألفاظه بعناية في هذا السياق؛ ففي حين أنه يكرّر الحديث عن المعُرب "طبعاً" ومن له "ذوق" في موسيقى الشعر، فإنه حريص على الإشارة إلى "العالم بالفصاحة"، و "من له بها معرفة وسابق علم"، أو "له بها دربة"[١٦]، وكلّها عبارات تدلّ على علم حادث مستأنف لا على صفة فطرية متأصلة.

---

١٥. R. A.Scott- James, The Making of Literature, p.262

١٦. انظر: ص٩٦، انظر أيضاً قوله عن نفسه (ص٩٢):"وإنما عرفته (يقصد العلم بالفصاحة والنقد) بالدربة وتأمل أشعار الناس". قارن ذلك بما يقوله Northrop Frye من أن الذوق النقدي يتبع دراسة الأدب ويتطور من خلالها، The Anatomy of Criticism, p.27.

هـسب الحس الأدبي هذا ذوقاً فطرياً، فإن المطلوب من علم الفصاحة عندئذ أن يقدّم لمن لديه ذلك الحس معرفة نظرية اصطلاحية لا أن يوجد الحس نفسه، وهـذه المعـرفة يمكـن تحصـيلها كسائر العلوم والمعارف، وبذلك يظلّ تعليم صـناعة الـنقد بـالقدر الذي يحتاج إليه هذا الصنف من المتعلمين أمراً ممكناً ومجديـاً، حتى لو كان هذا الحس الأدبي عائداً إلى الفطرة والطبيعة، وهو عند ابـن سـنان ليس كذلك. النقد عنده صناعة يتقنها المرء بمعرفته صفات الجودة والـرداءة فـي الكلام، ويأتي ذلك بالخبرة والممارسة، أو بالوقوف على مبادئ علم الفصاحة، أو بهما معاً. فإذا قسنا الأمر على صناعة النجارة مثلاً، كما يفعل ابـن سـنان وغيره[١٧] ، قلنا: قد يتعلّم الفتى النجارة بالممارسة وملازمة أهلها، وقـد يـتعلمها فـي مدرسـة مهنية، وقد يجمع بين الأمرين كليهما بأن يتعلمها بالممارسـة ثـم ينـتظم فـي مدرسة يتعلم فيها هذه المهنة وأصولها على نحو منهجي.

-هـ-

يسـتطيع الجاهل بصناعة النقد أن يصبح ناقداً إذا عرف المعايير التي تميّز مستحسـن الكلام من مرذوله، كما أن الذي لا يعرف شيئاً عن النجارة يمن أن يصـبح نجّـاراً إذا تعلّم مبادئ تلك الصناعة وتدرّب عليها؛ الأمر عائد في هذه وفـي تلـك إلـى معـرفة تُكتسب اكتساباً. ولكن صناعة الإنشاء لها شأن آخر مختلف، فمعرفة أسرار الفصاحة ومبادئها، وإن كانت تمكن المرء من أن يكون نـاقداً يميّز الجيّد من الرديء فيما ينشئه غيره، فإن هذه المعرفة في حدّ ذاتها لا تجعـل مـنه منشـئاً بليغاً؛ "لأن الإنسان قد يكون... عالماً بتمييز مختار الكلام مـن مطّرحه، وليس بينه وبين البلاغة سبب ولا نسب، ولا يمكنه أن يؤلّف ما يخـتاره (أي مـا يستحسنه) من تأليف غيره" (ص٩٥). وما ذاك إلا لأن الأدب عند ابن سنان يتميّز من بين سائر الصناعات في حاجة منشئه إلى موهبة تكون جزءاً من طبيعته التي فُطر عليها، ولا سبيل إلى اكتسابها،" ولهذا لا يمكن أحداً أن يعلّـم الشـعر مـن لا طـبع له وإن جهد في ذلك؛ لأن الآلة (أي الطبع أو

١٧. انظر: ص٩٢-ص٩٥، قارن (مثلاً): قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص١٧، ص١٩.

الموهبة) التي يُتوصّل بها (لقول الشعر) غير مقدورة لمخلوق، ويمكن تعلم سائر الصناعات لوجود كل ما يُحتاج إليه من آلاتها" (ص٩٤) واختصاصه الشعر دون غيره من فنون الأدب بكونه لا يُتعلّم إنما هو على الأرجح من باب التمثيل، لا على سبيل الحصر؛ وذلك لأنه يرى أن الطبع (أي الموهبة) لا بدّ منه لناظم الكلام، شاعراً كان أم ناثراً، وعندما يتحدث عن "طبع هذا الناظم" (ص٩٤)، فإنه يعني بالناظم المنشئ " الذي ينظم الكلام بعضه مع بعض كالشاعر والكاتب وغيرهما" (ص٩٣)، وليس ناظم الشعر وحده[١٨].

الأدب لا يُعلَّم في مذهب ابن سنان، وهذا هو قول عامة البلاغيين والنقاد، ولكننا نجده يقول في موضع آخر وقد ذكر "الإفصاح والبيان والبلاغة وحسن النطق": إن ذلك يستطيع أن يدركه المرء "باجتهاده إن كان لا دربة له، وتكلّفه إن كان لا طبع عنده" (ص٦١). ومعنى هذا أن الإنسان يستطيع بالتكلف والتدريب أن يكون بليغاً دونما حاجة إلى موهبة فطرية، خلافاً لما رأيناه من قبل من كون هذه الموهبة أمراً ضرورياً لا بد منه.

وإذا أردنا أن نوجّه كلام ابن سنان على نحو يخلصه من شبهة التناقض فقد نقول إن كلامه في الموضع الأخير عن التكلّف لمَن لا طبع له إنما جاء في معرض التفريق بين الإنسان والحيوان: لا يكفي عنده أن نعرّف الإنسان بأنه حيوان ناطق؛ فإن الصمت أفضل من الكلام المطّرح المرذول، فصار الكلام الحسن البليغ، لا مجرّد النطق والكلام، هو في نظره الفارق الصحيح بين الإنسان والحيوان[١٩]. ولا بدّ لنا من أن نحمل حديثه عن "الإفصاح والبيان والبلاغة وحسن النطق" على أنه يقصد به القدر العادي من حسن الكلام وسداد المنطق؛ فإن هذا في متناول جمهور الناس، وليس حكراً على الموهوبين،

١٨. انظر أيضاً: إشارته إلى "ناظم الكلام" بمعنى المؤلف الذي ينظم الألفاظ بعضها مع بعض (ص٩٥)، وقوله مخاطباً الشاعر والكاتب كليهما: "والوصية لهما ترك التكلف، والاسترسال مع الطبع" (ص٢٩٠)، وحديثه عن البلاغة بعامة (لا بلاغة الشعر وحده)، وأنه لا يكفي فيها المعرفة بالجيد والرديء، بمعنى أنها تحتاج قبل ذلك إلى الموهبة (ص٥٩).

١٩. انظر: ص٦٠– ص٦١.

بخلاف الشعر والخطابة والكتابة التي يحتاج من يتعاطاها إلى أن يكون ذا موهبة ابتداءً وليست متاحة لكل إنسان. يؤيّد ما قلناه ههنا أن البلاغة هي فرق ما بين الإنسان والحيوان، ولا يمكن أن يكون ابن سنان قصد بالبلاغة في هذا الموضع الشعر وغيره من فنون الأدب؛ فمن غير المعقول أن الإنسانية عنده هي كون المرء كاتباً أو شاعراً أو خطيباً، لأن هذا يستلزم أن من لم يكن كذلك – كما هي حال أكثر الناس– لا يستحقّ أن يرتفع عن الحيوانية إلى مرتبة الإنسانية. وعلى ذلك فإن ما يريده ابن سنان ههنا لا يتجاوز الحدّ المقبول من الإبانة والإفصاح وحسن العبارة مما لا يحتاج إلى موهبة خاصة، وإنما يمكن حصوله بالدربة والتكلّف، وإن كانت الموهبة –إذا وجدت– تغني صاحبها عن ذلك.

وهكذا يتحصّل لنا من مجموع ما ذكرناه أن فن القول عند ابن سنان على ضربين: ضرب يحتاج فيه القائل إلى أن يكون ذا موهبة واستعداد سابق، وهو الشعر قطعاً وسائر الفنون الأدبية على الأرجح، وضرب ثانٍ يمكن اكتسابه وهو الكلام الصواب الواقع في موقعه. ولعل ذلك يشبه ما يسميّه أهل زماننا التعبير الإبداعي الوظيفي. ولما كان تعليم صناعة الإنشاء (بمعنى الأدب الإبداعي) لمن لا طبع له أمراً غير مقدور عليه، فإن من الواضح أن فائدة علم الفصاحة في الضرب الأول محدودة جداً، لأن غاية ما في وسع معلّم الفصاحة أن يقدّمه لهؤلاء –على قلّتهم– أن يصقل مواهب موجودة لديهم، لا أن يوجدها فيهم. أما في الضرب الآخر الوظيفي فإن فائدة علم الفصاحة تعمّ ولا تخصّ، فهو موجه هنا إلى الناس في جمهورهم، لا إلى فئة منهم، ينتفعون به في تحسين أدائهم اللغوي والبيان بمعرفتهم ما يُستجاد وما لا يستجاد من ألفاظ اللغة وأساليب التعبير[٢٠].

على أن ابن سنان يقرّر في وضوح أن "التعبير الإبداعي" هو موضوع بحثه وأنه إنما يتناول "المعاني التي تستعمل في صناعة تأليف الكلام المنظوم

---

20. انظر (مثلاً) آراء في هذه المسألة عند: أحمد الشايب، الأسلوب، ص٣٥-ص٣٦؛ Anthony C. Winkler and Jo Ray Mccuen, Rhetoric Made plain, p.7.

والمنـــثور" (ص٢٣٤) و"الألفاظ المؤلّفة المنظومة على طريقة الشعر والرسائل وما يجري مجراهما فقط، إذ كان ذلك هو مقصودنا في هذا الكتاب" (ص٢٣٥). أما ذلك الحدّ الأدنى من البيان الذي يرتفع به المرء عن الحيوانية إلى الإنسانية فهو باب من القول ساقه إليه الحديث عن أهمية البيان وفضيلته، وليس مقصوداً في نفسه. الأدب الإبداعي "على طريقة الشعر والرسائل وما يجري مجراهما فقط" هو وحـــده موضـــوع علـــم الفصاحة عنده، وأهل الأدب هم بين منشئ له وناقد؛ فأما الإنشـــاء فتعلـــيمه غير ممكن، بينما يمكن لجمهور المتأدبين تعلّم النقد واحترافه. وإنّما علمٍ أو فن ففائدة تعليمه تعتمد على إمكانية تعلّمه واكتسابه، فالأمران (الفائدة وإمكانية التعليم) متلازمان، ووجود أحدهما (أو عدم وجوده) يقتضي وجود الثاني (أو عـــدم وجـــوده)، والحديـــث عن أيّ منهما يغني عن القول في الآخر. ولذلك اكـــتفى ابن سنان ببيان وجه الفائدة من علم الفصاحة في تعليم صناعة النقد، فذلك يعنـــي قطعاً أن تعليم النقد ممكن، واقتصر في صناعة الإنشاء على القول إنها لا تُعلّم، فلم يعد من مسوّغ للخوض في جدوى تعليمها [٢١].

وهكذا وجدنا ابن سنان عندما فصّل القول في فائدة علم الفصاحة سكت عن وجـــه الانـــتفاع به في صناعة الإنشاء،بل إن صناعة الإنشاء بعامة لم تلق إلا اليســـير مـــن عنايـــته، ولعله قد أحسّ بذلك وهو يوشك على الفراغ من تأليف كـــتابه، ووجـــد أنه قد خالف سنّة البلاغيين في احتفالهم بهذه الصناعة، فختم " ســـر الفصاحة" – كما ذكرنا آنفاً– بفصل "فيما يحتاج مؤلف الكلام إلى معرفته "يخاطـــب فيه الأديب المنشئ بخاصة، ولكن مما له دلالة كبيرة في هذا السياق أنه تناول ههنا بشيء من التفصيل حاجة المنشئ إلى علوم عدّدها (اللغة والنحو والصرف والعروض والقافية) ولم يكن علم الفصاحة واحداً منها.

---

٢١ . قارن مذهب ابن سنان هنا برأي Norhtrop Frye في أن تعليم الأدب غير ممكن، وأن نقد الأدب هو كل ما يمكن تعليمه The Anatomy of Criticism, pp.11,342,

لا تخلو نظرية ابن سنان من مواضع يتحدث فيها إلى الأدباء المنشئين، أو يمكن أن تؤولّ على أنها كذلك، كما ستجده فيما يأتي من هذا البحث، ولكنها مواضع قليلة، والنقد هو الغالب على كتابه، وكأن تعليم النقد هو الموضوع الحقيقي لعلم الفصاحة في مذهبه؛ فأنت تتحدّث ههنا عن تعليم ما تعليمه ممكن، وعن الغرض مما يحقق غرضاً، فضلاً عن أن الفائدة (المحدودة) التي يجنيها من علم الفصاحة من له طبع في صناعة الإنشاء متضمنّة في ذلك الجانب النقدي منه بعينه؛ فإذا وقف الأديب على المعايير النقدية التي بها يتميّز الجيد من الرديء في الكلام اهتدي بها فيما ينشئه هو نفسه، كما أشرنا سابقاً، فعندما يقول ابن سنان مثلاً إن الفنون البلاغية "إنما يحسن منها ما قلّ وجرى مجرى اللمعة واللمحة، فأما إذا تواتر وتكرّر فليس عند ذلك مرضيّاً" (ص١٨٩) – فإنه يضع معياراً يحكم به الناقد على قصيدة قيلت ليرى مدى بعدها عنه أو قربها منه. وهذا المعيار النقدي يتضمّن في الوقت نفسه توجيهاً لمن أراد أن ينظم قصيدة في أن يقتصد في استعمال تلك الفنون لتحظى قصيدته بالقبول والاستحسان. وهكذا تكون وظيفة النقد مزدوجة.

– و –

وإذ قد عرفنا من علم الفصاحة والمتعلّمين الذين يمكنهم الانتفاع به، فإن ثمّة مسألة أخرى: ماذا نعلّم؟ معلّم النقد، أو العالم بالفصاحة عند ابن سنان، يريد أن يضع بين يديك خلاصة تجربته ورحلته الطويلة في عوالم الأدب، ولكن ليس لك أن تتوقّع منه أن يحدّثك بالتفصيل عن كل ما رآه وسمعه في رحلته هذه التي امتدّت عبر السنين، ولا أن تنتظر منه أن يقفك على جزئيات تجربته ودقائقها كلّها، فذلك أمر خارج عن حدود الإمكان. لا يستطيع معلم النقد إلاّ أن يصوغ تلك التفصيلات والدقائق والجزئيات في هيئة مبادئ كلية وأسس عامة تطلعك على ما يُستحسن أو يستقبح في عناصر النص الأدبي، وأنت بعد ذلك تعرض القطعة التي تنوي نقدها على تلك المبادئ والأسس فيتبيّن لك مدى ما في تلك القطعة من حسن أو قبح، يقول ابن سنان:"الفصاحة عبارة عن حسن التأليف في الموضوع المختار، فإذا كنت قد ذكرت الموضوع، والوجه في اختياره، وعلى أيّ صفة يكون المرضيّ منه والمكروه بما فيه مقنع أو كفاية، ثمّ شرعت الآن في الكلام على التأليف بحسب ذلك، وبيّنت منه الوجوه التي بها يحسن أو يقبح -كان الكلام في معرفة الفصاحة وحقيقتها واضحاً جليّاً، وأمكن

مَن لم تكن له بها دربة ولا معرفة الفرق بين فصيح الكلام وغيره باعتبار الصفات التي ذكرتها... وليس يمكن إيضاح الفصاحة لمن يجهلها إلاّ بهذا السبب وعلى هذا النحو، لأن من له بها معرفة وسابق علم إنما حصل له ذلك بالمخالطة والمناشدة وتأمّل الأشعار الكثيرة والكلام المؤلّف على طول الوقت وتراخي الأزمنة. وليس يمكنه أن يُحضر لمن أراد تعليمه كلّ بيت سمعه، وفصل تأمّله، ولفظة كرهها، ومعنى حكم بفساده أو بصحتّه؛ لأن هذا يحتاج إلى الزمان الطويل والأيام الكثيرة، بل ولا يمكن حصوله البتّة[٢٢]، فلا طريق إلى العلم بما شرحته إلاّ من هذا النحو الذي قصدته، والطريق الذي سلكت فيه" (ص٩٥-ص٩٦).

علم الفصاحة، أو علم النقد، الذي يريد ابن سنان أن يؤسّس له يتناول إذاً المبادئ الكلية العامة. وهذه العمومية هي في حدّ ذاتها، أي حتى لو لم تكن الضرورة قد ألجأت إليها مطلب تعليمي؛ فإن المتعلم يضيق بكثرة الجزئيات والتفصيلات والتفريعات، وأصحاب المنهج التعليمي من أي علم أو باب من المعرفة يختصرون مادة ذلك العلم في مبادئ أو "تعميمات" ينتظم كل منها كثيراً من التفصيلات، تيسيراً على المتعلم الذي يستدلّ بما عرفه على ما لم يعرفه من الأشباه والنظائر[٢٣].

مبادئ علم الفصاحة عامة بالمعنى الذي تقدّم، وهي عامة بمعنى آخر، وهو أنها لا تختصّ بنوع أدبي دون غيره؛" إن للكتب السلطانية من الطريقة ما لا يستعمل في الإخوانيات، وللتوقيعات من الأساليب ما لا يحسن في

---

٢٢. قارن ذلك بما يقوله الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ٣٩٣/١. ويكاد يكون من المؤكد أن ابن سنان قد انتفع هنا بما جاء به الآمدي، ولكن ابن سنان استخدم فكرة الآمدي للوصول إلى نتيجة مخالفة تماماً لتلك التي يريدها صاحب الموازنة.

٢٣. ولذلك تجد ابن سنان وهو يقرر أصوله ومبادئه يشير في غير موضع إلى أنها مما يستدل بها على غيرها، انظر: ص٦٣، ص٨٩، ص٩٢، ص١٤٥، ص٢٧٨.

التقاليد"(٢٥٦)، وابن سنان إنما يتناول المعايير التي تصدق على كل نوع أدبي، يستوي عنده في ذلك منظوم الكلام ومنثوره[٢٤].

وهذه المبادئ عامة بمعنى ثالث، وهو أنه لا اعتداد عند صياغتها بما يرجع إلى الميول والأذواق المتقلّبة التي تتغيّر بتغيّر الزمان وتبدّل الأوقات، أو يعود إلى مواضعات الناس واصطلاحاتهم في عصر بعينه. مبادئ النقد عند ابن سنان تتجه إلى ما هو ثابت لا يلحقه التغيير؛ دونك مثلاً قول البحتري يمدح الخليفة:

لا العذل يردعه ولا التـ عنيف عن كرم يصده

فإن هذا المدح لا يصلح للأئمة والخلفاء "ومن هو الذي يجسر على عذل الخليفة وتعنيفه؟!" (ص٢٥٧)، وهذا أمر لا يختص بزمن دون آخر، (ولا فرق بين أن يكون قد ورد في قصيدة أو رسالة أو خطبة) [٢٥].

التأليف في النقد عند ابن سنان ينبغي أن يتعلّق بالثوابت، ويُعرض عن المتغيّرات. يقول بعد أن تحدث عن اختلاف المواضعات والاصطلاحات بين فنون النثر من كتب سلطانية وإخوانيات وتوقيعات:" وهذا الباب، أعني المواضعة والاصطلاح في الخطاب، يتغيّر بحسب تغيّر الأزمنة والدول؛ فإن العادة القديمة قد هُجرت ورُفضت، واستجدّ الناس عادة بعد عادة، حتى إن الذي يُستعمل اليوم في الكتب غير ما كان يُستعمل في أيام أبي إسحاق الصابي (-٣٨٤هـ)، مع قرب زمانه منّا. وإذا كان الأمر على هذا جارياً، فليس يصحّ لنا أن نضع رسوماً نوجب اقتفاءها؛ لأنّا نحن في هذا الزمان قد غيّرنا الرسم المتقدّم لمن قبلنا، وكذلك ربما جرى الأمر فيما بعدنا[٢٦]، ولكنّ أصول الأغراض في الأوصاف والمعاني مما لا تتبدّل ولا تتغيّر، فليكن الالتمام بها

---

٢٤. يقول ابن سنان (ص٧٧):"كلامي عليهما (أي الشعر والنثر) واحد" قارن: ص٢٢٠.

٢٥. انظر أمثلة أخرى ص٢٥٧-ص٢٦٥.

٢٦. كلامه هنا موجّه إلى الناقد الذي يصوغ الأسس والمبادئ، أما الكاتب فيحتاج إلى معرفة تلك الرسوم ومراعاتها كما يقول ابن سنان نفسه في موضع آخر، انظر: ص٢٩٠.

واقعاً، والاجتهاد في جريها على قانون السداد والصواب حاصلاً" (ص٢٥٦-ص٢٥٧).

واضح من كلام ابن سنان هنا أنه ألّف كتابه لا لأبناء عصره وحسب، بل لطلاب النقد في أي عصر لا على التعيين؛ إنه يطمح إلى أن يضع دستوراً للنقد لا تنتهي مدّة صلاحيته عند تاريخ ما، وأن يقيم صرحاً مشيّداً لا يتخوّن بنيانه تعاقبُ الفصول، ولا يضعضع من أركانه تطاول الأعوام والقرون -لا أن يخطّ على الأرض رسوماً تعفيّها رياح الزمن. ينبغي لمعلّم الفصاحة إذاً أن يضع لطلاب النقد من المبادئ والمعايير ما هو صالح للدوام والاستمرار، وعند ابن سنان أن ذلك يتحقّق باستبعاد الأساليب الأدبية التي يكون لها رواج في وقتٍ ما ثم يؤول أمرها إلى أن تُهجر ويستبدل بها غيرها[٢٧]، والاقتصار على "الأصول" أو المبادئ التي يلتقي عليها الناس على اختلاف أزمانهم، لكونها (في رأيه) مما يقرّه العقل أو يشهد به الحس السليم. لا خلاف مثلاً في أن البحتري لم يكن مصيباً في مدحه الخليفة في البيت الذي مرّ ذكره. وعند ابن سنان أن اللفظ المؤلّف من حروف متجاورة في مخارجها قبيح،"والشاهد على ما ذكرناه الحسّ؛ فإن الكلفة في تأليف المتجاور ظاهرة، يجدها الإنسان من نفسه حال التلفّظ به" (ص٥٨)؛ ولذلك تجد ابن سنان يتحدث عن المبادئ التي تضمّنها كتابه بأنها مما لا يمكن المنازعة فيه، أو "لا يخفى على أحد"، وأن من خالفه فيها مكابر أو "جاحد للضرورة لا تحسن مناظرته"، أو أنه قد "خرج من جملة العقلاء"، أو "بان فساد قوله لكافة العقلاء"[٢٨].

ولما كانت تلك المبادئ على هذا النحو من كونها لا تحتمل الخلاف[٢٩] في رأي ابن سنان لأنها مؤيّدة بالعقل والحس السليم -فإنها عنده قوانين ملزمة

---

٢٧. قارن ذلك بالتفريق بين مبادئ النقد والأذواق المتقلّبة في: Northrop Frye, The Anatomy of Criticism, p.9 ff.؛ وانظر ما له صلة بذلك أيضاً في: R.A. Scott- James, The Making of Literature, PP.146,154

٢٨. انظر :ص٦٣، ص٦٤، ص١٣٢، ص٢٨٣، ص٦٥، ص١٣٤ على التوالي.

٢٩. يرى ناقد معاصر أن ما يجعل تعليم الأدب أمراً ممتعاً هو عدم وجود أحكام نهائية فيه، ولكنه يستحسن أن تكون الأحكام في المراحل الأولى من تعليم النقد واضحة وحاسمة وغير خلافية قدر المستطاع: انظر D.H. Rawlinson, The Practice of Criticisim, p.7.

"توجب اقتفاءها" و"الائتمام بها" (ص٢٥٧)، وليست مجرد آراء أو وجهات نظر. وهكذا فإنه يتصوّر أنه قد أدرك الغاية التي طالما سعت إليها همّة النقاد: أن يضع بين أيدي طلاب النقد علماً ذا أصول مقررة مضبوطة كسائر العلوم، ويتراءى له أنه قد استطاع بذلك أن يعيد القانون والنظام إلى دولة الأدب بالقضاء على أسباب الفوضى والاضطراب في الأحكام النقدية. هذه الأسباب يمكن ردّها إلى أمرين: صدور الناقد في حكمه عن الهوى والغرض، أو أن من يصدر ذلك الحكم النقدي ليس بناقد أصلاً بل هو دعيّ في هذه الصناعة. ومتى استوى النقد علماً ذا أصول مقرّرة أصبحت الأمور مضبوطة، وصار صعباً إن لم يكن متعذراً على الطائفتين جميعاً من أصحاب الأهواء والأدعياء أن يفسدوا المشهد النقدي.

الطائفة الأولى ممن يحكّمون أهواءهم ويستسلمون للتعصّب تجدهم يفضّلون ما يوافق طباعهم وأغراضهم أو يستجيدون شعر من يوافقهم في النّحلة والمذهب، أو يمت بالمودّة أو النسب. ووجود أصول نقدية مقرّرة كفيل بأن يكشف عوار هذه الأحكام النقدية وأمثالها، وأن يبيّن تهافتها، فهذه "كلها أقوال صادرة عن السهوى"، ومقصورة على محض الدعوى، من غير دليل يعضدها، ولا حجّة تنصرها، والطريق الذي يؤدّي إلى المقصود من معرفة المختار في الألفاظ والمعاني هو ما ذكرناه (من الأصول والمبادئ) ونبّهنا عليه" (ص٢٨٥).

وأما الطائفة الأخرى من الأدعياء الذي ينتسبون إلى هذه الصناعة وليسوا من أهلها، فقد تبيّن لابن سنان أن وجودهم صار مرضاً مزمناً يلازم الدراسة الأدبية و"أن العادة به جارية، والرزيّة فيه قديمة" وأنه أعيا النقاد قبله كالجاحظ والآمدي[٣٠]. لقد استفحل هذا الداء مما جعل الحاجة إلى كتاب يبيّن أصول الفصاحة أمراً ملحًّا:"ولما ذكرته (أي هذا الداء) رجوت الانتفاع به من هذا الكتاب، وأمّلت وقوع الفائدة به، إذ كان النقص فيما أبنته شاملاً، والجهل به عامّاً،

---

٣٠. انظر: ص٦٣، انظر أيضاً: ص١٤٨، ص٢٢٤-ص٢٢٥؛ قارن: الجاحظ، كتاب فصل ما بين العداوة والحسد، رسائل الجاحظ، ١/٣٣٨ وما بعدها؛ الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ١/٣٨٩-٣٩٦

والعارفون حقيقته قرحة الأدهم[٣١] بالإضافة إلى غيرهم، والنسبة إلى سواهم" (ص٦٣). عدم وجود أصول محدّدة للفصاحة كان بيئة مواتية لهؤلاء الأدعياء، أما وقد وضع ابن سنان بين أيدي المتأدبين أسساً ومبادئ يرجعون إليها، فإن من عرفها وأحسن تطبيقها والقياس عليها صار قادراً على الخوض في حديث الفصاحة، ومن لم يكن كذلك أبان عن جهله بها وتخلّفه فيها، وبذلك تصبح هذه المعرفة فيصلاً في التمييز بين من هو من أهل هذه الصناعة وذلك الذي هو دعيّ فيها[٣٢].

-ز-

والمبادئ والأصول التي يريد ابن سنان صياغتها تتعلق بأمور مثل اللغة والألفاظ والأصوات وغيرها مما يتناوله علم الفصاحة، وهذه أمور تداولت البحث فيها طوائف شتّى من المفكرين من بلاغيين ونقاد ولغويين ونحويين ومتكلمين. ولكن ابن سنان يأخذ على هذه الفئات عزلة كل فئة منها عن الأخرى، وعدم استفادتها من النتائج أو الإنجازات التي انتهى إليها غيرها؛ فأهل اللغة والنحو لم ينتفعوا في حديثهم عن اللغة وأصواتها وحروفها بأبحاث المتكلمين،وهؤلاء أيضاً فاتهم أن يطّلعوا على مباحث اللغويين والنحويين في هذا الشأن، "وأهل نقد الكلام فلم يتعرّضوا لشيء من جميع ذلك، وإن كان كلامهم كالفرع عليه" (ص١٥). لقد أعرض البلاغيون والنقاد عما جاء عند الفريقين جميعاً مما يتصل باللغة وحروفها وأصواتها، على الرغم من أن موضوع النقد والبلاغة والأدب هو فن لغوي أولاً.

ابن سنان يريد أن يقدّم لطلاب النقد أصولاً ومبادئ تتجاوز الإطار الضيّق للبلاغة التقليدية لتشمل ما يمكن الاستفادة منه من دراسات النحاة والمتكلمين، في منهج تكاملي يؤازر فيه النحو علم الكلام في إغناء مبادئ

---

٣١. القرحة في وجه الفرس ما دون الغرّة، والأدهم الأسود (انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة ق ر ح ومادة د هـ م)، والمقصود بقرحة الأدهم هنا القلة والندرة.

٣٢. أو تكون هذه المعرفة، كما يقول علي بن خلف الكاتب،" حاكماً يُتحاكم إليه، ومحكًّا يُعرض من اعتزي إلى هذه الصناعة عليه"، مواد البيان، ص٢٧.

البلاغة وتطويرها وارتياد آفاق جديدة لها. إنه يرى في ذلك مزيّة تفرّد بها كتابه عمّا ألف في موضوعه: "فإذا جمع كتابنا هذا كلّه، وأخذ بحظ مقنع من كل ما يحتاج الناظر في هذا العلم إليه، فهو مفرد في بابه، غريب في غرضه" (ص١٥). على أن علم الكلام هو الأثير إلى نفسه، وكتابه يتحدث عن مدى احتفائه بهذا العلم الذي يضعه في منزلة لا يرقى إليها علم النحو، وكأنه يرى في الاستعانة بعلم الكلام (بل والفلسفة كذلك، فإننا نجد لها حضوراً في كتابه) [٣٣] ما يراه بعض البلاغيين من أهل زماننا هذا من ضرورة الاستفادة من العلوم العصرية كعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرهما في الدراسة البلاغية[٣٤]، فقد يجوز لنا أن نقول إن الثقافة العصرية كانت تُطلب في تلك الأيام في علم الكلام وما يليه من الفلسفة والمنطق [٣٥].

-ح-

علم الفصاحة إذاً لا بد من صياغته في هيئة أصول أو مبادئ كلية هي مادة الدرس (أو محتواه كما يقول المربّون)، كما أنها في الوقت نفسه طريقة في التعليم؛ فهي مضمون علم الفصاحة الذي يتألّف من مجموعها، وهي أيضاً الطريق التي يتعيّن على عالم الفصاحة سلوكها لنقل تجربته إلى الآخرين. على أننا ونحن نتناول الصياغة نفسها، فإن حديثنا إنما هو ألصق بطريقة التعليم منه بالمحتوى والمضمون، إذ يتصل الأمر ههنا بالأسلوب الذي يُتّخذ لتقديم ذلك المضمون ووضعه بين أيدي المتعلمين. وللمصطلحات والتعريفات والأمثلة في هذا الشأن أهمية خاصة؛ فأصول علم الفصاحة تتضمن مفاهيم توضع لها مصطلحات أو أسماء تدل عليها، وتعريفات تحدّدها، وتُختار لها أمثلة تجسّدها.

---

٣٣. انظر مثلاً: ص١٥ (س٦)، ص٣٧-ص٣٨، ص٦٠ (الفقرة الأخيرة)، ص٩٣.

٣٤. انظر أمين الخولي، فن القول، ص٢٦٢ ص٢٦٣؛ أحمد الشايب، الأسلوب، ص٣، ص٢٢؛ محمد علي رزق الخفاجي، علم الفصاحة العربية، ص١٢، ص٤١٩؛ محمد أبو موسى، التصوير البياني، ص٢٤؛ خليل كفوري، نحو بلاغة جديدة، ص١١.

٣٥. لعل ذلك يظهر في حملة ابن قتيبة على أصحاب هذه الثقافة وسخريته منهم، انظر: أدب الكاتب، ص٦-ص٩.

المصـــطلحات لم تنل من اهتمام ابن سنان سوى إشارة سريعة إلى اختلاف التســـميات ودلالاتهـــا[٣٦]. ومعـــروف أنه في الوقت الذي وضع فيه ابن سنان كـــتابه[٣٧] كـــان التألـــيف في البلاغة قد مضى عليه زمن ظهرت فيه مؤلفات متـــنوعة، وكثرت الأبواب والمصطلحات البلاغية، وتعدّدت أحياناً الأسماء التي تطلـــق على فنٍ بعينه أو المفاهيم التي تشترك في اسم واحد، لاختلاف المؤلفين وعـــدم التزامهم لغة اصطلاحية موحّدة. وابن سنان يكرّر ما يقولّه غيره من أن التســـمية لا مـــنازعة فـــيها[٣٨]، بمـــا يعنـــيه ذلك من كون التعدّد في الأسماء والمســـمّيات أمـــراً مـــباحاً مشروعاً، ولكنه وإن لم يأت برأي صريح في هذه المســـألة، إلا أن ضـــيقه بهذا التعدد أمر لا تخطئه العين. وليس أدلّ على ذلك مـــن مشـــاركته فـــي الحملـــة على قدامة بن جعفر، لانفراد قدامة بمصطلحات ومفاهـــيم شـــذّ فيها عمّا استقرّ عليه العرف عند جمهور البلاغيين قبله[٣٩]. ابن ســـنان ناقد معلم، ولا يخفى ما في ذلك التعدد من فوضى في المصطلحات مما يؤدّي إلى إرباك المتعلم والتشويش عليه.

ولئـــن كانـــت المصـــطلحات لم تظفر إلاّ بهذا القدر الضئيل من عناية ابن ســـنان، لقد وقف عند مسألتي التعريفات والأمثلة وقفة متأنّية، وخصّ كلاً منهما بعـــبارات صريحة تنبئ عن مذهبه فيهما، وما يرتضيه أو لا يرتضيه في تناول كـــل منهما. وهو في التعريفات يبيّن رأيه في معرض ردّه تعريفات من سبقوه، كما تتضح ههنا آثار ثقافته الكلامية. لقد كانت الحدود والتعريفات موضع عناية المـــناطقة والمتكلمين، فتحدثوا عن شروطها وما يجب أن يُحترز عنه فيها[٤٠]؛ فمن ذلك أنه لا يجوز تعريف الشيء بنفسه أو بما يساويه في المعرفة أو بما هو

٣٦. انظر: ص٢٨٥، انظر أيضاً؛ ص١٦٠.

٣٧. فرغ من تأليفه عام ٤٥٤هـ، انظر: ص٢٩١.

٣٨. انظر: ص١٩٥، ص٢٠٠؛ قارن: قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص٢٢؛ الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ٢٧٥/١.

٣٩. انظـــر: ص١٥٧-ص١٥٨،ص١٩٥، ص١٩٩-ص٢٠٠؛ قـــارن: الآمـــدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ٢٧٥/١، ٢٧٧؛ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ص١٦٢.

٤٠. انظر: ابن سينا، الحدود، ص٢٣٢-ص٢٣٩؛ الغزالي، الحدود، ص٢٦٦-ص٢٨٠.

أخفى منه، إذ لا يجوز تعريف المجهول بالمجهول[٤١]. وغير واحد من التعريفات التي رفضها ابن سنان لا يتوافر فيها هذا الشرط، كقولهم مثلاً في حدّ الكلام: إنه "فعل المتكلم" فإن "من عقل كونه متكلماً عقل الكلام ولم يحتج إلى حدّه" (ص٣٩). أو قولهم: إنه "ما أوجب كون المتكلم متكلماً"، أو قولهم:"ما يقول بذات المتكلم"؛ فإن "هذا كلّه فرع على عقل المتكلم وتحقّقه، وذلك لا يتمّ إلاّ بعد المعرفة بالكلام...ثم السؤال فيه باق، فهذا الذي أوجب كون المتكلم متكلماً أو قام بذاته ما هو؟" (ص٣٩). طالب الحد إنّما يسأل عن ماهية الشيء الذي يكون به قوامه[٤٢]، ولا يكون الحدّ على الحقيقة ما لم يصلح لأن يكون جواباً عن هذا السؤال، ومثل هذه التعريفات "إحالة على مبهم، والسؤال باقٍ" (ص٤٥).

وقد استوقفت ابن سنان حدود البلاغة بوجه خاص، ونظر في بعض التعريفات المتداولة[٤٣] آنذاك لينتهي إلى أنها من باب تعريف المجهول بالمجهول، وبذلك "يفسد قول من ادّعى أن حدّها الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خطل، وقول من قال: البلاغة اختيار الكلام، وتصحيح الأقسام؛ لأن هذين إنما سئلا عن حدّ يبيّن الكلام المرفوض من المختار، والخطأ من الصواب، ويوضّح كيف يكون الإيجاز مختاراً، ومتى يقع الإطناب مرضيّاً محموداً، فأحال على ما السؤال فيه باق، وعدم العلم معه موجود حاصل" (ص٥٩-ص٦٠). وشبيه بذلك قول القائل في تعريف البلاغة "أن تصيب فلا تخطئ، وتسرع فلا تبطئ"، فهو "إنما سئل عن بيان الصواب في هذه الصناعة من الخطأ، فجعل جواب السائل نفس سؤاله" (ص٥٩). هذه تعريفات قيلت في الإجابة عن سؤال عن البلاغة ما هي، فعرّفت البلاغة بأنها قدرة لا عجز، وصواب لا خطأن وكلام مختار لا مطّرح. والسائل لا يجهل ذلك؛ فهو يعرف أن البلاغة صفة قدرة لا عجز، وأنها قدرة على الإصابة وعلى الإتيان بالكلام الجيّد المختار، ولكنه يريد أن يعرف ماهيّة هذا الكلام الجيد الذي نسميّه بليغاً، وكيف يميّزه من غيره، وكيف يفرّق بين

---

٤١. السكاكي، مفتاح العلوم، ص٤٣٧.

٤٢. انظر:الغزالي، الحدود، ص٢٧١-ص٢٧٣.

٤٣. انظر مثلاً: الجاحظ البيان والتبيين، ١/٨٨-٩٧؛ ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ١/٢٤١-٢٥٠.

الصواب والخطأ، وكيف يتبيّن آثار تلك القدرة البلاغية ودلائلها، وهذه أسئلة لم يتلقّ السائل (أو المتعلم) جواباً عنها؛ فهو إنما سأل عن هذه القدرة البلاغية التي تمكّن لصاحبها في أن يأتي بالصواب لا الخطأ (وبالإيجاز في موضعه، والإطناب في محلّه الخ...) فقيل له: هي أن يأتي المتكلم بالصواب لا الخطأ.

ثمة عيوب أخرى في تعريفات البلاغة المتداولة، فالتعريف الأخير (أن تصيب فلا تخطئ الخ...) "يصلح لكل الصنائع، وليس بمقصور على صناعة البلاغة وحدها" (ص٥٩). تفوّق الصانع في صناعته، مهما كانت تلك الصناعة، هو في مدى إجادته لها وسرعته في أدائها، فليس في هذا التعريف ما يميّز صنعة البلاغة من غيرها، وكذلك تعريف بعضهم البلاغة بأنها "لمحة دالّة" لا يختص بالبلاغة وحدها "لدخول الإشارة من غير كلام يُتلفّظ به تحت هذا الحدّ" (ص٥٩). وفي هذا التعريف عيب آخر، فهو مجرد "وصف من صفاتها(يقصد بذلك الإيجاز)، فأما أن يكون حاصراً لها، وحدّاً يحيط بها، فليس ذلك بممكن" (ص٥٩). أهل المنطق يقرّرون "أن الغرض بالحد هو الإحاطة بجوهر المحدود على الحقيقة، حتى لا يخرج منه ما هو فيه، ولا يدخل فيه ما ليس منه"[٤٤]، أو في عبارة المتكلمين: أن يكون التعريف جامعاً مانعاً[٤٥]، "ونعني بالجامع كونه متناولاً لجميع أفراده... وبالمانع كونه آبياً دخول غيره فيه"[٤٦]، وهكذا فإن تعريفات البلاغة التي انتقدها ابن سنان ليست جامعة ولا مانعة.

هذه أمثلة من تعريفات البلاغة قبل ابن سنان، وهي في أحسن أحوالها عنده "إذا حُقّقت كانت كالرسوم[٤٧] والعلائم، وليست بالحدود الصحيحة" (ص٥٩)؛ فقد تومئ إلى مفهوم البلاغة، وقد تصف جانباً من جوانبه، ولكنها لا تتحقّق فيها

٤٤. جابر بن حيان، الحدود، ص١٦٥؛ وانظر علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، ص٢٩.
٤٥. الغزالي، الحدود، ص٢٨٠.
٤٦. السكاكي، مفتاح العلوم، ص٤٣٦.
٤٧. يفرق المناطقة بين الحد والرسم (انظر مثلاً: جابر بن حيان، الحدود، ص١٨٥)، والرسم عندهم أدنى مرتبة من الحد، ولكنهم قد يتسامحون في تسميته حداً، إذ كان كالحد يميز الشيء من غيره، أما عند ابن سنان فإن من غير الواضح أن لكلمة الرسوم معنى اصطلاحياً، إلا أن من الواضح أن الرسم عنده لا يميز الشيء من غيره، وانه ليس شبيهاً بالحد أو قريباً منه.

شروط التعريف. وهي بعد ذلك عبارات مبهمة لا تخلو من شيء من الحذلقة وتعمّد الأغراب. وما زال البلاغيون والنقاد من قدماء ومحدثين يأخذون على أهل صناعتهم غموض لغتهم وافتقار عباراتهم وتعريفاتهم إلى الدقة والتحديد[٤٨]، وفي هذا المعنى يقول ابن سنان:"والحدود لا يحسن فيها التأوّل، وإقامة المعاذير، وغرابة ألفاظ لا تدل على المقصود؛ لأنها مبنيّة على الكشف الواضح، موضوعة للبيان الظاهر، والغرض بها السلامة من الغامض، فكيف يوقع في غامض بمثله؟!" (ص٥٩) وانتقادات ابن سنان هذه لسابقيه كافية في إيضاح مذهبه الذي شُغل بنقدهم عن بيانه: ينبغي أن يكون التعريف مبنيّاً لحقيقة الشيء، شاملاً لجميع جوانبه أو أفراده، رافضاً لما ليس منه مميّزاً له عن غيره، وأن يصاغ في عبارة واضحة دقيقة.

-ط-

والتعريفات، مهما كانت مستوفية لشروطها ومحكمة في صياغتها، فإنها وحدها غير كافية في إيضاح المفاهيم النقدية أو البلاغية في أذهان المتعلمين، فهذه المفاهيم تبقى نظرية مجرّدة ما لم تشفع بالأمثلة التي تنتقل بالمتعلم من المفهوم المجرّد إلى المثال المحسوس. وهذه، كما يقول ابن سنان،" فائدة التمثيل في جميع العلوم" (ص٢٣٢). لقد كانت الأمثلة موضع خلاف منذ القديم إن كانت وظيفتها البرهان أو الإيضاح[٤٩]، أي هل يُستدل بها على صحّة مبدأ بلاغي ما أم أن الغرض منها فهم المقصود بذلك المبدأ وحسن تصوّره واستيعابه فحسب. وعند ابن سنان أن المثال للإيضاح ليس غير "يُتدرّب بتأمّله على فهم مرادنا؛ فإن الأمثلة توضح وتكشف، وتخرج من اللبس إلى البيان، ومن جانب الإبهام إلى الإفصاح" (ص١٤-ص١٥).

---

٤٨. انظر: ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، ص١٦٣؛؛ السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ١/١٢٣-١٣٠؛ I.A.Richards, Principles of Literary Criticism, p.2 ومن الطريف أن ريتشاردز يحشد هنا، كما فعل ابن سنان، عدداً من التعريفات والعبارات التي جرت على ألسنة النقاد ليبين افتقارها إلى الوضوح والتحديد.

٤٩. انظر في هذا الشأن: (pseudo) Cicero, Rhetorica Ad Herennium, pp.231, 237-238

المثال عند ابن سنان إذاً وسيلة إيضاح أو "وسيلة تعليمية"، في اصطلاح المربيّن؛ يقول في الحديث عن الاستعارة مثلاً:" وإذا ذكرت الأمثلة بأن (والصواب بان) القريب في الاستعارة من البعيد، وعُرف المرضيّ منها والمكروه" (ص١٢٠). ولأهمية الأمثلة عنده من هذا الجانب فإنه يذكر أنه كان على نيّة أن يذيّل كتابه "بقطعة مختارة من النظم والنثر، يُتدرّب بالوقوف عليها في فهم ما ذكرناه من أحكام البلاغة،وكشفناه من أسرار الفصاحة، لكنّا فرقنا من الإطالة والتثقيل على الناظر فيه بالملل السآمة، فعدلنا إلى وضع ذلك في كتاب مفرد [٥٠]" (ص٢٩١). على أن إدراكه للقيمة التعليمية للأمثلة دفعه إلى الإكثار منها؛ يقول في الحديث عن الاستعارة أيضاً:"ولها تأثير في الفصاحة ظاهر... ولأجل هذا أحتاج إلى إيضاحها ووصف ما يحسن منها ويقبح، والإكثار من الأمثلة التي تدلّ على ما أريده" (ص١٢٠). وهكذا تجده يسوق عدداً من الأمثلة على المسألة الواحدة، ولا يكتفي ببيت أو جزء بيت كما يفعل بعض البلاغيين من المتأخرين.

وممّا يتميّز به ابن سنان أنه كان حريصاً على بيان منهجه في اختيار أمثلته، فهو صاحب خطّة في التمثيل واضحة لديه، وقد ذكر في بيانها أن ثمّة أموراً ثلاثة روعيت عند اختيار أمثلته:

- أن يكون جلّ أمثلته من الشعر لا النثر.
- وأن يختارها من شعر "الفحول المتقدمين في هذه الصناعة" بخاصة.
- وأن تحدّد هذا الاختيار اعتبارات موضوعية محض[٥١].

وهذه الأسس الثلاثة التي أقام ابن سنان خطّته في التمثيل عليها، لها أبعاد تعليمية قد تقوى وقد تضعف، ولكنها في مجملها يمكن في نهاية الأمر ردّها بوجه من الوجوه إلى المنطلقات التعليمية التي يصدر عنها.

---

٥٠. لم يصل إلينا كغيره من كتب ابن سنان، ولا نعرف من أمره شيئاً.

٥١. انظر: ص٧٤،ص٧٦- ص٧٧،ص١٤٤-ص١٤٥.

على أن ابن سنان إنما بيّن معالم خطته هذه في أثناء حديثه عن الأمثلة التي أنكــرها لا تلــك التي استحسنها، إلا أننا نستطيع القول إن معظم ما ذكره في هذا السياق يصلح لأن يصوّر منهجه في اختيار أمثلته بوجه عام، سواء أكانــت أمــثلة على جيد الكلام أم على رديئه. وربما بدا للناظر أن عموم مــنهج ابن سنان للصنفين كليهما أمر غير ذي صلة بالجانب التعليمي الذي نتحدث عنه، ولكن حقيقة الأمر أن الكلام على هذا الجانب بعينه كما سنرى في غير موضع -يتوقّف إلى حدّ غير قليل على كون منهجه مقصوراً على أحد الصنفين أو أنه عام فيهما معاً. ومن هنا كان لا بد لنا من أن نشير إلى مســألة العمــوم أو الخصوص هذه ونحن نفصّل القول في الأسس الثلاثة لمنهجه.

ولعــلّ ذلــك العموم أكثر ما يكون وضوحاً في إيثار ابن سنان الشعر على النــثر (الأساس الأول في منهجه). يقول في بيان ذلك وتعليله:" فأما اقتصاري فــي أكــثر ما أمثّل به على المنظوم دون المنثور،مع أن كلامي عليهما واحد، فإنمــا أقصد ذلك لكثرة المنظوم واشتهاره، ورغبتي في أن يسهّل الوزن عليك حفــظ مــا أذكره، فإنه داعٍ قوي، وسبب وكيد" (ص٧٧) وإذا دقّقتَ النظر في ألفــاظ ابن سنان هنا (وبخاصة قوله "في أكثر ما أمثّل به")، وفي الأسباب التي علّــل بهــا مذهبه في التمثيل بالشعر، ثم تصفّحت عامة الأمثلة التي حشدها في كــتابه -وجدت أن ما يقوله هنا أقرب إلى أمثلة الإجادة والإحسان منه إلى أمثلة الــرداءة والتقصــير، فمــن غير الممكن مثلاً أن ابن سنان يشير إلى أمثلة ما يُستقبح وهو يتحدث عن كثرة المنظوم واشتهاره.

والغــرض التعليمي من التمثيل بالشعر واضح أيضاً لا يُحوجنا إلى الوقوف طويــلاً عنده، وقد بيّنه ابن سنان في النص الذي اقتبسناه منه قبل قليل، فهو قد آثــر اختــيار أمثلــته من الشعر لا لأنه ممن يفضّلونه على النثر[٥٢]، ولا لأن الأصول التي يقرّرها تختص بالمنظوم أو تتصل به أكثر من اتصالها بالمنثور،

---

٥٢. انظر: ص٢٨٧-ص٢٨٨.

فـــلا فـــرق بيـــنهما من هذا الجانب -كما رأينا سابقاً- وما يصدق على أحدهما يصـــدق على الآخر، وإنما حمله على ذلك شهرة الشعر وتداوله بين الناس من وجـــه، وسهولة حفظه وتذكّره من وجه آخر. وقد جمع ابن سنان بين الأمرين فـــي قوله:" لو اعتبرت أكثر الناس لم تجد فيهم من يحفظ فصلاً من رسالة غير القلـــيل،ولا تجـــد فيهم من لا يحفظ البيت أو القطعة إلا اليسير؛ ولولا ما انفرد بـــه (الشعر) من الوزن الذي تميل إليه النفوس بالطبع، لم يكن وجه ولا سبب، (ص٢٨٧). ســـهولة حفظ الشعر أفضت إذاً إلى ذيوعه بين الناس، وهما أمران دفعـــا ابـــن سنان إلى تقديم الأمثلة الشعرية على غيرها تيسيراً على المتعلمين، وهـــذا الغـــرض التعليمي ظاهر في الأمر الأول (سهولة الحفظ) لا يحتاج إلى شـــرح وبـــيان، وبحسبنا هنا أن نشير إلى المنظومات التعليمية التي ظهرت في شـــتى العلـــوم عـــند العرب وعند غيرهم. وأما الأمر الآخر (شهرة الشعر) فله صلة بالمسألة الآتية: الاختيار من شعر الفحول.

ذكرنا أن ابن سنان أوضح خطته في سياق حديثه عن التمثيل على العيوب لا على المحاسن، وقد شرط على نفسه "التمثيل بأشعار هؤلاء الفحول المتقدمين فـــي هـــذه الصناعة"، على الرغم مما في البحث عن مواضع الرداءة والتقصير في أشعارهم "من الكلفة والنضب (وصوابها: النصب)؛ إذ كان قليلاً في كلامهم مغمـــوراً بمحاســـنهم، وكنـــت أفـــتقر إلى تأمّل الديوان الكامل حتى أظفر منه بالكلمـــات اليسيرة فأوردها مثالاً" (ص٧٧)، وما كان ليعاني تلك المشقّة لو أنه بحث عن تلك العيوب والمساوئ في دواوين المتخلّفين في صناعة الشعر، "ولو تأمّلـــت قصـــيدة واحدة من شعر من يدّعي القريض في هذا العصر وجدت فيها عـــدّة أمـــثلة لكـــل ما أكرهه وانكره" (ص٧٦). فما الذي دعاه إذاً إلى ركوب المركـــب الصعب، وتجاوز السهل إلى الحزن؟ يمكن القول إن البلاغيين بعامة يمـــيلون إلى أخذ أمثلتهم من مشهوري الأدباء وأعلامهم، ولكن ما ينفرد به ابن ســـنان عـــن البلاغيين العرب هو أنه صيّر ذلك ضربة لازب، واقتصر (نظرياً علـــى الأقـــل) على تلك الأمثلة. وأهم من هذا لغرضنا هنا أنه جعل ذلك مذهباً صريحاً لا ضمنياً، واحتجّ له، وبيّن الأسباب التي حملته على اصطناعه(٥٣).

---

٥٣. وعـــند غـــير العرب انظر: (pseudo) Cicero, Rhetorica Ad Herennium, p.229.ff حيث يعدد المؤلف حجج الذاهبين إلى أن الأمثلة ينبغي أن تؤخذ من الأدباء المشهورين (ولكنه يفند هذه الحجج بعد ذلك).

ثلاثـــة اعتبارات دفعت ابن سنان إلى الاختيار من شعر الفحول[٥٤] وحدهم، "أولهـــا صـــيانة هذا الكتاب عن تهجينه بذكر غيرهم" (ص٧٦). وهذا أمر لا يُعقـل أن يكـون مقصـوراً علـى الأمثلة التي يوردها على العيوب ومواضع التقصـير (علـى الرغم من أن حديثه إنما جاء في هذا السياق نفسه)، وإلا كان علينـا أن نتصـوّر ما لا يمكن تصوره، وما لا ينسجم على أية حال مع الأمثلة التـي احـتواها كـتابه فعلاً– وهو أنه يمثّل على الرديء بشعر الفحول، وعلى الجـيد بشـعر غيرهم، بل لعلّ حجّته ههنا في التمثيل بشعر الفحول المتقدمين ألصـق بالأمثلة التي يستحسنها منها إلى تلك التي ينكرها ويسترذلها؛ فهو يريد باختـياره من شعرهم أن يرتقي بكتابه كما صرّح بذلك، ولا يُعقل أنه يعنى بهذا أن الـرديء مـن شعر الفحول يعلي من شأن كتابه، وإنما يتحّقق له ذلك بذكر جيّدهم لا رديئهم.

وقـد ترى أن كلام ابن سنان هنا إنما يعبّر ليس غير عن رغبته في عدم ابـتذال كـتابه بـنماذج من إنتاج النظّامين ونكرات الشعراء وصغارهم، ولكننا نـزعم أن ثمّـة جانـباً تعليمياً في اختياره من شعر الأعلام المشهورين، وهذا الجانـب تفسّـره حجته في التمثيل بالشعر لسيرورته وشهرته. كل من الأمرين (شـهرة الشعر بعامة، وشعر الفحول بخاصة) يفضي إلى تحقيق الغاية التعليمية نفسـها (ولذلـك آثرنا أن نؤخّر القول في موضوع سيرورة الشعر لنتناوله في هـذا الموضـع): الابتداء مع المتعلم بما يعرف للانطلاق به إلى ما لا يعرف، أي ردّ المجهـول إلى المعلوم كما يقول القدماء، أو بناء الخبرات الجديدة على خـبرات سابقة في عبارة المشتغلين بالتربية اليوم. الشعر بخلاف النثر مشهور

---

٥٤ . الظاهـر أن مفهوم الفحولة عنده يشير إلى شهرة الشاعر وسيرورة شعره. ومعظم الشعراء الذين يمثل بشعرهم أعـلام معروفون، ولكننا نجد أحياناً –ولو على قلة– أبياتاً لشعراء غير مشهورين، أو أبياتاً غير منسوبة أصلاً، انظر مثلاً: ص٦٧، ص٦٨، ص٧٦، ص٨٤، ص٩٨، ص١٠٦.

متداول، وأشعار الأعلام كالمتنبي وأبي تمام والبحتري وأضرابهم ذائعة سائرة، في حين أن المبادئ والأصول التي ندب ابن سنان نفسه لبيانها وتقريرها (يُفترض أنها) جديدة، أي مجهولة لم يسبق لقارئ كتابه بها علم. فإذا جيء بأمثلة مألوفة لتلك المبادئ غير المعروفة كان ذلك أيسر للمتعلم وآنس له مما لو كان ما يُلقى إليه جديداً كلّه في مادته وأمثلته جميعاً؛ فإن من حلّ مدينة سبق له أن مرّ بها وسار في بعض طرقاتها، لا يجد من الوحشة ما يجده من يأتي إليها أول مرة لا يعرف فيها شيئاً.

وثمة اعتبار تعليمي آخر يتعلّق بالتمثيل بشعر الفحول بخاصة: ابن سنان ههنا لا يبحث فقط عن أيّ مثال يفي بالغرض الآنيّ في توضيح مفهوم ما أو نكتة بعينها، بل لعلّه مثل عامة المشتغلين بتعليم الأدب يريد لأمثلته أن تكون فضلاً عن وظيفتها التوضيحية المباشرة، نماذج أدبية رفيعة جديرة بأن يحتذيها ويحاكيها أو يتأثّر بها من أراد أن يكون منشئاً[٥٥] (فيكون هذا من المواطن التي التفت فيها ابن سنان إلى صناعة الإنشاء)، وأن يحفظها ويقيس عليها ويتذوّق ما فيها من جمال من يتطلّع إلى أن يصبح ناقداً. وقد يفسّر ذلك عزوف ابن سنان عن الأمثلة التعليمية المصنوعة (نحو "زيد أسد")؛ قد تكون هذه الأمثلة أقدر من غيرها على أداء الغرض التوضيحي، لأن المرء يفصّلها على قدّ مراده، ولذلك تجدها شائعة في كتابات البلاغيين والنحويين وسواهم؛ ولكنها لمّا كانت منحطّة فنّياً وليست أهلاً للاحتذاء أو التذوق -لا جرم أعرض عنها ابن سنان الذي ألزم نفسه أن تكون أمثلته ليست نصوصاً شعرية حيّة فحسب، بل أن تكون من عيون الشعر.

والاقتصار على شعر الفحول له عند ابن سنان سبب ثانٍ من الواضح أنه مختصّ بالتمثيل على العيوب على وجه التحديد. وذلك "أن اللفظة التي تُكره في نظم هؤلاء الحذّاق تقع فريدة وحيدة يظهر مباينتها لكلامهم؛ فالعلم بها واضح، وكشفها جليّ، وقد قال حبيب بن أوس:

---

٥٥ . انظر في ذلك : (pseudo) Cicero, Rhetorica Ad Herennium,p.233

وكذاك لم تفرط كآبة عاطل حتى يجاورها الزمان بحالِ

وقال غيره قبله:

الجهل في الجاهل المغمور مغمور والعيب في الكامل المذكور مذكور

كفوفة[٥٦] الظفر تخفى من مهانته وبعضها في سواد العين مشهور

ولبس مكانها في أشعار غيرهم كذلك، بل هي منظومة مع غيرها في القبح وأشكالها" (ص٧٦). الغرض التعليمي هنا واضح: الأمثلة وسيلة إيضاح، وفي مسألتنا هذه يُقصد بها إيضاح موضع من مواضع العيب أو التقصير، وهذا الموضع إذا وقع في قصيدة مستجادة، كما هي الحال فيما يأتي به الفحول عادة، فإنه يكون ظاهراً بارزاً لافتاً للنظر، وليس كذلك إذا جاء في قصيدة من شعر الشعراء المقصّرين فإنه يكون مختلطاً بغيره من العيوب والمساوئ فلا يستبينه المتعلم إلا ببعض المشقّة، مثل ذلك مثل نقطة حبر على ثوب أبيض ناصع البياض تكون ظاهرة فاقعة تنادي على نفسها، ونقطة حبر مثلها على ثوب يزدحم بالبقع والأوساخ فلا تظهر إلا بعد بحث وتدقيق.

وأما السبب الثالث في التمثيل بأشعار الفحول، وهو أيضاً مختص بالأمثلة على العيوب، فقد قال ابن سنان في بيانه إن الغرض فيه "إيثاري أن أعلمك أن مقدّمي الفصاحة سامحوا نفوسهم، وأصبحوا في طاعة أهوائهم، ليتحقق أن الزلل في طباع البشر موجود، والعصمة عن أكثرهم بائنة"(ص٧٦-ص٧٧). وعبارات ابن سنان هذه، وإن كان على الأرجح يخاطب بها طالب النقد (وهذا أمر سنعود إليه فيما بعد)، فإن لها صلة بصناعة الإنشاء أيضاً. غايته من إيراد تلك الأمثلة أن يبين أن الكمال غير ممكن، وأن "الزلل في طباع البشر موجود"، وهذا أمر له قيمة تعليمية إذ يؤدي إلى الإبقاء على ثقة المتعلم بقدرته؛ فإذا كان الشعراء الأعلام يقعون في مثل هذه العيوب والسقطات، فإن الأديب

---

٥٦. الفوف نقط بياض في أظفار الأحداث، الواحدة فوفة، الزمخشري، أساس البلاغة، مادة ف و ف.

المبتدئ ينبغي ألا تهون عزيمته إذا أُخذت عليه بعض الأخطاء، فهذا شيء لم يسلم منه شاعر قديم أو محدث حتى لو كان في منزلة امرئ القيس أو الفرزدق أو المتنبي وغيرهم من الشعراء المشهود لهم بالتفوّق والإجادة.

وههنا تفسير آخر قد يكون أقوى من السابق: هؤلاء الفحول ما كانوا ليصلوا إلى هذه المنزلة لولا معرفتهم بالجيد والرديء، ولم تكن هذه الأبيات التي أُنكرت عليهم ليخفى عليهم موضع القبح فيها لو أنهم حاسبوا أنفسهم، ولم يستسلموا لأهوائهم التي زيّنت لهم استحسان كل ما نطقوا به. بيت مسلم بن الوليد مثلاً الذي يتناقله البلاغيون(٥٧) :

سُلّت وسَلّت ثم سُلّ سليلها   فاتى سليل سليلها مسلولا

"لا غاية وراءه في القبح... ولولا أن هذا البيت مرويّ لمسلم وموجود في ديوانه لكنت أقطع على أن قائله أبعد الناس ذهناً، وأقلّهم فهماً، لا يُعدّ في عقلاء العامة فضلاً عن عقلاء الخاصة. لكنّي إخال خطرة من الوسواس أو شعبة من البرسام عرضت له وقت نظم هذا البيت، فليته لمّا عاد إلى صحّة مزاجه، وسلامة طباعه، جحده فلم يعترف به، ونفاه فلم يُنسب إليه. وما أضيف هذا وأمثاله إلا إلى عوز الكمال في الخلقة، وعموم النقص لهذه الفطرة" (ص١٠٤-ص١٠٥). وفي هذا دعوة إلى المنشئ شاعراً أو كاتباً لكي يجتهد في تهذيب ما ينظم أو يؤلف، ويتأنى في إظهار ما أسرع إليه خاطره، فينفي منه ما يمكن أن يُطعن به عليه، إن في التمثيل على العيوب بشعر الفحول لدليلاً ساطعاً على أهمية أخذ الشاعر والكاتب بما أوصاهما به ابن سنان في الفصل الذي خصصّه لصناعة الإنشاء وختم به كتابه كما ذكرنا سابقاً، من "فرط التحرّز، وسوء الظن بالنفس" (ص٢٩٢). وإذا كان التساهل في مراعاة ذلك قد انتهى بأولئك الفحول إلى أن نصبوا أنفسهم هدفاً للوم وجعلوا من بعض شعرهم نماذج للرداءة والقبح، فما ظنّك بناشئة الأدباء الذين لم تستقم بعد أداتهم، ولم تتعمّق تجربتهم؟

---

٥٧. انظر: القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص٨٤؛ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص٣٣٥.

أما الأساس الثالث في خطة ابن سنان فهو موضوعية الاختيار كما تقدم. ولئن كان من البلاغيين والنقاد من يتخذ من الأمثلة وسيلة للترويج لأديب ما أو الطعن على غيره[٥٨]، لقد أسرع ابن سنان إلى أن يدفع عن نفسه شبهة كهذه. ولما كان قد بيّن معالم خطته تلك في أثناء حديثه عن أمثلة عابها فإنه يخشى خشية ظاهرة أن يُتّهم بأنه يقصد بتمثيله على العيوب بشعر الشعراء الكبار إلى الانتقاص من أقدارهم أو التشنيع عليهم، ولهذا تجده يؤكد في غير موضع أنه يفعل ذلك متحرّراً من أيّ غرض سوى أنه بلاغي يبحث لدواعٍ موضوعية بحت عن أمثلة توضّح مراده، فحيثما وجدها (في شعر الفحول الذين شرط على نفسه أن يقتصر عليهم) أخذها وضمّنها كتابه، كما يصوّر ذلك قوله:"وليس إيرادي هذه الأمثلة على جهة الطعن على هؤلاء الشعراء الفضلاء، والغضّ منهم. وكيف يكون ذلك وسأورد من غرائبهم وبدائع كلامهم ما يُعلم معه أننا تحت تقصير عن شأوهم، ويقع العجز عن إدراك القريب من غاياتهم؟ لكنني إذا احتجت إلى إيراد الأمثلة في المختار والمنبوذ، والمحمود والمذموم، فلا معدل لي عن أشعارهم وتصفّح نظمهم، وأخذ ما أريده منها وإيراده عنها في الصنفين معاً" (ص٧٤). وليس لدى المرء سبب للشك في نزاهة ابن سنان في اختيار أمثلته؛ فأنت تجد عنده فعلاً، في مواضع كثيرة عزيزة على الحصر، أمثلة من شعر الشاعر الواحد على الجيد الرائع والمطّرح المسترذل جميعاً. ومع أنه شاعر على قدر ما من الأهمية، إلا أن مما يسترعي الانتباه حقاً عزوفه عن التمثيل بشيء من شعره (على ما في ذلك من قيمة تعليمية في نظر بعض البلاغيين[٥٩])، ولعله -وهو الذي يعتدّ بشعره اعتداداً لا حدّ له[٦٠] -إنما فعل ذلك فراراً من شبهة الهوى والغرض.

---

٥٨. انظر مثلاً ما يقوله زكي مبارك عن محاباة أبي هلال العسكري في كتاب الصناعتين للصاحب بن عباد وتعصبه على المتنبي، النثر الفني في القرن الرابع، ٢/١١٨-١٢١. انظر تعليق محمد مندور على ذلك، النقد المنهجي عند العرب، ص٢٢٥- ٢٢٩.

٥٩. انظر (Pseudo) Cicero, Rhetorica Ad Herennium, pp.243-251 ينبغي في رأي صاحب هذا الكتاب أن تكون أمثلة البلاغي كلها من كلام البلاغي نفسه، أو على الأقل أن يأخذها من أديب بعينه، ليكون ذلك حافزاً للمتعلم ومشجعاً له، إذ يدرك بذلك أن خصائص الجودة يمكن أن تجتمع في إنتاج شخص واحد، أما إذا أخذت الأمثلة من مصادر متعددة فإن ذلك يدفعه إلى الظن أن اجتماع تلك الخصائص في أديب أمر بعيد المنال.

٦٠. انظر مثلاً قوله

لو كان في نظم القريض نبوّة   صلّى عليّ السامعون وسلّموا

الديوان، ص١٩٣، انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص٨١، ص١٥١.

وإذا انتهينا إلى البعد التعليمي لموضوعية الاختيار، وهو ما يهمّنا هنا، فلا بد لنا من القول إن ابن سنان من أكثر النقاد العرب إلحاحاً على موضوعية النقد[٦١]، وهو في أمثلته يريد أن يقرن القول بالعمل، واختيار الأمثلة من أهمّ المواطن التي تُختبر فيها موضوعية الناقد، ويصدّق فيها فعلُه قولَه. وكأن ابن سنان يريد هنا أن يقدّم لطالب النقد نموذجاً فعلياً حيّاً على الموضوعية، لا أن يكتفي بمجرد الدعوة النظرية إليها.

وثمّة وجه آخر في المسألة قد تكون الغاية التعليمية فيه أوضح وأقوى: موضوعية الاختيار تفضي لا محالة إلى أمثلة على الجيد والرديء من شعر أولئك الفحول بأعيانهم الذين يمثّل ابن سنان بأشعارهم، وعند هذا الموضع يكون اللقاء بين موضوعية الاختيار ومقالة ابن سنان في استحالة الكمال في البشر. هذا ابن سنان نفسه يجمع بين المسألتين (الموضوعية واستحالة الكمال) حين يقول بعد أن أورد أبياتاً انتقدها على أبي تمام:"وتعالى الله كيف يذهب هذا على من يقول: (ثم يعارض تلك الأبيات بأبيات يستجيدها لأبي تمام)... لكن أعوز الكمال، واستولى الخلل على هذه الطباع، فالمحمود من كانت سيئاته مغمورة بحسناته، وخطؤه يسيراً في جانب صوابه. وقد قدّمنا فيما مضى من هذا الكتاب أننا لم نذكر هذه الأبيات الذميمة وغرضنا الطعن على ناظمها، وإنما قادتنا الحاجة في التمثيل إلى ذكر الجيد والرديء، والفاسد والصحيح، على ما ذكرناه سالفاً" (ص١٤٤). وهكذا فإن اقتران اللوم بالثناء وسيلة يتوسّل بها ابن سنان إلى إثبات موضوعيته، وإلى أن ينفي عن نفسه شبهة التحامل على أعلام الشعراء (والنقاد كذلك[٦٢])، بل تجده يلتمس لهم الأعذار، كما يقول فيما سوف نقتبسه منه بعد قليل، متّكئاً في ذلك على مقالته في استحالة الكمال على نحو ما رأيناه هنا في حديثه عن أبي تمام، وما رأيناه من قبل في تعليقه على بيت مسلم بن الوليد. لقد زاوج بين تعنيفه مسلماً بتلك العبارات الحادّة الساخرة والإقرار بتقدمه

---

٦١. انظر مثلاً: ص ٢٨٥؛ وانظر أيضاً: عبد الكريم الحياري،"استقلال النص الأدبي عن مؤلفه في النقد العربي القديم"، مجلة أبحاث اليرموك، ١٤/١٥ وما بعدها.

٦٢. انظر مثلاً: ص١٢٢- ص١٢٣، ص١٤٠-ص١٤١، ص١٤٩.

عندما نصّ على أنه لا يكاد يصدّق أنه قائل ذلك البيت. هذه المزاوجة تشهد بموضوعيته، ولكنها في الوقت نفسه جمع بين نقيضين، ولحلّ هذا الإشكال يفزع إلى مبدأ استحالة الكمال للتوفيق بين النقيضين.

وقد كنّا تناولنا القيمة التعليمية لمسألة استحالة الكمال فيما يتّصل بالمنشئين، ونبيّن الآن ما يختصّ منها بمتعلّمي النقد (فإن الموضوعية التي نتحدث في سياقها الآن تتصل بنقد الأدب أكثر من اتصالها بإنشائه). طالب النقد قد يؤخذ بشهرة الشاعر أو علوّ منزلته عند أهل الأدب، فيُساق إلى الظن أن كلّ ما يأتي به الشاعر المجيد جيّد أبداً، وأن الشاعر الفحل منزّه عن الخطأ، والتمثيل على الجيد والرديء بشعر الفحول أنفسهم خير وسيلة لدفع هذا الوهم، وحمل الناقد على نبذ التقليد، والتحرّر من الهيبة من إخضاع شعرهم لموازين النقد التي لا مجال فيها للاحتكام إلى غير المبادئ والأصول الموضوعية التي بها وحدها يتميز الجيد من الرديء، والغثّ من السمين.

على أن طالب النقد قد يجني عليه إفراطه في النزوع إلى الاستقلال في الرأي؛"حبّ النظر" (في عبارة ابن سنان) قد يجمح بصاحبه فينتهي به إلى تقبيح ما ليس بقبيح، وإلى أن يبخس الناس حقوقهم، أدباء كانوا أم نقاداً، وعندما تستبدّ بالمرء شهوة الابتكار، وتلحّ عليه الرغبة في الاجتهاد، فلا عاصم له من الانحراف عن الصواب كتلك المبادئ والأصول تكون عقالاً لهذه الرغبة، وخطاماً لتلك الشهوة. لا يجوز "أن يخرجنا بغض التقليد، وحبّ النظر، من الطرف المذموم في الاتّباع والانقياد إلى الجانب الآخر في التسرّع إلى نقص الفضلاء، والتفنيد لما لعلّه اشتبه على بعض العلماء، والرغبة في الخلاف لهم، وإيثار الطعن عليهم" (ص١٤٤). والطريق القويم في ذلك أن "ننظر في أقوالهم، ونتأملّ المأثور عنهم، ونسلّط عليه صافي الذهن، ونزيف له ماضي الفكر، فما وجدناه موافقاً للبرهان وسليماً على السّبر اعترفنا بفضيلة السبق فيه، وأقررنا لهم بحسن النهج لسبيله، وما خالف ذلك وباينه اجتهدنا في تأويله[٦٣]، وإقامة

---

٦٣. انظر في ذلك: ص١٥١ في التعليق على رأي للشريف المرتضى.

المعاذير فيه، وحملناه على أحسن وجوهه... علماً أنهم لم يؤتوا من ضلالة، ولا كلال ذهن وفطنة، ولكن لاستمرار هذه القضية (أي استحالة الكمال) في المحدثين[٦٤] وعمومها أكثر المخلوقين"(ص١٤٤-ص١٤٥).

-ي-

طريقة ابن سنان في التأليف تميل ميلاً واضحاً إلى التبويب والتنظيم، ومع ذلك فإن آراءه في تعليم البلاغة (أو الفصاحة في مصطلحه) جاءت في معظم الأحيان على هيئة استطرادات خرج فيها عن موضوعه الذي هو فيه إلى الحديث عن جانب ما ممّا يتّصل بالمسألة التعليمية، وكأن ابن سنان يرجّح مخالفة شروط التأليف على السكوت عن إعلان رأي له في هذا الباب، وقد يستقيم لنا أن نفسّر ذلك على أنه يعبّر عن مدى إلحاح تلك المسألة التعليمية عليه (كما أشرنا إلى ذلك في موضع سابق من هذه الدراسة) وعن إحساسه بحاجة البلاغي إلى أن يكون له مهيع واضح وخطّة معلومة فيها. ولعلنا أن نكون الآن قد أفلحنا في أن نبيّن أن لدى ابن سنان مذهباً تعليمياً يتناول المسألة من جوانبها المختلفة، ما اتّصل منها بالغرض من تعليم البلاغة، أو محتوى "المادة المدروسة، أو طريقة تقديم تلك المادة للمتعلّم، أو نوعية ذلك المتعلم (أو الفئة المستهدفة بهذا العلم كما يقال اليوم). وقد تناول هذه الجوانب بعبارات صريحة قصدنا قصداً أن نقتبس منها في مواضع متعدّدة، لعلّها تنطق عن مدى وضوح المنهج التعليمي في ذهنه.

وفي ظنّنا ما يميّز ابن سنان عن غيره من البلاغيين العرب في هذا الباب هو وجود خطّة تعليمية لديه ابتداء، ثم وضوح تصوّره لها، وشمولها المسألة التعليمية في وجوهها المتعدّدة. قد لا تجد بلاغياً واحداً لا يرى في نفسه معلّماً للبيان أو النقد، والنبرة التعليمية عالية عند كثير منهم، ولكن من الصعب أن تجد نظيراً لابن سنان في كونه صاحب مذهب تعليمي، ملامحه ظاهرة، ومعالمه بيّنه. ثمّة كثيرون ممّن تناولوا هذه الناحية أو تلك ممّا يتّصل بتعليم البلاغة، ولكنك قد لا تظفر ببلاغي آخر يضع بين يديك تصوّراً للمسألة التعليمية على

٦٤. لا يخفى أن كلمة المحدثين مستعملة هنا بمعناها في اصطلاح المتكلمين، والمقصود بها الناس.

النحو الذي رأيناه عند ابن سنان، ويقدّم لك إجابات صريحة عن أهمّ الأسئلة التي لا بدّ من مواجهتها في هذا الشأن: لماذا نعلّم البلاغة؟ وهل يمكن تعليمها أساساً؟ وما جدوى تعليمها؟ وما الذي نعلّمه؟ ومن الذي نعلّمه؟ وكيف نعلّمه؟.

هذه أمور هي من أهمّ ما ينبغي أن تتناوله جهود الذين يرومون تجديد البلاغة، وابن سنان يقدّم هنا أفكاراً قد نوافقه أو نخالفه فيها، ولكنها تظلّ على الأقل مادة تصلح للبحث والمناقشة، إذ تتناول مسائل ما زالت هي نفسها موضع بحث ومناقشة، على أن طائفة صالحة من آرائه تجد لها بالفعل أشباهاً ونظائر على نحو ما فيما يتداوله البلاغيون المحدثون (من عرب وغيرهم). دونك مثلاً: تمييزه كما رأينا بين ما يسمّى الآن تعبيراً وظيفياً وما يسمّونه تعبيراً إبداعياً، والاهتمام في تعليم البلاغة بالأصول والمبادئ العامة لا بالجزئيات والتفصيلات[٦٥]، التمييز بين ما يتّصل بهذه المبادئ وما يرجع إلى الأذواق المتغيّرة[٦٦]، وتحرير اللغة النقدية من الغموض والحذلقة[٦٧]، والمنهج "التكاملي" الذي لا تكون فيه البلاغة معزولة عن غيرها من علوم اللغة فضلاً عن الاستعانة بعلوم أخرى كعلم النفس وغيره[٦٨]،و"أن من شرط البلاغة أن تتعاطى مع نصوص متفوّقة في الجمال" لا أن تعتمد على نصوص مصطنعة[٦٩]. هذه أفكار تتردّد على ألسنة البلاغيين المحدثين، وهي ممّا عرض له ابن سنان كما رأينا على قدر من الوضوح والتفصيل. ونحن بالقطع لا نتحدّث هنا عن تأثّر أو تأثير وغرضنا إنما هو أن نبيّن أن آراءه لم تخلق جدّتها الأيام.

---

٦٥. قارن: John J.Ruszkiewicz, Well-Bound Words, A Rhetoric.P.Viii

٦٦. انظر الحاشية ٢٨ أعلاه.

٦٧. انظر الحاشية ٤٩ أعلاه.

٦٨. انظر: الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، ص٥، قارن: خليل كفوري، نحو بلاغة جديدة، ص١٣٩-ص١٤٠، وانظر أيضاً الحاشية ٣٥ أعلاه.

٦٩. خليل كفوري، نحو بلاغة جديدة، ص٥، انظر: المرجع نفسه ص١٤٠؛ وانظر كذلك مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية، تأصيل وتجديد، ص٢٠٣.

وقد رأينا أن وظيفة البلاغة في تعليم النقد، خلافاً لوظيفتها الأخرى في تعليم الإنشاء، قد استحوذت على تفكير ابن سنان، وهذا منحى قد تجده أيضاً عند غير واحد من البلاغيين المحدثين[٧٠]، غير أنه عند ابن سنان قد يُعدّ ثغرة في البناء النظري لمنهجه التعليمي؛ ذلك أنه بدأ كتابه بأن جعل تعليم الإنشاء في مقدمة الغايات التي تسعى العلوم الأدبية كلها إلى تحقيقها، ثم شُغل عنه أو كاد بالغرض النقدي من تعليم البلاغة كما شغل كذلك، وعلى نحو أوضح، عن الغرض الآخر المتصل بإعجاز القرآن، فكأنه انتهى إلى غير ما بدأ به. على أن ما يبدو من عدم اتّساق ههنا يمكن دفعه بالقول إن أهداف البلاغة في تعليم الإنشاء ومعرفة الإعجاز ترتدّ في نهاية الأمر إلى هذا الغرض النقدي، فهي متضمنّة فيه على نحو ما بيّنا في موضع سابق. فإن أبيتَ إلاّ أن يكون ذلك موطن خلل في منهجه، فلعلك لا تجد مواضع أخرى مثله تقرنها به، وعندئذٍ يمكننا أن نقرّر أن آراء ابن سنان (النظرية) في المسألة التعليمية لها نصيب في الانسجام والاتّساق كبير.

لا يخلو منهج ابن سنان التعليمي من ثغرات وعيوب، لعل أهمّها المسافة التي قد تتسع بين النظرية والتطبيق. فإذا طلبت أمثلة من هذا القبيل فإن مسألة التعريفات تقف شاهداً بارزاً على ذلك، فعلى الرغم من قيمة الحدود في نظره، فإن عنايته الفعلية بتعريف المصطلحات والمفاهيم التي تضمّنها كتابه متفاوتة تفاوتاً بيّناً؛ لقد توفر على بعض التعريفات، وأنفق في صياغتها جهداً كبيراً بلغ حدّ الإسراف؛ بتتبّع الأصل اللغوي للمصطلح المراد تعريفه، ثم يصوغ ذلك التعريف في عبارة يجتهد في أن تكون واضحة جامعة مانعة، ويضمّنها من القيود والاحترازات ما يحتاط به ليأتي تعريفه غاية في الدقة والإحكام، ويقيم الأدلة ويقدّم

---

٧٠. يرى مصطفى الصاوي الجويني (البلاغة العربية، تأصيل وتجديد، ص٢٠٢) أن الغاية من النقد والبلاغة كانت واحدة، وهي تمييز الجيد من الرديء، ثم استقل النقد بهذه الغاية وصار الغرض من البلاغة "اكتساب المهارة العلمية في الإنتاج... والأولى أن تصبح غاية البلاغة ذوقية لوثوق اتصالها بالنص القرآني. بينما النقد غايته العملية هي إكساب المهارة للإنتاج الأدبي". ويبينُ الأزهر الزناد (دروس في البلاغة العربية، ص٦) أن هدفه "رتق الفجوة الموجودة في كثير من أذهان المبتدئين بين البلاغة والنقد الأدبي... (و) تمكين الطالب من مهارة الربط بين الاثنين فيحسن توظيف كل معلوماته في استخراج مواطن الجمال في النص". وعند الأوروبيين انظر: Peter Dixon, Rhetoric, P.49 حيث يذكر أن البلاغة بدأت منذ القرن الثامن عشر تزداد قرباً من النقد، وتقدّمت الوظيفة النقدية فيها على وظيفتها الأخرى في تعليم فن الإنشاء.

الحجـــج لبـــيان صـــحّته، ويبطل الشبهات التي قد تثار عليه، ويرفض التعريفات الأخـــرى لذلك المصطلح ويتحدث عن وجه فسادها[٧١]. على أنه في أحيان أخرى كثـــيرة لا يقـــدّم سوى تعريفات قصيرة موجزة، وليس من غير المألوف عنده أن يتـــناول مفهوماً ما دون أن يعرّفه على الإطلاق[٧٢]. لا يمكن القول في تفسير ذلك أن ابن سنان يطنب في إيضاح المفاهيم المشكلة أو الخلافية ويوجز في تعريف ما هو واضح أو متّفق عليه؛ فقد ذكرنا فيما سبق أن آراءه في الحدّ والتعريف جاءت فـــي معظمها في سياق نقده لتعريفات البلاغة عند الآخرين، ولكنه اكتفى ببيان ما فـــي تلك التعريفات من عيوب –وقد أطال في ذلك– وذهل عن أن يصوغ للبلاغة تعريفاً يقرّه ويرتضيه.

وما سمّيناه المنهج التكاملي عند ابن سنان موضع آخر بدا فيه على نحو ظاهر تخلّف التطبيق الفعلي عن الرأي النظري عنده، وبخاصة فيما يتصل بالاستفادة من أبحـــاث المتكلّمين في الدراسة البلاغية. هذا المنهج "التكاملي" يرى فيه ابن سنان ســـبباً لتميّز كتابه عمّا أُلّف في موضوعه، "فهو مفرد في بابه، غريب في غرضه" (ص١٥). ولعلّـــنا لا نخالفه في ذلك لو أنه أحسن التطبيق؛ كتابه يتحدث عن مدى احتفائه بعلم الكلام ورسوخ قدمه فيه، ولكن علم الكلام عنده قد يتجاوز أحياناً كونه أداة فـــي يد البلاغي، ويتحوّل إلى غاية تطلب لذاتها. لقد أراد ابن سنان للفصول الأولى من كتابه (أربعة فصول في اللغة، والحروف، والصوت، والكلام) أن تكون موضـــوعات جديـــدة يدخلها إلى الدرس البلاغي، ويتجسّد فيها منهجه "التكاملي" ولكـــن قـــارئ تلـــك الفصـــول يجد في غير موضع أنه قد خرج نهائياً من حيّز البلاغة ومسائلها ليقرأ نصوصاً كلامية يصعب على طالب الأدب والنقد أن يتبيّن وجه الحاجة إليها، كما أشار إلى ذلك ضياء الدين بن الأثير الذي ينتقد فصول ابن سنان هذه على الرغم من أنه لم يجد في التراث البلاغي والنقدي قبله "ما يُنتفع به" إلا كتابيـــن أحدهما "سر الفصاحة " [٧٣]، وبذلك فإن ابن سنان لم يستطع أن يقنع

---

٧١. انظـــر بوجـــه خاص تعريفه للكلام، إذ استأثر هذا التعريف بمعظم الفصل الذي خصصه للبحث في موضوع "الكلام" (ص٣٢–ص٤٨).

٧٢. انظـــر مـــثلاً: اللفظ الوحشي (ص٦٦)، والمبتذل (ص٧٣)، والكناية (ص١٦٣)، ولزوم ما لا يلزم (ص١٧٩) والاستدلال بالتعليل (ص٢٧٧).

٧٣. انظـــر :المـــثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٣٥/١–٣٦؛ وانظر كذلك: محمد كامل حسنين الفقي، ابن سنان الخفاجي وسر الفصاحة، مجلة الأزهر، ٨٦/١٤–٨٧.

بمنهجه هذا أحداً من البلاغيين والنقاد حتى أحسنهم رأياً فيه، وأشدّهم تأثراً به، ولا نعرف كتاباً ظهرت فيه تلك الفصول التي أضافها مرّة أخرى.

على أن هذه الثغرات، على خطرها، عيوب تتّصل بالجانب التطبيقي من منهج ابن سنان التعليمي، وقد كنّا نودّ لو أنه أحسن في تطبيق هذا المنـــهج - إذاً لكـــان له فيما نقدّر شأن آخر في تاريخ الفكر البلاغي العربي. ولكننا في نهاية الأمر إنما نتناول هنا آراء ابن سنان في تعليم البلاغة، فنحن معنيون بالجانب النظري مـــن ذلك المنهج. وقد رأينا أن لديه على المستوى النظري خطـــة تعليميـــة واضحـــة المعالم، متكاملة الجوانب إلى حدّ غير قليل، وفيها قـــدر مقبـــول مـــن الشـــمول والاتساق، وتتضمّن بعد ذلك كله ما يمكن أن يكـــون ذا فـــائدة للفكـــر البلاغـــي المعاصر، وما يُنتفع به في وصل الحاضر والتجديد في البلاغة لا ينفي الـــتراث البلاغي ورفضه، بل بالبناء عليه والاستناد إليه.

المصادر والمراجع

١ - بالعربية:

الآمدي، أبو القاسم، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١-١٩٦٥.

ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٩-١٩٦٢.

أحمد الشايب، الأسلوب ط٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء -بيروت والعربية للنشر، صفاقس/ تونس، ١٩٩٢.

أمين الخولي، "بل هي ثورات على علوم البلاغة"، مجلة الهلال، السنة ٤٤، الجزءالخامس (١٩٣٦).

فن القول، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦.

جابر بن حيان، رسالة الحدود، حققها عبد الأمير الأعسم في كتابه: المصطلح الفلسفي عند العرب، مكتبة الفكر العربي، بغداد، ١٩٨٥.

الجاحظ أبو عثمان، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٤، دار الفكر، بيروت، د.ت.

كتاب فصل ما بين العداوة والحسد، في رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.

الجرجاني، القاضي أبو الحسن، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ص٣، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.

خليل كفوري، نحو بلاغة جديدة، منشورات نداف، بيروت، ١٩٩٤.

ابـــن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط٥، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١.

زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، دار الجيل، بيروت، د.ت.

الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢.

الســبكي، بهـــاء الديـــن، عـــروس الأفـــراح في شرح تلخيص المفتاح، شروح التلخيص، دار السرور، بيروت، د.ت.

السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

ابـــن ســـنان الخفاجـــي، ديوان ابن سنان الخفاجي، تحقيق عبد الرزاق حسين، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨.

سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.

ابـــن ســـينا، أبـــو علـــي، رســـالة الحدود، حققها عبد الأمير الأعسم في كتابه: المصطلح الفلسفي عند العرب، مكتبة الفكر العربي، بغداد، ١٩٨٥.

ابـــن شاكر الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، إحسان عباس، صادر، بيروت، ١٩٧٣-١٩٧٤.

الصـــفدي، صـــلاح الدين، الوافي بالوفيات، ج١٧، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، دار النشر فرانز شتاينر، شتوتغارت، ١٩٩١.

عـــبد الـــرازق أبـــو زيـــد زايـــد ، كـــتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، دراسة وتحليل، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٢.

عـــبد الســـلام المســـدي، الأســـلوبية والأسلوب، ط٢، الدار العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣.

عـــبد العاطي غريب علي علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت ١٩٩٣م.

عـــبد الكـــريم الحياري،"استقلال النص الأدبي عن مؤلفه في النقد العربي القديم"، مجلـــة أبحـــاث الـــيرموك، سلســـلة الآداب واللغويات، المجلد ١٤، العدد الأول (١٩٩٦).

العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٩٨٦.

علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، تحقيق حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس/ لبنان، ١٩٨٢.

الغزالي، أبو حامد، رسالة الحدود، حققها عبد الأمير الأعسم في كتابه: المصطلح الفلسفي عند العرب، مكتبة الفكر العربي، بغداد، ١٩٨٥.

الفيروزآبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦.

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، أدب الكاتب، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢.

قدامة بن جعفر، أبو الفرج، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة ومكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣.

محمد علي رزق الخفاجي، علم الفصاحة العربية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩

محمد كامل حسنين الفقي،" ابن سنان الخفاجي وسر الفصاحة"، مجلة الأزهر، المجلد ١٤، الجزء الثاني (١٣٦٢هـ).

محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

محمد أبو موسى، التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٣.

مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٥.

وليد قصاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥.

ابن وهب الكاتب، إسحاق بن إبراهيم، البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧.

ب- بالإنجليزية:

(Pseudo) Cicero, Rhetorica Ad Herennium, translated from Latin by Harry Caplan, William Heinemann, London and Harvard University Press, Cambridge, Mass, 1964.

Dixon, Peter, Rhetoric, Methuen, London and New York, 1971.

Frye, Northrop, Anatomy of Criticism, Princeton University Press, Pinceton, 1973.

Rawlinson, D.H., The Practice of Criticism, Cambridge University Press, Cambridge, 1971.

Richards, I. A., Principles of Literary Criticism, Routledge and Kegan Paul, London and Henley, 1976.

Ruszkiewcz, John J., Well-Bound Words, A Rhetoric, Scott, Foresman and Company, Glenview, Illinois, 1981.

Scott-James, R. A., The Making of Literature, Mercury Books, London, 1963.

Winkler, Anthony C.and McCuen, Jo Ray, Rhetoric Made Plain, Harcourt Brace Jovanovich, New York, 1978.

الوظائف النحويّة بين المركزي والهامشي
"مثل من وظيفة الحال"

د. لطيفة إبراهيم النَجار
جامعة الإمارات العربيّة المتحدة

يعرض هذا البحث إلى جانب من التداخلات الدلاليّة النحويّة، وإلى اشتراكها في بعض الأبعاد المعنويّة التي لم يعتدّ بها النّحاة العرب، وإنما أشاروا إليها إشارات عابرة فوضعت في نظريّتهم موضع الهامشي.

ويتخذ البحث من وظيفة "الحال" مثالاً دالاً؛ إذ يبيّن، من خلال شواهد الاستعمال في العربيّة، أنّ هذه الوظيفة، في صور كثيرة منها، تتداخل دلالياً مع وظائف نحويّة أخرى: كالمفعول لأجله، والمفعول فيه، والمفعول معه، والصفة.

ويحاول البحث، في خاتمته، أن يفسرّ عدم احتفال النّحاة بأشكال هذا التداخل بين الحال والوظائف النحويّة المذكورة، فيبيّن أنّ النحاة قد قعّدوا قواعدهم معتمدين ضوابط مختلفة، يعدّ المعنى واحداً منها، وهو ضابط مهمّ جدّاً في جوانب كثيرة من نظريّة النحو العربي، إلا أنّ ضوابط أخرى كالبنية الصرفيّة والموقع النحوي تتقدم عليه أحياناً، وقد يكون ذلك لما تحققه هذه الضوابط لنظريّتهم من تماسك وثبات.

وقد كان لإشارة موجزة في بحث بعنوان " الجملة في نظر النحاة العرب" للدكتور عبد القادر المهيري دور مهم في توجيه اهتمامي لإعادة النظر في باب الحال ليكون منطلقاً، فيما بعد، للبحث في التداخل الدلالي بين الوظائف النحويّة في العربيّة: فقد ذكر د. المهيري في ختام بحثه أنّ جملة الحال تخرج، في بعض استعمالات العربيّة، عن الملحظ الدلالي الذي وضعه النّحاة لهذه الوظيفة، فتعبر عن أبعاد دلاليّة أخرى لوظائف نحويّة أخرى[1]. فأضافت هذه الإشارة المركّزة شيئاً جديداً لما يستشعره المرء إزاء وظيفة الحال.

منهج الدراسة:

قامت هذه الدراسة على استقصاء صورة المسألة في كتب النحو العربي، ثم على امتحانها في بعض النصوص العربيّة، وتجدر الإشارة، هنا، إلى أنّ اختيار النصوص كان انتقائيّاً؛ لأنّ الهدف الأوّل كان يتركّز على التحقق من وجود دلالات أخرى لوظيفة الحال، وهذا مطلب قد يلبيه أيّ نص من نصوص العربيّة، فاستوعبت النصوص مجموعة من السور، وكتاب رياض الصالحين، ومجموعة من الشعر الجاهلي، والإسلامي والأموي، والعباسي من خلال كتاب: المفضليات، وبعض دواوين الشعر، ثمّ نصاً نثرياً حديثاً هو الأيام لطه حسين، واكتفيت بهذه النصوص لأنني وجدت فيها من الأمثلة ما يغني، والمسألة، بعد ذلك، مفتوحة لمزيد من البحث والاستقصاء.

الوظائف النحويّة بين المركزي والهامشي: مثل من وظيفة الحال

يقوم النحو العربي على قوانين وأحكام عامة مستنبطة من كلام العرب، ومضبوطة بضوابط كليّة اعتمدها النّحاة في وصفهم العربيّة وتقعيد قواعدها. وتشكّل هذه الضوابط، مع الأسس المنهجيّة التي اتّبعها النحاة في عملهم، عناصر نظريّة نحويّة متماسكة تتناسق معطياتها وتتوافق عناصرها.

وإذا جاز لنا أنْ نعرّف النظريّة بأنّها "بناء عقلي يتوق إلى ربط أكبر عدد من الظواهر الملاحظة بقوانين خاصّة تكوّن مجموعة متّسقة يحكمها مبدأ عام هو مبدأ التفسير"[٢] فإنّ هذا البناء سيحتاج، بلا ريب، إلى نوع من التحكّم النظري يمنع شتات العناصر من التفلّت من قوانينه الخاصّة، ويحافظ على اتّساقها وتناغمها في إطار تفسيريّ مخصوص، ولكنّه، في الوقت نفسه، لا يسعى إلى تحقيق هذا الاتّساق خارج الإطار التفسيري الذي ارتضاه، أو الرؤية المنهجيّة التي تبنّاها.

وقد سار النحاة على هذا النهج في وضعهم قواعد العربيّة وفي صوغهم عناصر نظريّة النحو العربي، فحاولوا أن يبنوا هذه النظريّة على أسس تفسيريّة تتقبّلها المعطيات المدروسة وتندغم معها في توافق يحقق لنظريّتهم ما ينشدونه لها من كفاية وتماسك، كما أنّهم حاولوا، كذلك، أنْ يعتمدوا معايير ثابتة في وصف تراكيب العربيّة وفي تجريد قواعد الأبواب النحويّة المختلفة.

والمتأمل في مصنّفاتهم سيلحظ أنّهم يفردون لكل وظيفة نحويّة باباً يتضمّن تعريفاً يحدد للوظيفة شروطها الصرفيّة والإعرابيّة والموقعيّة ويعيّن أبعادها الدلاليّة، ثمّ يمتّد الوصف ليشمل ما يطرأ على الوظيفة من تقديم وتأخير وحذف ضمن العلاقات التركيبية المختلفة التي تربطها بغيرها من الوظائف النحويّة والتي تنتظم جميعها في إطار نظريّة العامل النحوي.

وتمثّل شروطُ الوظيفة النحويّة المذكورةُ في الحدّ الصورةَ الأصليّةَ لتلك الوظيفة التي قد تتغيّر وتبتعد عن الأصل بما يطرأ عليها من استثناءات متعدّدة يسمح بها الاستعمال، ويجوّزها النّحاة مستضيئين بالأسس التفسيرية التي اعتمدوها في وصفهم[٣].

وتشكل الأصول والاستثناءات على الأصول في الوظائف النحويّة مفاتيح دالّة توجّه الدارس أو المعرب إلى تحديد الإعراب الصحيح للمفردات المختلفة داخل التراكيب المتنوّعة، كما أنّها تصبح، بعد ذلك، مرجّحات يؤخذ بها عند تعدد الاحتمالات الإعرابية للكلمة الواحدة[٤].

وقد نبّه النحاة إلى التداخل الدلالي بين الوظائف النحويّة المختلفة مبيّنين المساحة الدلاليّة التي تشترك فيها ثم ما تنفرد به كلّ وظيفة من خصوصيّة دلاليّة تعطيها موقعاً مميّزاً على تلك المساحة المشتركة؛ فالحال تشبه الخبر في "كونها محكوماً بها في المعنى على صاحبها، وإن كان الحكم في الخبر قصدياً وفي الحال تبعياً. وتشبه النعت في إفهام الاتصاف بصفة، وإن كان قصدياً في النعت وتبعياً في الحال"[٥]. وتشبه التمييز في "أنّ كل واحد منهما يذكر للبيان ورفع الاشتراك"[٦] إلا أنها مبيّنة للهيئات والتمييز مبيّن للذوات[٧]. وعطف البيان يشبه النعت؛ لأنّه "يؤتى به لإيضاح ما يجري عليه وإزالة الاشتراك الكائن فيه، فهو من تمامه كما أن النعت من تمام المنعوت"[٨] إلا أنّ النعت يتضمّن حالاً من أحوال المنعوت يتميّز بها أمّا عطف البيان فهو تفسير الأوّل باسم آخر مرادف له.

والملاحظ أنّ اشتراك الوظائف النحويّة في البعد الدلالي يتيح اشتراكاً آخر في الشرط الصرفي أو في التنوع البنيوي للوظيفة النحويّة، وأنّ التمايز الدلالي من جهة أخرى يؤدي إلى تمايز في الشرط الصرفي والتنوع البنيوي، وقد يبدو

الأمــر في ظاهره متناقضاً لكنّ شبكة العلاقات بين الوظائف بتنوّعاتها المختلفة وبمســتوياتها المرتــبّة ترتيباً يراعي الأولويّة والتدرج تخلق نوعاً من الانسجام داخــل بنــية اللغة، بحيث يفرز التداخل والتمايز نتائج متوافقة نوعاً ما؛ فالحال، مــثلاً، لشــبهها بالخبر والنعت جاز فيها أنْ تتعدّد، وأن تأتي جملة، إلا أنّ جملة الحال لا تكون إلا خبريّة، خلافاً للخبر، وذلك "تغليباً لشبهه بالنعت في كونه قيداً مخصصــاً على شبهه بالخبر في كونه محكوماً به؛ لأنّ الغرض من الإتيان بها تقيــيد عاملهــا"(٩) وكذلك "التمييز" فهو نكرة لأنّه يشابه الحال في كونه يبيّن ما قــبله، ولكــنة جامد بخلاف الحال التي تأتي مشتقّة في الغالب؛ لأنّ التمييز مبيّن للذوات والحال مبيّنة للهيئات.

فالاشــتراك يُدْخِــل الوظيفة في نقطة تماس مع وظائف أخرى، والتمايز يحفــظ لها منطقة خاصّة بها، وهكذا تدور الوظائف النحويّة في فضاء التركيب بيــن معايير تقرّبها من نقطة ما، وأخرى تبعدها عنها، وتنضبط المسألة، بعدئذ، بالموازنــة بيــن المعايير المختلفة وترجيح بعضها على بعض، أو ترك المسألة مفتوحة لعدّة احتمالات يقبلها التركيب.

وكمــا أنّ الاشتراك في الشروط الصرفيّة بين الوظائف النحويّة يفتح باب الاحــتمال والــتعدد فــإنّ عدم الاشتراك في ذلك يغلق هذا الباب تماماً وإنْ كان هناك تداخل دلالي واضح بين وظيفة وأخرى؛ فالاشتراك الدلالي وحده لا يسوّغ القــول بالــتعدد والاحــتمال، بــل هو محتاج إلى ما يعضّده من معايير شكليّة كالإعراب والبنية الصرفيّة وبعض الشروط الموقعيّة والشكليّة الأخرى(١٠).

ويــبدو هذا الأمر واضحاً في وظيفة الحال التي تتداخل دلالياً مع وظائف شــتى، ولكنّ هذا التداخل يتفاوت ويختلف؛ فإذا كان هناك ما يقوّيه من ضوابط نحويّــة وشــكليّة اعــتمدها النّحاة في تحليلهم انفتح الباب للقول بتعدّد الإعراب وتداخل الوظائف، والتُفِتَ، حينئذ، إلى السياق لترجيح وجه على آخر، وهذا نهج معــروف عند النّحاة، ويتّضح جدّاً في كتب إعراب القرآن وتفسيره، أمّا إذا كان الــتداخل بين الحال والوظائف النحويّة الأخرى دلالياً خالصاً لا يعضّده اشتراك نحويّ أو صرفي أو موقعيّ فإنّ هذه الأبعاد الدلاليّة المشتركة لا يُلتفت إليها في

الغالـب، ويبقى القول في إعراب الكلمة محصوراً في الحال لا يخرج عنها إلى غيرها، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا البحث.

الأبعاد الدلاليّة للحال في حدود النحاة وتعريفاتهم:

تكـاد حدود النحاة، على اختلاف أزمنتهم، تتّفق في تحديد الملحظ الدلالي للحـال فـي كونـه هيئة الفاعل أو المفعول وقت وقوع الفعل، وواضح أنّ هذا الملحظ يشترك في تكوينه ثلاثة عناصر:

- الفعل (وهو العامل في الحال).
- الفاعل أو المفعول (وهو ما اصطلح على تسميته بصاحب الحال).
- الحال.

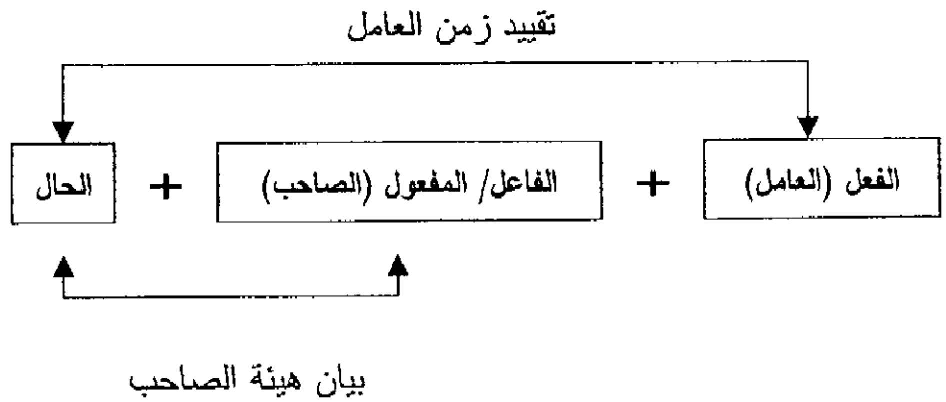
وعلـى الرغم من أنّ سيبويه، وهو يعرض لوظيفة الحال، اتّجه إلى ربطها مباشـرة بالفعل في قوله:"هذا باب ما يعمل فيه الفعل فينتصب وهو حال وقع فيه الفعـل وليس بمفعول كالثوب في قولك: كسوت الثوب، وفي قولك: كسوت زيداً الثوب، لأن الثوب ليس بحال وقع فيها الفعل ولكنه مفعول كالأول"[11] فإنّ أغلب حـدود الـنحاة وشـروحهم التي توضّح الملحظ الدلالي لهذه الوظيفة تتّجه إلى التركيز على العلاقة بين الحال وصاحبها؛ كقول ابن السرّاج مثلاً:" والحال إنما هـي هيـئة الفاعل أو المفعول أو صفته في وقت ذلك الفعل المخبر به عنه"[12] وكقـول ابـن يعيش: "اعلم أن الحال وصف هيئة الفاعل أو المفعول وذلك نحو جـاء زيـد ضاحكاً، وأقبل محمد مسرعاً، وضربت عبدالله باكياً، ولقيت الأمير عادلاً"[13]. أمّا ربطهم الحال بالفعل (العامل) فيأتي في سياقات أخرى؛ كبيان ما يصـلح أن يعمل في الحال من العوامل اللفظية والمعنويّة، أو بعض التفسيرات التـي توضّـح أبعاداً خاصّة في هذه الوظيفة وأشكالاً بنيويّة معيّنة تأتي عليه؛ كتعلـيلهم الذي مرّ قبل قليل لمنع مجيء جملة الحال إنشائية بقولهم إنّ الغرض من الحال تقييد عاملها[14].

وقـد كـان لهذا التوجّه في ربط الحال بصاحبها في بيان الملحظ الدلالي الذي تؤديه هذه الوظيفة أنْ أصبح هذا الملحظ هو الأكثر وضوحاً وبروزاً، وهو

الضـــابط الـــذي يوجّــه تحلــيل النّحاة وتفسيرهم لكثير من الأبعاد الدلاليّة التي تتشعّب عنها هذه الوظيفة.

وربّمـــا كان للتنوّعات الدلالية التي تأتي عليها هذه الوظيفة دور في تفطّن بعــض الــنّحاة إلـــى أنّ وظيفة الحال تتعدّد صورها وتتنوّع دلالاتها بحيث لا يســتوعب الحـــدّ الموضوع لها كلّ هذه الصور والدلالات، ولذلك، مثلاً، خالف الرضـــيّ ســـابقيهم من النحاة؛ فلم يرتض الحدّ الذي وضعوه للحال، ووجد أنّ كثــيراً من الأشكال التركيبيّة للحال لا يصدق عليها حدّ النّحاة، وعلى هذا نجده يقــول: "فالأولى أن نقول: الحال على ضربين: منتقلة ومؤكدة، ولكلّ منهما حدّ لاخــتلاف ماهيتهما، فحدّ المنتقلة: جزء كلام يتقيّد بوقت حصول مضمونة تعلّق الحــدث الـــذي في الكلام بالفاعل أو بالمفعول أو بما يجري مجراهما... وحدّ المؤكدة: اسم غير حدث يجيء مقرراً لمضمون جملة"(١٥) .

ويــبدو من حدود النّحاة وحديثهم في بيان الملحظ الدلالي العام لوظيفة أنّ هــذا الملحــظ يتراوح عندهم بين بعدين: الأوّل يربط الحال بصاحبها، والثاني يــربط الحال بعاملها؛ فهي بيان لهيئة الصاحب وتقييد لزمن العامل، كما يتّضح ذلك من خلال الرسم التوضيحي التالي:



الأبعاد الدلاليّة للحال في صور الاستعمال العربي:

تأتـــي الحـــال فـــي أكثر صور استعمالها متوافقة مع ما وضعه النّحاة من حـــدود وتقســـيمات: فهي في أغلب استعمالاتها تبيّن هيئة صاحبها وقت وقوع

عاملهـــا، والأمـــثلة على ذلك كثيرة مستفيضة تمتلئ بها مصنّفات النّحاة وتزخر بها نصوص الاستعمال العربي على اختلاف زمنها.

وإذا كـــان هذا التوافق مع وصف النّحاة وقواعدهم يمثّل الكثرة الكاثرة من صـــور استعمال هذه الوظيفة فإنّه يقع على هامش هذه الكثرة أمثلة أخرى تغاير مـــا أصّـــله النّحاة، وتتّجه في دلالاتها إلى حدود وظائف نحويّة أخرى فتتداخل معها وتعبّر عن أبعاد دلاليّة لا تقع ضمن الدائرة الدلاليّة لوظيفة الحال.

وقـــد تنـــبّه الـــنّحاة إلى بعض صور هذا التداخل، وأشاروا إليها إشارات عابـــرة، ولكنّهم ظلّوا متمسكين بضمّ هذه الصور الاستعماليّة المخصوصة إلى بـــاب الحـــال، رغم ابتعادها دلاليّاً عما تعبّر عنه هذه الوظيفة عادة، وسنحاول، مـــن خـــلال هـــذه الدراســـة، أن نعرض لجوانب من هذا التداخل وأن نتلمّس الأسباب التي منعت النّحاة من القول به.

أوّلاً- التداخل بين الحال والمفعول لأجله:

يجيز كثير من النّحاة في باب المفعول لأجله أنْ يُعْرَب المصدر الواقع في هـــذه الوظيفة، في كثير من المواقع، حالاً؛ لأنّ المصدر، عندهم، يجوز أن يقع حالاً، وإن كان هذا خلاف الأصل[١٦]، كما قال في ذلك ابن مالك[١٧]:

ومصدر منكّر حالاً يقع   بكثرة كبغتة زيد طلع

وعليه، فقد جوّز النّحاة، مثلاً، وجهين في إعراب "عبثاً" من قوله تعالى[١٨] :
﴿ أَفَحسِبتُم أنّما خَلَقناكُم عَبَثاً وأنّكم لا تُرْجَعُون﴾

فقـــالوا فـــيها: يحتمل أن تكون مفعولاً لأجله ويحتمل أن تكون حالاً، فهذا الاحتمال مقبول؛ لأنّ في الشروط الصرفيّة للوظيفتين ما يبرّره؛ فالمفعول لأجله لا يكـــون إلا مصـــدراً، والحـــال يجوز فيها ذلك أيضاً، فهذا التجويز فتح قناة تواصل بين الحال ووظائف نحوية أخرى، منها المفعول لأجله، مما سمح بتعدد الاحتمالات الإعرابية في التركيب الواحد[١٩].

فالنّحاة قالوا عن المفعول لأجله الذي يلتقي مع الحال في البعد الدلالي في سياق ما: حالاً؛ لأنّ الشرط الصرفي للحال يسمح بذلك.

ولكن هل قالوا عن الحال التي تلتقي مع المفعول لأجله في البعد الدلالي في سياق ما: مفعولاً لأجله؟ هذا الاحتمال غير وارد عندهم في الحقيقة؛ لأنّ الشرط الصرفي لوظيفة المفعول لأجله لا يسمح بهذا الاحتمال؛ فنحن عندما نقول: جئتك رغبة في الاستفادة من علمك.

نسمح بإعراب "رغبة" مفعولاً لأجله، أو حالاً. ولكن إذا قلنا: جئتك راغباً في الاستفادة من علمك.

لم يبق في إعراب "راغباً" إلا وجه واحد؛ فهي حال، ولا احتمال آخر فيها، على الرغم من أنّ الكلمة "راغباً" ما زالت محتفظة بالبعد الدلالي نفسه، فملحظ العلة واضح فيها، وإنّ كانت صيغة المشتق "اسم الفاعل" قد أضفت على المعنى لوناً خاصاً وبعداً جديداً فإنّها لم تسلب التركيب المعنى المستفاد من صيغة المصدر. ولعل هذا يتّضح إذا وضعنا هذا المشتق بإزاء مشتق آخر لا يتضمّن معنى العلّة، وذلك كما في الجملتين التاليتين:

- جئتك راغباً.
- جئتك ماشياً.

إذ يتبيّن من المثالين السابقين أنْ ليس كلّ مشتق، في وظيفة الحال، يبيّن هيئة صاحبه، وأنّ بعض المشتقات تتضمّن أبعاداً دلاليّة أخرى، كبيان العلّة، وهذا يعتمد، في جانب كبير منه على الفروق في المعاني المعجميّة للمشتقات؛ فـ"راغباً" ينتمي إلى مجموعة الأفعال التي يسميها النّحاة قلبيّة، والتي يقولون في تعريفها:"إنّها أفعال غير مؤثرة ولا واصلة منك إلى غيرك، وإنّما هي أمور تقع في النفس"(٢٠)، أمّا "ماشياً" فينتمي إلى مجموعة أخرى تعرف بالأفعال العلاجيّة، وهي التي يناسبها أن تكون مبينَة للهيئات، أمّا سابقتها فإنّ بيان الهيئة فيها يأتي ضمنياً مُسْتَنْتَجاً(٢١). وقد يتّضح كيف يتحمّل النوع الأوّل من المشتقات ملحظ العلّة، أحياناً، كما في الأمثلة الآتية:

- لا تَرُزْني مزاولاً لاختباري بعد هذي البلوى فتنكر مسّي
(البحتري، الديوان، ١١٥٣/٢).

- أســـارقك اللحـــظ مســـتحيياً وأزجـــر فـــي الخـــيل مهـــري ســـراراً (المتنبي،الديوان ١٩٧/٢).

- وهم يصدونه عن ذلك مشفقين عليه.(الأيام، طه حسين ١١٢/٣).

وهكـــذا يبدو أنّ التعميم الذي نجده في الشرط الصرفي للوظيفة النحويّة قد يُغَيّـب بعـض الفروق الدلاليّة الدقيقة بين مجموعة الألفاظ التي يتحقق فيها ذلك الشرط.

وقـد يبدو التداخل الدلالي بين الحال والمفعول لأجله، إذا جاءت الحال وصفاً مشـتقاً، ضعيفاً يمكن التجاوز عنه، خاصّة إذا كانت الأمثلة عليه قليلة قابلة للتأويل الـذي يردّها إلى دلالتها الأصليّة وهي بيان هيئة صاحبها. ولكنّ هذا التداخل يقوى ويشتدّ عندما يعبّر عن وظيفة الحال بجملة فعليّة مضارعيّة؛ إذ يأتي ملحظ التعليل فـي مقدّمـة الأبعاد الدلاليّة التي يعبّر عنها بالجملة الفعليّة المضارعيّة، لكنّ هذه الجملة تعرب حالاً، ولا ينظر في احتمال كونها تعليلاً؛ لأنّ التداخل الدلالي لا يكفي وحـده، فـلا بـدّ مـن اشـتراك في الشرط الصرفي أو التنوّع البنيوي للوظيفة، والمفعـول لأجلـه لا يأتـي جملة عند النحاة؛ وهكذا يبدو أنّ تمسّك النّحاة بكون المفعول لأجله لا يكون إلا مصدراً جعلهم لا يتنبّهون إلى ملحظ العلّة في كثير من التراكيـب التـي عُبّر فيها عن هذا الملحظ بالجملة، ففي مثل هذه السياقات تعرب الجملة حالاً بغض النظر عن البعد الدلالي الذي يفهم منها.

وعليه فإنّ ما تحته خط فيما يأتي يعرب عند النّحاة أحوالاً، من دون أن ينصّ على ما يتحمّله اللفظ من دلالة تفسيريّة معلّلة(٢٢) :

- (إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمشَاجٍ نَبْتَلِيه) الإنسان/٢.

- "هاجـرنا مـع رسـول الله صـلى الله علـيه وسلم نلتمس وجه الله تعالي " رياض الصالحين/٢١٨.

- "بعثنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأمّر علينا أبا عبيدة، رضي الله عنه، نتلقي عيراً لقريش " رياض الصالحين/٢٣٢.

- "... وتفرّق

- لناس يستظلون بالشجر..." رياض الصالحين/٥١.

- "... كان أبي، يزيدُ، أخرج دنانير يتصدّق بها..." رياض الصالحين/٦٠.
- قال بشامة بن عمرو: (المفضليّات/٥٧).

بعينٍ كعين مُفيض القِداح — إذا ما أراغ يريد الحويلا

- قال المزرّد: (المفضليّات/١٠١)

فطوّف في أصحابه يستثيبهم فآب وقد أكدتْ عليه المسائل

- قال المرقش الأكبر: (المفضليّات/٢٢٦)

إذا علمٌ خلّفتُه يهتدى به — بدا علم في الآل أغبرُ طامس

- قال عمر بن أبي ربيعة: (الديوان/٢٤)

خرجت غداة النفر أعترض الدمى — فلم أر أحلى منك في العين والقلب

- قال البحتري: (الديوان/١٩)

حَضَرَتْ رحلَي الهمومُ فوجهـــ — ـــتُ إلى أبيضِ المدائنِ عَنْسي

أتسلي عن الحظـــوظِ وآسى — لمحلٍ من آلِ ساســانَ درسِ

- حتى إذا تمّ له من تهيئة الطعام ما أراد خلّى بينه وبين هذه النار تنضجه على مهل. (الأيام، طه حسين ٤١/٢).
- وأقبل الفتى ذات يوم إلى القاهرة يتهيأ للسفر البعيد. (الأيام، ٧٠/٣).
- وأبرقا إلى الجامعة وإلى من يعرفان من الصديق يتعجلان هذا الإذن.(الأيام ٨٩/٣).

وهكذا يمثّل الاشتراك في الشرط الصرفي قناة تواصل مفتوحة تتداخل فيها الوظائف وتتعدّد فيها أوجه التأويل الدلالي، وفي المقابل يمثّل عدم الاشتراك في الشرط الصرفي حاجزاً وهمياً يغيّب بعض الأبعاد الدلاليّة التي ينتجها التركيب أحياناً ويوجّه إليها سياق الكلام[٢٣] .

وإذا تأملنا نصوص النّحاة وجدنا أنّهم كانوا، في الغالب، يربطون بين الملحظ الدلالي والشرط الصرفي للوظيفة النحويّة[٢٤]؛ فالمفعول لأجله لا يكون إلا مصدراً "لأنّه علّة وسبب لوقوع الفعل وداعٍ له، والداعي إنما يكون حدثاً لا عيناً"[٢٥].

فهم في تفسيرهم يضعون المصدر في مقابل اسم العين الذي ينتفي وقوعه علّة انتفاء واضحاً، ولكنّهم لا يضعون المصدر في مقابل المشتق أو الفعل، على الرغم من أنهم يصرّحون بأنّ "الفعل إمّا أن يجتذب به فعل آخر؛ كقولك: احتملتك لاستدامة مودتك وزرتك لابتغاء معروفك، فاستدامة المودة معنى يجذب بالاحتمال وابتغاء الرزق معنى يجذب بالزيارة، وإما أن يدفع بالفعل الأول معنى حاصل؛ كقولك: فعلت هذا حذر شرِّك، فالحذر معنى حاصل يتوصل بما قبله من الفعل إلى دفعه، والمصادر معان تحدث وتتقضى فلذلك كانت علة بخلاف العين الثابتة"[٢٦] .

وواضح أنّ المقياس الذي وضعوه لمجيء المفعول لأجله مصدراً يصدق على الفعل المضارع؛ فملحظ العلّة غير منتفٍ فيه، حتى إننا لو قلنا: احتملتك أستديم مودّتك، وزرتك أبتغي معروفك، لبقي معنى العلّة مفهوماً[٢٧]؛ لأنّ الأفعال، أيضاً، معانٍ تحدث وتتقضى كالمصادر تماماً[٢٨].

ونحن إذا قلّبنا المسألة ونظرنا فيها من بعد آخر وجدنا أنّ التعبير عن العلّة بالفعل لا يمتنع؛ فقد علّل النّحاة جواز مجيء الحال جملة بقولهم "لأنّ مضمون الحال قيد عاملها، ويصحّ أنْ يكون القيد مضمون الجملة كما يكون مضمون المفرد" [٢٩]. وبالقياس يمكننا القول إنّ مضمون المفعول لأجله علّة عاملة، ويصحّ أن تكون العلّة مضمون الجملة كما تكون مضمون المصدر، خاصّة إذا علمنا أنّ الفعل يتضمّن، دلالياً، معنى الحدث.

وإذا كان المفتاح المبدئي الذي وضعه النّحاة للتمييز بين الحال والمفعول لأجله هو أنّ الأولى تقع في جواب: كيف فعلت؟ والثاني يقع في جواب: لم فعلت؟ فإنّ هذا الضابط قد يشير أحياناً إلى أنّ بعض الأبنية يصح فيها أن تقع جواباً للسؤالين، وقد يتقدّم وقوعها جواباً عن العلة، أحياناً، على وقوعها جواباً عن الهيئة، ويتّضح ذلك إذا أعدنا النظر في الأمثلة المذكورة قبلُ.

بل إنّ بعض الأبنية ترد مباشرة في الاستعمال العربي جواباً عن السبب والعلّة؛ فقد ورد في الحديث الشريف قوله:"... خرج معاوية رضي الله عنه على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله قال: الله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا ما أجلسنا إلا ذاك" رياض الصالحين/٥٠٨.

وفي حديث آخر :"عن أبي طلحة زيد بن سهل رضي الله عنه قال: كنا قعوداً بالأفنية نتحدّث فيها، فجاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقام علينا فقال: ما لكم ولمجالس الصعدات؟ فقلنا: إنما قعدنا لغير ما بأس، قعدنا نتذاكر ونتحدّث ..." رياض الصالحين/٥٧٩.

فالجملتان الفعليّتان (نذكر/ نتذاكر) تعربان حالاً بناء على القاعدة النحويّة التي تنص على أنّ الجمل واشباه الجمل بعد المعارف أحوال وبعد النكرات صفات، على الرغم من وقوعها في سياق الإجابة عن العلّة والسبب.

ويزيد المسألة وضوحاً أنّ النّحاة وضعوا شرطاً لانتصاب المصدر على أنّه مفعول لأجله؛ فلا يعرب المصدر مفعولاً لأجله إلا إذا صحّ تقديره باللام: "لأنّ اللام معناها العلّة والغرض"(٣٠)، ونحنُ إذا أعدنا النظر في الأمثلة السابقة وجدنا أنّ تقدير اللام فيها محتمل ولا يناقض دلالة التركيب، فلو قلنا:

- جلسنا لنذكر الله/ قعدنا لنتذاكر. وقبل ذلك:
- إذا علمٌ خلّفته ليهتدى به.
- تفرّق الناس ليستظلوا بالشجر.
- أخرج دنانير ليتصدّق بها.
- فطوّف في أصحابه ليستثيبهم.
- خرجت غداة النفر لأعترض الدمى.
- فوجّهت إلى أبيض المدائن عنسي لأتسلي عن الحظوظ.
- خلّى بينه وبين هذه النار لتنضجه على مهل...
- وأقبل الفتى إلى القاهرة ليتهيّأ للسفر البعيد...

- وأبرقا إلى الجامعة... ليتعجّلا هذا الإذن...لصحّ التقدير واستقام المعنى(٣١) .

بل إننا لو عكسنا الأمر فجرّدنا الفعل المضارع من هذه اللام في أي سياق يرد الفعل فيه مقروناً بها لوجدنا أنّ دلالة التعليل تبقى، أحياناً، مفهومة واضحة، إلا أنّ اختلاف الشكل البنيوي لعناصره يوجّه القول فيه توجيهاً آخر. فلو تأملنا، مثلاً، العبارة الآتية:

- وربما اشتملت بعض هذه الرسائل على زهرة قد جففت وأرسلت إليه ليحملها كما تحمل التمائم لتذكّره إن عرض له النسيان.(الأيام،٣/٩٠).

لوجدنا أنّ إسقاط اللام الدالّة على التعليل في قوله :"ليحملها "و"لتذكّره" لا يجرّد التركيب من دلالة التعليل تماماً، فلو قلنا:

- وربّما اشتملت بعض هذه الرسائل على زهرة قد جففت وأرسلت إليه، يحملها كما تحمل التمائم، وتذكّره إن عرض له النسيان.

لبقي هذا المعنى مفهوماً مراداً، فإن كان وجود اللام يدفع أي احتمال دلاليّ آخر، ويجرد التركيب لدلالة التعليل وحدها، فإنّ غياب هذه اللام لا يعني، بأي حال، غياب دلالة التعليل تماماً.

وعليه، فإنّ التداخل الدلالي بين الوظيفتين، في مثل هذه التراكيب، واضح جدّاً، ولكنّه مع ذلك، غائب في مصنّفات النّحاة؛ ذلك أنّ ضوابط الوصف والتقعيد عندهم تتعدّد ولا تقتصر على البعد الدلالي وحده، وهذا ما سنوضّحه في خاتمة البحث.

ثانياً- التداخل الدلالي بين الحال والمفعول فيه أو بين الحال والمفعول معه:

إذا كان النّحاة لم يشيروا إلى التداخل الدلالي بين الحال والمفعول لأجله فإنّهم استشعروا تداخلاً آخر وأشاروا إليه وعرضوا للإشكال فيه؛ فقد نصّوا على الشبه بين الحال والمفعول فيه "وخصوصاً ظرف الزمان؛ لأنّ الحال لا تبقى بل تنتقل إلى حال أخرى، كما أنّ الزمان منقضٍ لا يبقى ويخلفه غيره"(٣٢) .

وقد أشار سيبويه، منذ البَدْء، إلى هذا التداخل وهو يفسّر قوله تعالى:(يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمّتهم أنفسهم) فقال فيه: (فإنما وجّهوه على أنّه يَغشى

طائفة منكم وطائفة في هذه الحال، كأنّه قال: إذ طائفة في هذه الحال، فإنما جعله وقتاً ولم يرد أن يجعلها واو عطف، وإنما هي واو الابتداء"(٣٣)، ويبدو من تفسير سـيبويه أنـه استشعر الدلالة الزمنيّة التي تتحملّها أمثال هذه الجمل فصرّح بها، ولكنّ متأخري النّحاة فسّروا قوله تفسيراً يجرّد الجملة ممّا استشعره وأشار إليه، ويقصرها على دلالة الحال التي تعارفوا عليها (٣٤).

ولشدّة الارتباط بين واو الحال والدلالة على الزمان أوردها ابن منظور في اللسـان مقسّـماً إيّاها قسمين على الرغم من عدم وجود فارق دلالي بينهما؛ إذ يقول:" ومنها واوات الحال، كقولك: أتيته والشمس طالعة، أي في حال طلوعها، قـال الله تعـالى (إذ نادى وهو مكظوم)، ومنها واو الوقت كقولك: اعمل وأنت صحيح، أي في وقت صحتك والآن وأنت فارغ، فهذه واو الوقت وهي قريبة من واو الحال..." (٣٥).

كمـا نـصّ عليها ابن السرّاج، وهو يتحدّث عن مواضع كسر همزة (إنّ)، فقـال: "وإذا ذكرت:" إن "بعد واو الوقت كسرت، لإنه موضع ابتداء، نحو قولك: رأيته شاباً وإنه يومئذ يفخر "(٣٦) .

ولعـل ابـن هشـام يكـون أول من وضع هذا التداخل الدلالي بين هاتين الوظيفتيـن موضـع الإشكال الذي يسأل عنه؛ فقد قال في المغني: "ومما يشكل قولهـم فـي نحو" جاء زيد والشمس طالعة" إنّ الجملة الاسميّة حال، مع أنّها لا تـنحل إلي مفرد، ولا تبيّن هيئة فاعل ولا مفعول، ولا هي حال مؤكدة، فقال ابن جنـي: تأويلهـا جاء زيد طالعة الشمس عند مجيئه، يعني: فهي كالحال والنعت وقـال ابن عمرون: هي مؤولة بقولك مبكّراً ونحوه، وقال صدر الأفاضل تلميذ الزمخشـري: إنمـا الجملة مفعول معه، وأثبت مجيء المفعول معه جملة، وقال الزمخشـري في تفسير قوله تعالى (والبحرُ يمدّه من بعده سبعة أبحر) في قراءة مـن رفـع البحر، هو كقوله: وقد أغتدي والطير في وكناتها.. و"جئت والجيش مصـطف" ونحوهما من الأحوال التي حكمها حكم الظروف، فلذلك عريت من ضمير ذي الحال" (٣٧).

والشـواهد على مثل هذه الأحوال كثيرة جدّاً، نورد منها هذه الأمثلة لتبرز المسألة في بعد واضح جليّ:

- قال عمرو بن الأهتم:(المفضليّات/١٢٦):

ومُسْتَنْبِح بعد الهدوء دعوته وقد حان من نجم الشتاء خفوق

- قال عبدة بين الطبيب: (المفضليّات/١٤٣):

وقد غدوت وقرن الشمس منفتق ودونه من سواد الليل تجليل

- قال ربيعة بن مقروم: (المفضليّات/١٨٩):

فأوردها ولون الليل داج وما لغبا وفي الفجر انصداع

- قال متمم بن نويرة: (المفضليّات/٢٧١)

لذكرى حبيب بعد هدء ذكرته وقد حان من تالي النجوم طلوع

- قال علقمة بن عبدة: (المفضليّات/٣٩٥):

فقاتلتَهم حتى اتقَوْك بكبشهم وقد حان من شمس النهار غروب

- قال أبو ذؤيب: (المفضليّات/٤٢٤)

فوردن والعيوق مقعد رابئ الـ ـضُرَباء فوق النظم لا يتتلّع

فلا شكّ أنّ الدلالة على الزمان في الجمل الحاليّة السابقة واضحة جدّاً؛ إذ تنعقد علاقة الإسناد فيها بين ركنين يحددان زمان الحدث، ولكنْ لم يقل أحد من النّحاة في إعرابها إنّها في محل نصب مفعول فيه؛ لأنّ النّحاة مجمعون على أنّ المفعول فيه لا يقع جملة؛ فهو في عرفهم: "ما ضمّن معنى" في "باطّراد، من اسم وقت، أو اسم مكان، أو اسم عرضت دلالته على أحدهما، أو جار مجراه"(٣٨)، ولكنّهم نصّوا في مثل الجمل الحاليّة السابقة على أنّه يجوز إخلاؤها "عن الراجع إلى ذي الحال إجراء لها مجرى الظرف لانعقاد الشبه بين الحال وبينه"(٣٩).

وواضح أنّ أمثال هذه الجمل العارية من ضمير ذي الحال ترتبط، دلاليّاً، بالعامل فيها، وليس لها أيّ ارتباط دلاليّ بالصاحب، وهي بذلك تبتعد عن

الصور الاستعماليّة المألوفة لوظيفة الحال التي تتضمّن بعدين دلاليّن، كما أشرنا إلــى ذلــك ســابقاً، همـــا: بيان هيئة الصاحب، وتقييد زمن العامل؛ فهذه الجمل تقتصر دلالياً على البعد الثاني فقط ممّا يخلصّها للدلالة على الزمان.

ولا تقتصـــر هـــذه الجملـــة الحاليّة الخالية من ضمير ذي الحال على بيان الزمان؛ إذ قد تأتي في استعمالات أخرى لتحوّل انتباه السامع إلى حدث آخر تقع عناصـــره في الوقت الذي يقع فيه مضمون العامل، وهذا النوع من الجمل يوسّع إطار الصورة ويوزّع التركيز على حدثين أو أحداث تتزامن جميعها في اللحظة نفســها، ولعل أمثال هذه الجمل هي التي يصدق عليها مفهوم المعيّة الذي قال به بعـــض الـــنحاة؛ إذ إنّ التنصيص على المعيّة عند النحاة يعني " مصاحبة ما بعد الواو لما قبلها في وقت واحد"[40]. وهذا البعد الدلالي (المصاحبة الزمنيّة) متحقّق في تراكيب كثيرة في العربيّة، إلا أنه، وحده، لا يكفي، عند النحاة، للقول بوقوع الجملة مفعولاً معه، ومن الأمثلة على ذلك:

- "كنــت جالساً مع النبيّ، صلّى الله عليه وسلم، ورجلان يستبّان..." رياض الصالحين/٣٥.
- قال المتنبي: (الديوان ١/١٨٩)

ولكنّه ولّى وللطعن سوْرةٌ   إذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا

- قال المتنبي: (الديوان ٢/٣٤٣)

وما حمدتك في هول ثبتّ له   حتى بلوتك والأبطال تمتصع

- قال سويد بن أبي كاهل اليشكري: (المفضليّات/٢٠)

وارتمينا والأعادي شهّد   بنبال ذات سم قد نقع

- قال بشر بن أبي خازم: (المفضليّات/ ٣٤٧)

نعلو القوانس بالسيوف ونعتزي   والخيل مشعلة النحور من الدم

- "قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، في بيتي" رياض الصالحين/ ٣٥٤.
- "وأقبل الشاعر ينشدهم وصاحبنا جالس يسمع" (الأيام، طه حسين ١/٢٥).

وواضـــح أنّ المعنى المستفاد من علاقة الإسناد في هذه المجموعة يختلف عـــنه فـــي المجموعـــة السابقة؛ إذ لا تنعقد العلاقة بين ركني الإسناد هنا لتحديد زمـــان العـــامل، ولكـــنها تبيّن أحداثاً يقترن وقوعها بوقوع العامل، ولذلك كانت الدلالة على الزمان في هذه المجموعة ضمنيّة.

ويلاحـــظ، أيضـــاً، أنّ هـــذه المجموعة خالية من أيّ رابط يربطها، دلالياً، بالصـــاحب، فهـــي لا تدل على الزمان مباشرة، ولا ترتبط بالصاحب مطلقاً. بل ترتبط بالعامل على وجه مخصوص يقرّبها من دلالات المفعول معه؛ لأنّها تبيّن أنّ وقـــوع الحـــدث فيها متزامن مع وقوع الحدث في العامل، وهذا ما تدل عليه واو المعـــيّة؛ إذ إنها "للتنصيص على مصاحبة ما بعدها لمعمول العامل السابق، أي مقارنـــته له فـــي الزمان سواء اشتركا في الحكم كجئت وزيداً أو لا، كاستوى المـــاء والخشـــبة"(٤١)، ولعـــلّ أمثال هذه الجمل هي التي دفعت الرضيّ، شارح الكافـــية، إلـــى وضع حدّ آخر للحال، كما أشرنا قبل هذا، يشمل ما تتضمنه من دلالات.

ويـــبدو أنّ الدلالات المستفادة من علاقة الإسناد في مثل هذه الجمل الحاليّة تتنوّع وتتغاير حسب ركني الإسناد وطبيعة العلاقة بينهما؛ فانعقاد علاقة الإسناد بيـــن ركنين ليس ضمير صاحب الحال واحداً منهما هو الذي يسمح بتحمّل هذه الجملـــة دلالة جديدة مستقلة غير مقيّدة، إلا زمنيّا، بعناصر الجملة التي تتضمن العـــامل والصـــاحب، لأن كـــل حدث في مثل هذه التراكيب يدور حول محور مســـتقل، بخـــلاف الجمـــل الحاليّة التي يكون أحد ركني الإسناد فيها ضمير ذي الحـــال؛ فهـــذه تتوحّد فيها الصورة ،إن تعددت الأحداث، ولكنّ هذه الاختلاف لا يطـــال الدلالـــة علـــى الزمان فيها؛ فهي باقية مفهومة ضمنياً، ويتّضح ذلك في الأمثلة الآتية:

- "كنـــت وأنا في الجاهليّة أظنّ أنّ الناس على ضلالة وأنّهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان" رياض الصالحين/٢٠٢.
- "وإذا أراد هلكـــة أمّة عذّبها ونبيّها حيّ، فأهلكها وهو حيّ ينظر، فأقر عينه بهلاكها" رياض الصاحلين/٢٠٤.
- "...أنّ تصَـــدّق وأنـــت صـــحيح شـــحيح تخشـــى الفقـــر وتأمل الغني..." رياض الصالحين/٥٧.
- قال المتنبي: (الديوان/٢/٦٧)

سعوا للمعالي وهم صبية   وسادوا وجادوا وهم في المهود

- "إذا نعـــس أحدكـــم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإنّه إذا صلّى وهو ناعس" رياض الصالحين/٧٩.

ويــبدو أنّ الفرق بين هذه المجموعة وسابقتيها أنّ الأولى قد خلصت للدلالة على الزمان تماماً، وأنّ الثانية تشير إلى حدث مستقل يتزامن مع مضمون العامل، أما هذه فكأنّها يتنازعها معنيان؛ معنى الزمان ومعنى الحال (بيان الهيئة)، بل إننا إذا تأملــنا العــبارات الســابقة وجدنا فروقاً دلاليّة دقيقة بينها؛ فبعضها يعلو فيه الإحســاس بالدلالـــة الزمنية (وأنا في الجاهليّة، ونبيّها حيّ، وهم صبية، وهم في المهــود)، ويخفت فيها بيان الحال، حتى كأنّه ظل باهت يلوح وراء نصاعة معنى الـــزمان، وبعضها الآخر يتقدّم فيها ملحظ بيان الهيئة (وهو يصلي، وهو ناعس) حــتى إنه ليزاحم معنى الزمان، وقد يتقدّمه بدرجات. بل إنه يصعب أحياناً الحكم لأحد الملحظين بالتقدم على الآخر (وأنت صحيح) (٤٢) .

ولعــلّ التمايز يكون أوضح وأجلى إذا وضعت العبارات السابقة بإزاء هذه العبارات:

- "فانطلقت وأنا مهموم على وجهي..." رياض الصالحين/٢٧٧.
- "لا تحقــرّن من المعروف شيئاً، وأنْ تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك" رياض الصالحين/٣٢٩.
- "مــر بــي رســول الله صــلى الله علــيه وســلم وأنــا جــالس هكذا.. " رياض الصالحين/٣٣٧.
- "ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون..." رياض الصالحين/٥٤٥.

فهــذه ينعدم فيها معنى الزمان أو يكاد، ويبرز فيها بيان الهيئة بروزاً قوياً لا يكاد يُلتفت فيه إلى معنى آخر غيره (٤٣).

ويبدو أنّ هذه الفروق الدلاليّة بين المجموعتين السابقتين تعتمد، بالدرجة الأولى، على دلالات الخبر في الجملة الحاليّة؛ تأمّل، مثلاً الفرق بين:

دلالة زمنيّة | وأنا في الجاهليّة.
- ونبيّها حيّ.
- وأنت صحيح.
- وأنت منبسط إليه وجهك.
دلالة حاليّة | - وأنا جالس هكذا.

ونستطيع أن نوضّح ما سبق بيانه من خلال الرسوم التوضيحيّة الآتية:

العامل + **الصاحب** + **جملة الحال**

الحـال مرتـبطة بالعامل فقط ودلالتها صريحة على الزمان

- خالية من ضمير ذي الحال
- علاقة الإسناد فيها منعقدة بين عنصرين يحددان زمان وقوع العامل (جاء زيد والشمس طالعة)

العامل + **الصاحب** + **جملة الحال**

الحـال مرتـبطة بالعامل فقط ودلالتها ضمنية على الزمان

- خالية من ضمير ذي الحال.
- علاقة الإسناد فيها منعقدة بين عنصرين يشيران إلى حدث خارجي يقترن زمنه بزمن العامل (خرجت من بيتي والجوّ بارد)

العامل + **الصاحب** + **جملة الحال**

الحال مرتبط بالصاحب والعامل وقد تتضمن الدلالة على الزمان

- مشتملة على ضمير ذي الحال
- علاقة الإسناد فيها منعقدة بين عنصرين أحدهما ضمير ذي الحال أو مشتمل عليه.
- (كنت وأنا في الجاهليّة)

والذي يتضّح من العرض السابق أنّ الحال، إذا كانت جملة، تتعدّد دلالاتها وتتــنوّع معانــيها ممّــا يجعلهــا، فــي أحيان كثيرة، تبتعد عن الأصل الدلالي الموضــوع لها وتقترب من تخوم وظائف نحويّة أخرى فتعبّر عمّا تعبّر عنه تلك الوظــائف، ولكــنّ الشــروط البنيويّة للوظائف النحويّة تقف حاجزاً أمام تبصّر الفــروق الدلالــيّة بيــن هــذه الجمل والتفطن إلى الأبعاد الدلاليّة الأخرى التي يتضمّنها السياق الواقعة فيه.

ثالثاً: التداخل الدلالي بين الحال والصفة:

يــبدو أنّ السياق الذي ترد فيه جملة الحال يؤثر تأثيراً قوياً في توجيه معنى هــذه الجملة وفي تقريبها من أبعاد دلاليّة لوظائف نحويّة أخرى؛ فإذا كان الفرق الحاســم بين الحال والصفة أنّ الحال طارئة تزول بزوال العامل وأنّ الصفة لا تتقــيّد بالعامل بل هي تحلية للموصوف وتبين له أنّه المعروف بهذه الصفة[٤٤]، فهــي "لفــظ يتــبع الموصــوف في إعرابه تحلية وتخصيصاً له بذكر معنى في الموصــوف أو في شيء من سببه، وذلك المعنى عرض للذات لازم له"[٤٥]، فإنّ جملــة الحال تأتي، في بعض السياقات، قريبة من الصفة متداخلة معها دلالياً؛ إذ يــبرز فيها ملحظ التحلية والتبيين الذي نجده في وظيفة الصفة، فلا تكون طارئة ولا يــتعلّق وجودها بوجود العامل فيها، وهي في مثل هذه السياقات تختلف عن الحال اللازمة التي ذكرها النّحاة وعدّدوا أقسامها. وذلك كما في الأمثلة الآتية:

- (لَيُوسُفُ وأخُوهُ أحبُّ إلى أبينا منّا وَنَحْنُ عُصْبَة) يوسف/٨.
- (وَعَســى أنْ تكــرهُوا شــيئاً وَهُــوَ خــيرٌ لكُم وعسى أن تُحِبّو شيئاً وهُوَ شرٌّ لكُم) [٤٦] البقرة/٢١٦.
- "أما إنّه قد صدقك وهو كذوب...) رياض الصالحين/٣٩٤.

- قال المتنبي: (الديوان ١/٣٦١)

أبالغمرات توعدنا النصارى ونحن نجومها وهي البروج

- "الـذي يقـرأ القـرآن وهـو ماهـر بـه مـع السفرة الكرام البررة" رياض الصالحين/٣٨٧.

والملاحـظ علـى الأحوال السابقة أنّها، جميعها، جمل اسميّة مسبوقة بالواو، وخـبرها اسـم، وهو مما يرجح ملحظ الثبات والتحلية فيها، كما يبرز في الأمثلة الأربعـة الأولـى ملحظ آخر، هو ما اصطلح د. عبد القادر المهيري على تسميته بالمقابلة(٤٧)، وهو ما نستطيع أن نوضّحه بإضافة عبارة "على الرغم" إلى التركيب.

وواضـح، عـند اعـتماد المعنى وحده، أنّ أمثال هذه الجمل تفارق الأبعاد الدلالـيّة العامّـة لوظـيفة الحال، التي سبق أن وضّحناها آنفاً، وتستقل بأبعادها الدلالـيّة الخاصـة التي تضعها على تخوم قريبة جدّاً من وظيفة الصفة، لولا أنّ القيود والضوابط الشكليّة الأخرى التي تنص على أنّ الجمل بعد المعارف أحوال تجذبها ثانية إلى حدود وظيفة الحال في العربيّة.

خاتمة البحث

لعلّـه يجدر بنا، الآن، أن نحاول تفسير عدم احتفال النّحاة بهذا التداخل بين الحـال والوظـائف الـنحويّة المذكورة آنفاً، على الرغم من استشعارهم بعض صوره والتفاتهم إلى أشكال مختلفة منه، فما الأسباب التي منعت النّحاة من القول بضمّ تلك الصور التركيبيّة إلى الوظائف التي تتوافق معها في الأبعاد الدلاليّة؟

إنّ المتأمّل في الأصول العامّة التي قامت عليها النظريّة النحو العربي، وما صاغه النّحاة من ضوابط رئيسة توجّه القول في وصف العربيّة وتقعيد قواعدها يستشـعر تنـبّه الـنّحاة إلى ما يعتري التراكيب، أحياناً، من تجاذب بين المعنى والإعراب، أو بين الأبعاد الدلاليّة الخالصة من جهة والضوابط الشكليّة المختلفة مـن جهة أخرى، وهو ملحظ أشاروا إليه في مرحلة مبكرة من وصف العربيّة؛

مـــن ذلك، مثلاً، ما ألمح إليه سيبويه في قوله: "ومثل ذلك قولك: إن زيداً ظريف وعمروٌ وعمراً، فالمعنى في الحديث واحد وما يراد من الإعمال مختلف"(٤٨).

وقـــد وضـــع ابن هشام باباً كاملاً للحديث عن الموجّهات التي تضبط القول في إعراب العناصر في التركيب، وضّح فيه من خلال أمثلة كثيرة كيف تتداخل المـــرجّحات الدلاليّة والصناعيّة، وكيف السبيل إلى ضبط المسألة على نحو من التحكّم المشروع الذي يحفظ للنظريّة تماسكها وتوافقها (٤٩).

كمـــا جـــرّد ابـــن جنّـــي هذه المسألة في خصائصه على نحو يخرجها إلى مســـتوى تأصيلي أساسيّ تنبني عليه نظريّة النحو العربي من خلال ثلاثة أبواب مهمّة، هي:

- باب في تجاذب المعاني والإعراب.
- باب في التفسير على المعنى دون اللفظ.
- باب في الفرق بين تقدير الإعرابِ وتفسير المعنى.

وهو يقول في الباب الأول منها:"هذا موضع كان أبو عليّ –رحمه الله– يعتاده، ويلمّ كثيراً به، ويبعث على المراجعة له وإلطاف النظر فيه، وذلك أنّك تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين، هذا يدعوك إلى أمر وهذا يمنعك منه، فمتى اعتورا كلاماً أمسكت بعروة المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب"(٥٠). وعلى الرغم من أنّ ابن جنّي يقدّم المعنى على الإعراب في أغلب الأمثلة التي عرض لها، إلا أنّ هذا الإجراء لم يكن وارداً عند النّحاة في الأمثلة التي سيقت في هذا البحث؛ ذلك أنّهم لا يمانعون أنْ يختلف تفسير المعنى عن تقدير الإعراب، وهي المسألة التي تناولها ابن جني، أيضاً، في الباب الثالث المذكور هنا.

إنّ نظـــريّة النحو العربي القائمة على القول بالعامل منضبطة، عند النّحاة، بضوابط مختلفة، يعد المعنى واحداً منها، فهول ليس ضابطاً رئيساً، في كثير من المواضع؛ "فبنية النظريّة النحويّة المتمثّلة في العامل النحوي ذات طبيعة تركيبيّة شـــكليّة، تـــتّخذ مـــن العلاقات النحويّة أساساً في رسم أطرها وأبعادها الرئيسة،

ولكنّها في الوقت نفسه لا تغفل دور العناصر (الدلاليّة) في تشكيل النسق النهائي للـنظريّة، فتضـع لهـا أدواراً مؤثـرة تحـرك مكوّنات النظريّة في اتّجاهات مخصوصـة"[٥١]، لكـنّها لا تُطلـق لهـا زمـام التحكّم في الوصف، بل تقيّدها بالضوابط الشكليّة والبنيويّة الأخرى التي تُعدّ أكثر انضباطاً وتماسكاً.

إنّنا إذا افترضنا أنّنا واجهنا النّحاة بمثل تلك التداخلات الدلالية بين الوظائف الـنحويّة التي عرضنا لجانب منها في هذا البحث، فإنّ جوابهم سيكون حاضراً، مـتوافقاً مـع أصولهم، متناغماً مع ضوابطهم؛ لأنّهم سيقولون "وأيّ منعٍ في أنْ يـتّفق فـي المعـنى المقصود المختلفان في الإعراب؟ إلا ترى أنّ معنى "جئت راكباً": جئت وقت ركوبي، والأوّل حال والثاني مفعول فيه؟"[٥٢].

لا شكّ أنّ هذا النص يدلّ دلالة قاطعة على استشعار النّحاة التداخل الدلالي بيـن الوظائف النحويّة، وأنّ هذا التداخل، وحده، ليس كافياً، عندهم، للقول بتعدّد الاحـتمالات الإعرابـيّة فـي التركيـب؛ لأنّهم لا يقتصرون عليه في الوصف والتقعـيد، ولا يـنطلقون منه في التأصيل والتنظير، إنّهم يستأنسون به ويلتفتون إلـيه، ولكنّهم يتمسّكون بضوابط أخرى أكثر تماسكاً وأقلّ تفلّتاً منه، وهي بذلك، تحقق لنظريّتهم ما ينشدونه لها من قوّة ومتانة.

ولكنّـنا إذا أردنا أنْ نجعل الأبعاد الدلاليّة التي تعبّر عنها الوظائف النحويّة منطلقنا الأوّل في الوصف والتقعيد فلا شكّ أنّ هذا الوصف سيختلف، وسيصبح للوظـائف النحويّة صوراً أخرى لم ينصّ عليها النّحاة. وهذا أمر مرهون بإعادة وصف العربية وفق ترتيب للضوابط يختلف عمّا تعارف عليه النّحاة العرب.

الهوامش

١. عبد القادر المهيري، الجملة في نظر النّحاة العرب، حوليّات الجامعة التونسيّة، ع٣، ١٩٦٦، ٣٥-٤٦.
٢. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيّات واللغة العربية، ط١، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٦، ١٣.
٣. انظر: تمام حسان: الأصول: دراسة ابيستيمولوجيّة للفكر اللغوي العربي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٨٢، ١٤٦.
٤. بيّن ابن هشام أهم هذه المرجّحات التي ينظر إليها عند إعراب عناصر التركيب في الباب الخامس من المغني الذي جعله بعنوان: في الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهاتها.
٥. الأشموني، شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك، دار إحياء الكتب العلميّة، ١٨٣/٢ (بتصرّف بسيط).
٦. ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب- بيروت، ٧٠/٢.
٧. انظر: شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك، ٢٠٣/٢.
٨. ابن يعيش، شرح المفصل، ٧١/٣.
٩. شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك ١٨٦/٢.
١٠. ولعلّ هذا الأمر هو الذي قاد النّحاة إلى القول بالفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى، انظر في ذلك: ابن جنّي: الخصائص
١١. سيبويه، الكتاب، ٤٤/١.

١٢. ابن السرّاج، الأصول في النحو، ٢١٣/١.

١٣. ابـــن يعـــيش، شرح المفصل، ٥٥/٢. وانظر أيضاً: السهيلي، نتائج الفكر في الـــنحو ٣٩٤، والرضــــيّ، شرح الكافية ١٩٨/١، وشرح الأشموني على ألفيّة ابـــن مـــالك ١٨٦/٢، والشريف الجرجاني، التعريفات ٢٨٥، وعباس حسن، النحو الوافي ٣٦٣.

١٤. لا يعنـــي هذا أنّ النّحاة لم يتنبّهوا للعلاقة بين الحال وعاملها وما ينتج عنه من أبعـــاد دلاليّة مخصوصة؛ فالقصد، هنا، بيان أنّ تركيز النّحاة على العلاقة بين الحال وصاحبها كان هو المقدّم في الغالب.

١٥. الرضيّ، شرح الكافية، ١٩٩/١.

١٦. يقـــول الـــنّحاة فـــي ذلك:"حقّ الحال أنْ يكون وصفاً، وهو ما دلّ على معنى وصـــاحبه: كقائم، وحسن، ومضروب، فوقوعها مصدراً على خلاف الأصل؛ إذ لا دلالـــة فـــيه علـــى صاحب الحال" شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، ضـــمن حاشـــية الخضري، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٩٩٥، ٣١٨/١، وهذا القـــول هو مذهب سيبويه وجمهور البصريين، انظر في تفصيل ذلك مثلاً: ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك ٣٠٥/٢.

١٧. علـــى اخـــتلاف في التأويل عندهم؛ فسيبويه والجمهور يؤولونه بالوصف، أمّا الأخفـــش والمـــبرّد فيذهـــبان إلى أنّ المصدر منصوب على المصدريّة بفعل محذوف، فالحال عندهما الجملة لا المصدر. أنظر: شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك ١٧٢/٢.

١٨. المؤمنون: ١١٥. انظر، على سبيل المثال: الزمخشري، الكشاف، دار الفكر، ٤٥/٣ والجمل، الفتوحات الإلهيّة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٥/٣.

١٩. لا يُـــترك هـــذا الـــتعدد، فـــي الغالب، من دون ترجيح لوجه على وجه آخر باعـــتماد ضوابط مخصوصة يتكئ معظمها على السياق العام للكلام. انظر في ذلك: فاضل السامرائي، معاني النحو.

٢٠. ابن يعيش، شرح المفصل، ٧٨/٧، وواضح أنّ هذا التعريف لا ينحصر في أفعال الظنّ واليقين بل يتجاوز ذلك ليشمل كل الأفعال التي يكون محلها النفس.

٢١. لا شكّ أنّ هيئة الراغب تختلف عن هيئة الخائف، مثلاً، إلا أنّ التفكير في الهيئة يأتي تالياً، بعد معرفة الحالة النفسيّة أو العاطفيّة التي يتضمنّها هذا النوع من المشتقات ويدل عليها دلالة مباشرة، وانظر: سيبويه ٣٦٢/١. ولا يخفى أنّ هذا التقسيم فيه كثير من العموميّة؛ فالأفعال القلبيّة التي ينطبق عليها تعريف النّحاة السابق تتفاوت فيما بينها؛ فبعضها قد يدل الهيئة دلالة قويّة ملاحظة، وبعضها الآخر يضعف فيه ذلك أو ينعدم فيخلص للدلالة على ما يستقر في النفس من عواطف وإحساسيس ولعلّ الفرق يتّضح إذا تأملنا الفروق بين الكلمات التالية: عاد: خائفاً، مصمّماً، متأثراً، خائباً، راضياً، غاضباً، فرحاً، مستبشراً.

٢٢. رأيت أنْ أضع توثيق النصوص بجانبها حتى لا أثقل الهوامش، وحتى لا أقطع استرسال القارئ.

٢٣. ومثال آخر على ذلك ما جاء في قوله تعالى: (وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) إذ يحتمل القولُ في "بشراً" فيجوز فيه أن يكون مفعولاً لأجله ويجوز فيه أن يكون حالاً على تأويله بالمشتق. أما قوله تعالى: (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) فمبشرات لا تعرب إلا حالاً؛ لأنّها وصف مشتق، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل مجيء الكلمة على هذه الصورة يجردّها من ملحظ العلّة تماماً؟ والسؤال نفسه يتكرر مع قوله تعالى (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين).

٢٤. انظر في شيء من هذا: لطيفة النّجار، دور البنية الصرفيّة في وصف الظاهرة النحويّة وتقعيدها. ط١. دار البشير، عمّان- الأردن، ١٩٩٣، ١٧٢ وما بعدها.

٢٥. ابن يعيش، شرح المفصّل، ٥٢/٢. وورد في تعريفه عند الرضي قوله:" ما فعل لأجله مضمون عامله" ١٩١/١، وواضح أنّ هذا التعريف قد يصدق على الفعل كما يصدق على المصدر، فلولا اشتراط النّحاة المصدريّة في هذه الوظيفة لصلح التعريف السابق للتعبير عنها دونما قيود بنيويّة تقيد المعنى بأشكال مخصوصة.

٢٦. السابق ٥٢/٢.

٢٧. لا شكّ أنّ دلالة المصدر على العلّة أقوى وأوضح من دلالة الفعل، ويبدو كذلك، أنّ دلالـــة الفعل على العلّة أقوى من دلالة المشتق، ولكنّ هذا لا ينفي وجود هذا المعنى في الأشكال الثلاثة، ثم يبدأ التفاوت بينها بعدُ.

٢٨. لا يعنـــي ذلك التطابق التام بين الفعل والمصدر، فمعلوم أنّ المصدر خالٍ من معنى الـزمان الذي يتضمّنه الفعل، ولكن ذلك لا ينفي أنّ الاثنين يجمعهما معنى الحدوث والانقضاء.

٢٩. الرضـــيّ، شـــرح الكافـية فـــي الـــنحو، دار الكتـــب العلمـــيّة، بـــيروت- لبنان، ١٩٨٥، ٢١١/١.

٣٠. ابن يعيش، شرح المفصل، ٥٣/٢.

٣١. يلاحـــظ هـــنا أنّ تقديـــر اللام ينتفي تماماً مع المشتق: كقول المتنبين مثلاً، أسارقك اللحـــظ مستحيياً، كما ينتفي مع بعض الأفعال المضارعة، كما في قوله: بعينٍ كعين مفـــيض القـــداح إذا ما أراغ يريد الحويلا، ومع ذلك فإنّ انتفاء هذا التقدير لا ينفي تضـــمّن تلك المفردات معنى العلة والسبب. ولعلّ هذا يتّضح في قول عمر بن أبي ربيعة (الديوان ٣١):

ما أنس لا أنسى غداة لقيتها ... بمنى تريد تحيني وعتابي

وتلدّدي شهراً أريد لقاءها ... حذر العدوّ بساحة الأحباب

فقـــد جـــاءت جملـــة الحـــال (أريد) في سياق التعليل مقترنة بتعليل آخر جاء على الأصل (حذر) لكنّ كلّ واحد منهما يعلل أمراً؛ فالجملة تعلل استمراره في التلدد مدّة شهر، والمصدر يعلل التلدد في حدّ ذاته.

٣٢. ابن يعيش، شرح المفصّل، ٥٥/٢.

٣٣. ســـيبويه ٤٧/١، وفـــي المقتضب:"فأما إذا قلت: مررت بزيد عمرو في الدار- فهو محـــال إلا على قطع خبر واستئناف آخر، فإن جعلته كلاماً واحداً قلت: مررت بزيد وعمـــرو فـــي الدار. وهذه الواو التي يسميها النحويون واو الابتداء، ومعناها (إذْ). ومثل ذلك قوله (يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمّتهم أنفسهم)، والمعنى -والله أعلم- إذ طائفة في هذا الحال، وكذلك قول المفسرين المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضمية، عالم الكتب ١٢٥/٤.

٣٤. يقــول الأشموني في ذلك:" وقدّرها سيبويه والأقدمون بإذ، ولا يريدون أنّها بمعناها؛ إذ لا يــرادف الحرف الاسم، بل أنّها وما بعدها قيد للعامل السابق". وسنعود للحديث عن قولهم في الحال إنّها قيد لعاملها فيما بعد.

٣٥. لســان العرب، حرف الواو، والملاحظ أنّ ابن منظور لم يفرّق بين الجملة المشتملة على ضمير ذي الحال والجملة الخالية منه. وانظر: فاضل السامرائي، معاني النحو، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ٧٢٨/٢ وما بعدها.

٣٦. الأصول في النحو ٢٦٥/١.

٣٧. ابن هشام، مغني اللبيب ٦٠٦/٢-٦٠٧.

٣٨. ابــن هشــام، أوضــح المســالك إلــى ألفيّة ابن مالك، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت- لبنان، ٢٣١/٢.

٣٩. الزمخشري، المفصل: ضمن شرح المفصل لابن يعيش، ٦٨/٢.

٤٠. معاني النحو، ٦٦٦/٢.

٤١. حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك، ١٣٤/٢.

٤٢. تظهر شدّة التداخل بين الدلالة على الحال وظرف الزمان في قول جميل بثينة:

ألا ليت أيام الصفاء جديد ... ودهراً تولّى، يا بثينَ، يعود

فنغنى كما كنّا نكون، وأنتم ... صديق، وإذ ما تبذلين زهيد

إذ يُظْهِر التركيب أنّ الظرف (إذ) قد عطف على الجملة الحاليّة (وأنتم صديق) بل هذا ما قاله بعضهم في بيان الأوجه الإعرابيّة المحتملة في إعراب البيت (انظر فخر الدين قــباوة، المــورد النحوي، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤، ٢٠٤). وبغض النظر عن الأوجــه المحــتملة فإنّ وجود ظرف الزمان وجملة الحال بينهما حرف عطف يجعل التساؤل عن بعد الزمان في مثل هذه الجمل الحاليّة مشروعاً.

٤٣. يلاحظ أنّ قوله :"وأنا مهموم" وقوله:"وهم كارهون " فيه بيان الحالة النفسية بخلاف قوله:"وأنت منبسط له وجهك" وقوله:"وأنا جالس هكذا" وهذه، أيضاً، فروق دلاليّة أخرى.

٤٤. انظر: المبرد، المقتضب ٢٩٩/٤. ولا يدخل في ذلك الحال الملازمة.

٤٥. ابن يعيش، ٤٧/٣.

٤٦. يقــول السـمين في هذه الآية ما نصّه:" في هذه الجملة وجهان، أظهرهما: أنّها في محــل نصب حال، وإن كانت الحال من النكرة بغير شرط من الشروط المعروفة قلــيلة. والثاني: أن تكون في محل نصب على أنّها صفة لشيء، وإنما دخلت الواو على الجملة الواقعة لأن صورتها الحال، فكما تدخل الواو عليها صفة الدر المصون فــي علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد الخراط، ط١، دار القلم-دمشق، ٣٨٨/٢. ويقــول فــيها أبو حيانّ:"والجملة حال، أي وهو مكروه لكم بالطبيعة أو مكروه قبل ورود الأمــر" البحر المحيط ١٤٣/٢. وواضح من النصين استشعار ملحظ الصفة في الجملة وارد عند النحاة.

٤٧. عــبد القــادر المهيري، الجملة في نظر النّحاة العرب، حوليّات الجامعة التونسية، ع١٩٦٦،٣، ٣٥-٤٦.

٤٨. الكتاب، ٦١/١.

٤٩. انظر: الباب الخامس من الجزء الثاني من مغني اللبيب.

٥٠. ابن جنّي، الخصائص، ٢٥٥/٣.

٥١. لطيفة النّجار، منزلة المعنى في نظرية النحو العربي، رسالة دكتوراه، ١٨٨.

٥٢. الرضيّ، شرح الكافية، ١٩٢/١.

امرؤ القيس بن حُجْر:
رحلته إلى الشرق أو إلى الغرب؟
"القسم الأول"

د. ليلى توفيق العمري
الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية
الجامعة الهاشمية

يذهب بعض الجغرافيين(١) إلى أن رحلة امرىء القيس بن حُجْر – التي رافقه فيها عمرو بن قَمِيئة – كانت إلى الهند ولم تكن إلى القسطنطينية عاصمة بلاد الروم، ويستدلون على زعمهم هذا من تحديدهم موقع بعض المواضع التي وردت في شعر ابن قميئة رفيقه في السفر.

وللوصول إلى الحقيقة لا بدَّ من معرفة الطريق الذي سلكه امرؤ القيس في هذه الرحلة، والذي انتهى به إلى الموضع الذي حَطَّ فيه قدميه، ومن ثَمَّ كانت له فيه أخبار وأشعار ونهاية حياة. هذه الحقيقة – التي تنازع جوهرَها وتجاذب أطرافَها ثلاثةُ محاور يأخذ بعضها برقاب بعض، يشدّه حيناً، ويؤازره حيناً آخر – تشكل الأساس الذي يقوم عليه هذا البحث.

فأوّل هذه المحاور: يعتمد على ما ذكرته كتب الأدب العام بخاصة، وكتب الأخبار والتاريخ عن سبب رحلة امرىء القيس، والديار التي مرَّ بها في طريقه إلى قيصر ملك الروم.

وثانيها: يحتجّ بما يزوّدنا به ديوانا امرىء القيس وعمرو بن قميئة من أشعار تبيّن بعض المواضع التي سلكاها وجابا خلالها أو مرّا بها، بحيث تقطع في محتواها ومضمونها بمسيرهما إلى ملك الروم، وكذلك بما تزوّدنا به كتب الأدب العام والتاريخ والطبقات والتراجم من أحوال وأخبار مرافقة لشعر هذين الشاعرين الذي قيل في هذه الرحلة، تنتهي بنا إلى الغاية التي قصدنا إثباتها، وأردنا الوصول إليها.

---

(١) سيأتي الحديث عن ذلك في موضعه.

وثالثها: يقوم على ما ورد في كتب الجغرافيين من أقوال تشير إلى اختلافهم، أو اتفاقهم في تعيين موقع بعض المواضع التي سلكها امرؤ القيس وعمرو بن قميئة في رحلتهما إلى قيصر، والخروج منها برأي واضح قطع العلماء فيه القول، وفصلوا فيه الخلاف بينهم.

* * *

(١)

يذكر صاحب الأغاني(١) في خبر يردّه إلى ابن الكلبي أن حُجْراً لم يكن راضياً عن ابنه امرئ القيس، فطرده من عنده "وآلى ألاّ يقيم معه أَنَفَةً من قوله الشعر، وكانت الملوك تأنَف من ذلك، فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاطٌ من شُذَّاذ العرب من طيِّئ وكلب وبَكر بن وائل؛ فإذا صادف غديراً أو روضةً أو موضع صيد، أقام فذبح لمن معه في كل يوم؛ وخرج إلى الصيد فتصيَّد، ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنّته قيانُه، ولا يزال كذلك حتى يَنْفَدَ ماءُ ذلك الغدير، ثم ينتقل عنه إلى غيره". واستمرّ امرؤ القيس في هذه

---

(١) ٩: ٨٧، وانظر الكامل في التاريخ ١: ٥١٥-٥١٦، نشوة الطرب ١: ٢٥٢، قراءة ثانية في شعر امرئ القيس: ٩٧، تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٠٨-١٠٩، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٢، العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧٠.
وقد تحدّث عن رحلة امرئ القيس إلى قيصر عدد من الباحثين والمؤلّفين العرب المحدثين، في مؤلّفات ودراسات متخصّصة عرضت لحياته وشعره؛ منها: امرؤ القيس لسليم الجندي: ١٢-٢٥، امرؤ القيس حياته وشعره: ٧٥-١٠٣، امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة: ١٠-١١، ١٦، ١٧-٢٢، امرؤ القيس الملك الضلّيل: ٢١-٣٥، ٤١-٤٤، امرؤ القيس منتخبات شعرية: ٣٨٤-٣٩٤، امرؤ القيس يقف على المسرح: ٣٨-٤٢، أمير الشعر في العصر القديم: ٢٧١-٢٩٤، الشوامخ امرؤ القيس: ١٦-٢١، علاء الدين ومسرحيته الشعرية: امرؤ القيس بن حُجْر: ١٧-٢٢، الملك الضلّيل امرؤ القيس: ١٤٥-١٥٠.

الحياة العابثة حتى "أتاه خبر أبيه ومقتله[1] وهو بدَمُّون[2] من أرض اليمن، أتاه به رجلٌ من بني عِجل يقال له عامر الأعور أخو الوَصَّاف. فلما أتاه بذلك قال[3]:

تَطَاوَلَ الليلُ عَلَى دَمُّونْ　　　دَمُّونُ إنَّا معشرٌ يمانونْ

وإنَّنـــا لأهْلِهـــا مُحِبُّـــونْ

ثم قال: ضَيَّعني صغيراً وحمَّلني دَمَه كبيراً، لا صَحْوَ اليوم، ولا سُكرَ غداً، اليومَ خمرٌ، وغداً أمر، فذهبتْ مثلاً. ثم قال[4]:

خليليَّ لا في اليومِ مَصْحَى لِشارِبٍ　　　ولا في غَدٍ إذْ ذَاكَ ما كان يُشْرَبُ

---

(1) انظر خبر مقتله في الشعر والشعراء: ٥٠-٥١، ٥٧-٥٨، الأغاني ٩: ٨٢-٨٦، الكامل في التاريخ ١: ٥١٤-٥١٥، نشوة الطرب ١: ٢٤٦-٢٤٨، المختصر في أخبار البشر ١: ٧٤-٧٥، تـاريخ ابـن خلـدون ٢: ٥٧٢-٥٧٣، امرؤ القيس حياته وشعره: ٤٤-٤٩، امـرؤ القـيس شـاعر المرأة والطبيعة: ٩-١٠، امرؤ القيس الملك الضليل: ٢١-٢٣، امـرؤ القيس يقف على المسرح: ٣٩، أمير الشعر في العصر القديم: ٢٧١، تاريخ آداب اللغـة العربية ١: ١٠٨، العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان: ٢٤٦، العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧٠.

(2) دَمُّون: من حصون حَضْرَمَوْت لحمْيَر، وفي رواية أن دَمُّون: قُرَى للصَّدف بحضرموت، انظر معجم ما استعجم: ٥٥٧. وفي نشوة الطرب ١: ٢٤٨ أن دمُّون من أرض كندة.

(3) انظر ديوان امرىء القيس: ٣٤١، ويروى: "عَلَيْنَا دَمُّونْ" و "لأهْلنا".

(4) انظر المصدر السابق: ٣٤٢، ويروى: "خليليَّ ما في الدار" و "إذْ كان" و "مَشْرَبُ".

ثـم شـرب سـبعاً، فلـم صَحَا آلَى ألاّ يـأكلَ لحماً، ولا يشربَ خمراً، ولا يَدّهِنَ بدُهـن، ولا يصـيبَ امـرأةً، ولا يغسـلَ رأسه من جنابة، حتى يُدرك بثأره"(١).

وفـي روايـة أخرى أن حُجْراً طرد ابنه امرأ القيس "لمَا صنَع في الشعر بفاطمـة مـا صنع، وكان لها عاشقاً، فطلبها زماناً فلم يصل إليها، وكان يطلب منها غِرّة حتى كان منها يومَ الغدير بدَارة جُلْجُل(٢) ما كان، فقال(٣):

* قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ*"

فلمـا بلغ ذلك حُجْراً غضب، وأوْصَى مولى له يقال له ربيعة بقتله، ثم طرده(٤)، وقيل: إنما طرده لأنه تغزّل بامرأة من نساء أبيه(٥).

---

(١) الأغانـي ٩: ٨٧-٨٨، وانظـر الشعر والشعراء: ٥٢، وفي ص: ٥٨ ذكر ابن قتيبة أنه عـندما قـتل عِلْباء بن الحارث الأسدي حُجْراً، وأفلتَ امرؤ القيس يومئذ، حلف لا يغسل رأسـه ولا يشـرب خمراً حتى يدركَ ثأره ببني أسد، الكامل في التاريخ ١: ٥١٦، نشوة الطرب ١:٢٤٨، المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، تاريخ ابن خلدون ٢: ٥٧٣، تاريخ آداب اللغـة العربـية ١: ١٠٩، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٢-٢٥٣، العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧٠-١٧١.

(٢) انظـر مغامرته بدارة جلجل في ديوانه: ١٠، الشعر والشعراء: ٦٥-٦٦. ودارة جُلْجُل: موضع بديار كِندة يقال له الحِمَى، وقيل: دارة جُلْجُل عند عين كندة، انظر معجم ما استعجم: ٣٨٩.

(٣) انظر ديوان امرىء القيس: ٨، وتمامه: "* بِسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ*".

(٤) الشـعر والشـعراء: ٥١، وانظر امرؤ القيس الملك الضليل: ٤١، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١: ١٥٥-١٥٦، وكان يرى أن هذه القصة مخترعة على امرىء القيس، على غرار ما يحكى عن مشاهير الأبطال في صغرهم.

(٥) خـزانة الأدب ١: ٣٧٥، وانظـر شـرح ديوان امرىء القيس: ١١ حاشية رقم (١) قال السـندوبي: "وزعم بعض الرواة أن أباه طرده لأنه كان يتعشّق امرأة أبيه المسمّاة هر"، امرؤ القيس حياته وشعره: ٦٠-٦١، امرؤ القيس الملك الضليل: ٤١، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٤.

فلما طرده والده، صار يتجول في الآفاق يجمع إليه طائفة من الصعاليك والذؤبان والشذاذ من أحياء طيِّيء وكلب وبكر، وأخذ يتنقّل بهم في منازل العرب، ويغير بهم على أحيائها، ويقاسمهم ما تناله أيديهم أو ما يقع لهم من الصيد، ثم يذهب بهم إلى المناهل والغدران والرياض، يذبح لهم، ويؤاكلهم، ويعاقرهم الخمر، وينشدهم الشعر، وتغنّيهم قيانه، حتى جاءه خبر مقتل والده، فنبذ هذه الحياة وصمّم على الأخذ بالثأر من قَتَلة أبيه[1].

ولم يزل امرؤ القيس مع صعاليك العرب حتى أتاه نبأ مقتل والده وهو بدمُّون من أرض اليمن على رواية ابن الكلبي، وفي رواية أخرى تنسب إلى الهيثم بن عدي "أن امرأ القيس لمّا قُتل أبوه كان غلاماً قد ترعرع، وكان في بني حَنظلة مقيماً لأن ظئْرَه كانت امرأةً منهم. فلما بلغه ذلك قال[2]:

يا لَهْفَ هندٍ إذْ خَطِئْنَ كاهلاَ	القاتلينَ المَلِكَ الحُلاحِلاَ
تاللهِ لا يَذْهَبُ شيخي باطِلاَ	يا خيرَ شيخٍ حَسَباً ونائلا
وخيرَهُمْ – قد عَلِمُوا– فواضِلا	يَحمِلْنَنا والأَسَلَ النَّواهلا
وحيَّ صَعبٍ والوَشِيجَ الذَّابِلا	مُسْتَثْفِراتٍ بالحَصَى جَوَافِلا"[3]

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٥، وانظر شرح ديوان امرىء القيس: ١٢.

(٢) الرجز في ديوان امرىء القيس: ١٣٤-١٣٥– باستثناء البيتين الخامس والسابع، وهما في ص: ٤١٨ (تحقيق رواية الديوان قصائده وأبياته)، الأول زاده ابن النحاس والثاني زاده السكري – باختلاف في ترتيب الأبيات، ويروى: "واللهِ" و "خيرَ معَدٍّ حسباً" و "مُستَفْرِمَاتٍ بالحَصَى".

(٣) الأغاني ٩: ٨٨-٨٩.

وقيل: إن امرأ القيس حين نعي إليه أبوه وهو بدمُّون من حضرموت قال[١]:

أتانـــي وأصحابي على رأسِ صَيْلَعٍ[٢] حديـــثٌ أطَـــارَ الـــنَّوْمَ عَنِّـــي فأنْعَمَا
فقلـــتُ لعجْلـــيٍّ بعـــيد مآبُـــهُ: أبِـــنْ لـــي وبَيِّنْ لي الحديثَ المُجَمْجَمَا
فقـــال: أبَيْـــتَ اللعْـــنَ، عَمْرٌو وكاهِلٌ أباحَـــا حِمَـــى حُجْـــرٍ فأصْبَحَ مُسْلَمَا

ويفهـــم من هذه الأبيات أن امرأ القيس كان في "صيلع" عندما بلغه نبأ مقتل والده، أتاه به رجل اسمه عِجْل، ويُعْرَف بعامر الأعور[٣]، ويذكر ياقوت الحموي[٤] أن في "صيلع" ورد الخبر على امرئ القيس بمقتل أبيه حُجْر.

وفي خبر آخر يفيد أنه نزل في "بني دارم"، وبقي عندهم حتى قتل عمه شرحبيل[٥]، وفي رواية مرجعها الهيثم بن عدي أيضاً أنه كان مع والده حُجْر – في جمع من قومه كندة– عندما هاجمته بنو أسد وقتلته، وأنه هرب على فرس له شقراء، وتمكّن من النجاة[٦].

ويروي ابن السكيت أنه لمّا طعن الأسديُّ حُجْراً ولم يجهز عليه، أوصى ودفع كتابَه إلى رجل، وطلب منه أن يستقري أولاده واحداً واحداً حتى يأتي امرأ القيس، ففعل، فلما أتى امرأ القيس وجده "مع نديم له يشرب الخمر ويُلاعبه بالنَّرد؛ فقال له: قُتِلَ حُجْر. فلم يلتفت إلى قوله؛ وأمسك نديمه. فقال له امرؤ القيس: اضربْ فضرب. حتى إذا فرغ قال: ما كنتُ لأفسد عليك دَسْتك[٧]. ثم سأل الرسولَ

---

(١) ديـوان امـرىء القـيس: ٣٤٣، وانظر شرح ديوان امرىء القيس: ٢٠٥-٢٠٦، تاريخ العـرب قـبل الإسلام ٣:٢٥٥، وفيه يروي جواد علي هذا الشعر في الخبر السابق الذي ينسـب إلى الهيثم بن عدي، والذي ذكر فيه أن امرأ القيس كان مقيماً في بني حنظلة لمّا قُتِل أبوه، العقد الثمين: ١٠٦.

(٢) صَيْلَع: موضع من اليمن كثير الوحش والظباء، انظر معجم ما استعجم: ٨٤٨.

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣ :٢٥٥.

(٤) معجم البلدان ٣: ٤٩٨.

(٥) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣ :٢٥٥، وانظر امرؤ القيس الملك الضليل: ٤١-٤٢.

(٦) الأغاني ٩: ٨٥، وانظر ما ورد في الشعر والشعراء: ٥٨ ما يقرب من ذلك.

(٧) الدست: المجلس، وهي كلمة فارسية.

عن أمر أبيه كُلِّه فأخبره. فقال: الخمرُ عليَّ والنساء حرامٌ حتى أقتُل من بني أسد مائة وأجُزَّ نواصيَ مائة. وفي ذلك يقول[1]:

أرِقتُ ولم يأرَقْ لِمَا بيَ نافعُ   وهاج لي الشوقَ الهمومُ الروادعُ"[2]

وتناقض رواية ابن السكيت رواية أوثق[3] منها تنسب إلى الهيثم بن عدي، وهي الرواية الوحيدة - من بين روايات أربع ذكرها أبو الفرج- التي تقرّر أن امرأ القيس شهد لقاء كندةَ مع بني أسد، وأنه هرب على فرس له شقراء، وأعجزهم اللحاق به. ونستطيع أن نوفق بين هذه الروايات جميعها، إذا ذهبنا في التأويل إلى أنه فرَّ من المعركة بعد أن هُزم قومه، وقبل أن يقتل أبوه، وأن الخبر جاءه هارباً في دَمُّون[4].

---

(١) انظر ديوان امرىء القيس (تحقيق رواية الديوان قصائده وأبياته): ٤٦٥.

(٢) الأغانـي ٩: ٨٧، وانظر الكامل في التاريخ ١: ٥١٥. يذكر الرواة منهم الخليل بن أحمد الفراهـيدي أنــه قَدِم على امرىء القيس رجال من قبائل بني أسد بعد مقتل أبيه حجر - وقـبل تنقّله في قبائل العرب مستنجداً بها للثأر منهم - ليعتذروا إليه وليسووا قضية قتل والـده، فرفض إلا الانتقام من بني أسد قائلاً لهم: "لقد علمت العربُ أنْ لا كُفْءَ لحُجْر فـي دم، وإنـي لن أعتاض به جملاً أو ناقةً فأكتسبَ بذلك سُبَّةَ الأبد وفَتَّ العَضُد. وأما الـنظِرة (المهلـة) فقـد أوجبـتْها الأجِـنَّةُ في بطون أُمهاتها، ولن أكون لعَطَبها سبباً، وستعرفون طلائع كندةَ من بعد ذلك، تحمل القلوب حَنَقاً وفوق الأسنَّة عَلَقاً (الدم)".
وفي رواية أخرى تنسب إلى أبي عبيدة في هذا المعنى تقول: إن بني أسد اجتمعت "بعد قـتلهم حُجْر بن عمرو، والدَ امرىء القيس، إلى امرىء القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه؛ أو يُقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد، أو يُمهلَهم حولاً؛ فقال: أما الديَة فمـا ظننـتُ أنكـم تعرضونها على مثلي، وأما القَودُ: فلو قِيد إليَّ ألفٌ من بني أسد ما رَضِـيتُهم ولا رأيـتهم كفؤاً لحُجْر، وأما النَظِرة فلكم، ثم ستعرفونني في فرسان قحطان، أُحكِّـم فـيكم ظُـبَا السـيوف وشَـبَا الأسـنة، حتى أشْفي نفسي وأنالَ ثأري". الأغاني ٩: ١٠٣-١٠٥، ٢٢: ٨٢ علـى الترتيب، وانظر ديوان عبيد: ١٣٥، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٨.

(٣) انظر حديث الطاهر أحمد مكي عنها في كتابه: امرؤ القيس حياته وشعره: ٤٧-٤٩، ٧٥.

(٤) انظر المرجع السابق: ٧٥.

ويذكــر ابــن الكلبي ويعقوب بن السكيت أن امرأ القيس ارتحل – بعد أن أتــاه نــبأ مقــتل والده– حتى نزل بكراً وتغلب[1]، فسألهم النصر على بني أسد، فبعث العيونَ على بني أسد فَنَذِروا[2] بالعيون ولجأوا إلى بني كنانة، ثم علموا أن امــرأ القــيس يتعقّبهم، فارتحلوا عن بني كنانة ليلاً دون أن يشعروا، فلما وصل امــرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب إلى بني كنانة ظاناً بني أسد بينهم، نادى: يــا لِــثارات الملك! يا لِثارات الهُمام! فأخبروه أن بني أسد قد تركوهم وارتحلوا عنهم، فقال في ذلك[3]:

---

(١) مــن الأخــبار التــي تحدّث بها الرواة قبل نزول امرىء القيس على بكْر وتغلب – فيما ذكره المفضل– أن ثعلبة بن مالك من بني عمرو بن معاوية من كندة نازعه على عرش أبيه بعد مقتله؛ قــالوا: إن امرأ القيس وثعلبة أصابا المُلْك بعد قَتْل حجر، فنفسَ ثعلبةُ على امرىء القيس منزلتَه من نجد، فأقبل يقود الخيل إليه، وهو يريد قتاله، فبلغ ذلك امرأ القيس، فخرج بأصحابه ليلقاه بين الأُبْرقَيْن، حتى إذا كان قريباً منه قال لجنده: اكمنُوا في غيابة من الأرض (أي مُنْهبِط منها) فإني متقدم على فرسي حتى أبرُزَ للقوم لعلّي أغتَرُّهم (آتيهم على غِرّة)، فأَطْعُن بعضَهم وهم غارّون (غافلون)، فإنهم سيركبون في أثري ويعجلون عن أداتهم، فإذا مرُّوا بكم متفرّقين – وقد انهزمتُ لهــم، وانقطــع نظــامُهم– فــاحملوا علــيهم حملة رجل واحد، فانكمنوا لهم، وخرجوا وخرج امــرؤ القيس على فرسه، ومعه سيفُه ورمحه، وقد لبس درْعَه تحت ثيابه حتى مرّ على راعي غنم، فسأله عن معسكر ثعلبة بن مالك، فدلّه عليه، فسار نحوه تعدُو به فرسه، حتى خالط القوم، فلمــا كان في طرف من القوم طعن رجلاً منهم، ثم انهزم، فخرجوا في أثره، تعدو بهم خيلُهم، لــيس عليهم كثير أداة، حتى حاذوْا أصحاب امرىء القيس وهم لا يشعرون بالمكيدة التي دبّرها لهــم هــو وأصحابه. فلما حاذوْهم وفيهم ثعلبة بن مالك –وهو يومئذ مُعْلِم (أي أعلم مكانه في الحــرب بعلامة أعلمها)– حملوا عليه حملة رجل واحد، وكرّ امرؤ القيس، فحمل عليه وطعنه طعــنة شــديدة فــأذراه عن فرسه، وانهزم أصحابه، وأسروا منهم كثيرين، وأسر ثعلبة، ثم قتله امرؤ القيس صبراً؛ وفي ذلك يقول قصيدته التي مطلعها:

أحــارِ بــنَ عمْــروٍ كأنّــي خَمِــرْ ويَعْــدُو علــى المَــرْءِ ما يأتَمِــرْ

ديوان امرىء القيس: ١٥٣–١٦٧، وانظر أمير الشعر في العصر القديم: ٢٧٥–٢٧٦.

(٢) نذروا: علموا فحذروا.

(٣) انظر ديوان امرىء القيس: ١٣٨، العقد الثمين: ٦٩.

أَلا يـــا لَهْــفَ هِــنْدٍ إِثْــرَ قَــوْمٍ هُــمُ كــانوا الشِّــفاءَ فلــم يُصابوا
وقـــاهُمْ جَدُّهُـــمْ بِبَنِـــي أَبِـــيهِمْ وبالأَشْـــقَيْنَ مـــا كـــان العقـــابُ
وأَفْلَتَهُـــــنَّ عِلْـــــباءٌ جَرِيضـــــاً ولـــو أَدْرَكْـــنَه صَـــفِرَ الوِطَـــابُ

وتتــبّعهم امرؤ القيس حتى أدركهم فقاتلهم فكثرت الجرحى والقتلى فيهم، وحجز اللــيل بينهم، وهربت بنو أسد، فلما أصبحت بكر وتغلبُ أبَوْا أن يتّبعوهم، وقالوا لــه: "قــد أصــبتَ ثأرك. قال: والله، ما فعلتُ ولا أصبتُ من بني كاهل ولا من غــيرهم من بني أسد أحداً. قالوا: بَلَى، ولكنك رجل مشؤوم، وكرهوا قتالهم بني كنانة، وانصرفوا عنه، ومضى هارباً لوجهه حتى لحق بحمير"[1].

---

(١) الأغاني ٩: ٩٠-٩٢، وانظر ٢٢: ١١٨، الشعر والشعراء: ٥٢، وفيه ذكر ابن قتيبة أنه اســتجاش بكر بن وائل، وذكر في ص: ٥٨-٥٩ أنه عندما قُتل حُجْر أتى امرؤ القيس ذا جَدَنٍ الحميريَّ "فاستمدّه فأمدّه، وبلغ الخبرُ بني أسد فانتقلوا عن منازلهم، فنزلوا على قوم مــن بني كنانةَ بن خُزَيمةَ، والكنانيون لا يعلمون بمسيرِ امرئ القيس إليهم، فطرقهم في جند عظيم، فأغار على الكنانيين وقتل منهم، وهو يظنُّ أنهم بنو أسد، ثم تبيَّن أنهم ليسوا هم، فقال:

ألا يا لهفَ نفسي إثرَ قومٍ .... (الأبيات)

ثم تبع بني أسد فأدركهم وقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وقال:

قُولاَ لِدُودانَ: عبيدِ العصا .... (الأبيات الآتية)

ثم إن المنذر بن ماء السماء غزا كندةَ فأصاب منهم، وأسر اثني عشر فتًى من ملوكهم، فأمــر بهــم فقُــتِلوا بمكان بين الحيرة والكوفة، يقال له جَفْرُ الأملاك، وكان امرؤ القيس يومئذ معهم، فهربَ حتى لجأ إلى سَعْد بن الضِّباب الإيادي، سيّد إياد، فأجاره...". الكامل فــي الــتاريخ ١: ٥١٦-٥١٧، نشــوة الطرب ١: ٢٤٨-٢٥٠، المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، تــاريخ ابــن خلــدون ٢: ٥٧٣، وأشــار إلــى أن امرأ القيس سار إلى المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة بعد أن فاته بنو أسد، وأوقع في كنانة، ثم سار في اتباع بني أسد، ولــم يظفر منهم بشيء، و ص: ٥٧٤، معاهد التنصيص ١: ٣٨٨-٣٨٩، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٦، العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧١.

ويشير ابن قتيبة[1] إلى أن امرأ القيس سار إلى بني أسد عندما لجأوا إلى بني كنانة، فأوقع ببني كنانة، ونجتْ بنو كاهل من بني أسد؛ فقال[2]:

يا لَهْفَ نَفْسي إذْ خَطِئْنَ كاهلا … القاتلينَ المَلِكَ الحُلاحلا
تاللهِ لا يَذْهَبُ شيخي باطلا

وذكر امرؤ القيس في شعره أنه ظفر بهم، فتأبّى عليه ذلك الشعراء؛ قال عَبيد[3]:

يا ذَا المُخَوِّفُنا بقَتْـ ـــلِ أبيهِ إذلالاً وَحَيْنَا
أزَعَمْتَ أنَّكَ قَدْ قَتَلْـ ـتَ سَرَاتَنا كَذِباً وَمَيْنا

وفي رواية يرجعها الإخباريون إلى ابن السكيت: "أن امرأ القيس لما أقبل من الحرب على فرسه الشَّقراء لجأ إلى ابن عمته عمرو بن المُنذر – وأُمّه هند بنت عمرو بن حُجْر بن آكل المُرار، وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه وتَفرُّق مُلك أهل بيته، وكان عمرو يومئذ خليفةً لأبيه المنذر ببقّة وهي بين الأنبار وهيتَ– فمدحه وذكر صِهرَه ورحمه وأنه قد تعلق بحباله ولجأ إليه، فأجاره، ومكث عنده زماناً. ثم بلغ المنذرَ[4] مكانُه عنده فطلبه، وأنذره عمرو فهرب حتى أتى حمير"[5].

---

(١) الشعر والشعراء: ٥٢، وانظر تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٩.

(٢) انظر ديوان امرىء القيس: ١٣٤ باختلاف في ترتيب الأبيات، وتروى: "لَهْفَ هِنْد" و "والله". وفي خبر الأبيات: أنه قالها حين بلغه أن بني أسد قتلت أباه.

(٣) الشعر والشعراء: ٥٢، وانظر: ١٨٧، والبيتان في ديوان عبيد: ١٣٦، تاريخ اليعقوبي ١: ٢١٨، امرؤ القيس حياته وشعره: ٧٨-٧٩، والخبر مع البيتين في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦١.

(٤) ابن ماء السماء.

(٥) الأغاني ٩: ٩٢، وانظر تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٦.

ويقول ابن الكلبي والهيثم بن عَدي وعمر بن شبَّة وابن قتيبة[١]: إنَّ امرأ القيس خرج من فوره -بعد امتناع بكر بن وائل وتغلب من اتباع بني أسد- إلى اليمن " فاستنصر أزدَ شَنُوءةَ؛ فأبَوْا أن ينصروه وقالوا: إخواننا وجيراننا. فنزل بقَيْلٍ يُدْعى مَرْثَد الخير بنَ ذي جَدَن الحميريّ، وكانت بينهما قَرابة، فاستنصره واستمدّه على بني أسد؛ فأمدّه بخمسمائة رجل من حميَر؛ ومات مَرثد قبل رحيل امرئ القيس بهم، وقام بالمملكة بعده رجلٌ من حمير يقال له قَرْمَل ابن الحُمَيْم وكانت أمّه سوداء، فردّد امرأ القيس وطوّل عليه حتى همّ بالانصراف؛ وقال[٢]:

وإذْ نَحْن نَدْعُو مَرْثَدَ الخَيْرِ رَبَّنا ... وإذْ نَحْنُ لا نُدْعَى عَبيداً لِقَرْمَلِ

(١) الأغانـي ٩: ٩٢-٩٣، وانظـر الأصنام: ٥٩-٦٠، معجم البلدان ٢: ٤٣٩، الكامل في الـتاريخ ٥١٧:١، نشـوة الطرب ٢٥٠:١، وذكر ابن سعيد أن امرأ القيس انصرف إلى حمـير فنزل بقبيلة تدعى مَرْثَد الخير من ذي جَدَن، فاستنصرهم فأمدُّوه بخمسمائة رجل، ولـم يذكـر في هذا الخبر موت مرثد وقيام قرمل بن الحميم بالمملكة بعده، وأشار ابن خلـدون (تـاريخ ابـن خلـدون ٢: ٥٧٣) إلـى أنـه بعد أن رجعت بكر وتغلب عن امـرئ القـيس سـار إلـى مُوْثِر الخير بن ذي جدن من ملوك حمير صريخاً بنصره بخمسـمائة رجـل من حمير بجمع من العرب سواهم، واجتزأ ابن كثير (البداية والنهاية ١: ٢٠٤) هـذا الخبر على استقسام امرئ القيس عند ذي الخلصة، وعلى إغارته على بنـي أسـد وقـتلهم قـتلاً ذريعـاً، بلـوغ الأرب ٢٠٧:٢، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٦-٢٥٧، المستشرقون والشعر الجاهلي: ١٠١، ١٠٦.

(٢) انظر ديوان امرئ القيس: ٣٤٢.

فأنفذَ له ذلك الجيشَ؛ وتبعه شُذَّاذٌ من العرب، واستأجر من قبائل العرب رجالاً، فسار بهم إلى بني أسد. ومرَّ بتَبَالةَ[1] وبها صنم للعرب تعظِّمه يقَال له ذو الخَلَصة[2]؛ فاستقسم[3] عنده بقداحه وهي ثلاثة: الآمر والناهي والمتربّص، فأجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي؛ فجمعها وكسرها وضرب بها وجهَ الصنم وقال: مَصِصتَ بَظْرَ أُمّك! لو أبوك قُتِل ما عُقْتَني. ثم خرج فظفر ببني أسد".

فلما أوقع بهم، وأدرك ثأر أبيه فيهم؛ قال[4]:

قُــولاَ لِــدُودَانَ[5] عبــيدِ العَصَــا ... مَــا غَــرَّكُمْ بالأَسَــدِ الباسِــلِ!

قَــد قَــرَّتِ العَيْــنانِ من مالكٍ[5] ... ومن بَني عَمْرٍو[5] ومنْ كاهِلِ[5]

ومــن بَنــي غَــنْمِ بنِ دُودانَ[5] إذْ ... نَقْــذِفُ أعلاهــمْ علــى السَّــافِلِ

....

حَلَّــتْ لــيَ الخَمْــرُ وكنــتُ امْرَأً ... عــن شُــرْبِها فــي شُغُلٍ شاغِلِ

فالــيومَ أُسْــقَى غَــيْرَ مُسْــتَحْقِبٍ ... إثمــاً مِــنَ الله ولا واغِــلِ

---

(١) تَبَالةُ: بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن، وبين تبالة ومكة نحو مسيرة ثمانية أيام. انظر معجم البلدان ٢: ١١.

(٢) ذو الخلصة: مَرْوَة بيضاء منقوشة، عليها كهيئة التاج، وكانت بتَبالة بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليالٍ من مكة. انظر الأصنام: ٤٩-٥٠.

(٣) الاستقسام: طلب القِسم الذي قُسِم له وقُدِّر مما لم يُقْسَم ولم يُقَدَّر، لسان العرب: (قسم).

(٤) ديـوان امـرىء القـيس: ١١٩-١٢٠، ١٢٢ و ٢٥٦-٢٥٨ باختلاف في رواية بعض الألفاظ.

(٥) دُودان: قبيلة من بني أسد، وكذلك بنو مالك وبنو عمرو وبنو كاهل وبنو غنم: أحياء من بني أسد.

ويفهم من هذه الأبيات أنه أوقع في بطون بني أسد، في: "بني دودان" و "بني مالك" و "بني عمرو" و "بني كاهل" و " بني غنم بن دودان"، وهي التي قتلت أباه جُحْراً[1]، قالها بعد أن أنجده قرمل بن الحميم الحميري[2]، وأنه "ألبسهم الدروع البيض محماة، وكحّلهم بالنار"[3]، فبرّ بيمينه، وحلّ له شرب الخمر[4].

"وألحّ المنذر في طلب امرىء القيس ووجّه الجيوش في طلبه من إياد وبَهراء وتَنوخ ولم تكن لهم طاقة، وأمدّه أنوشروان بجيش من الأساورة فسرّحهم في طلبه. وتفرّقت حِميَرُ ومن كان معه عنه. فنجا في عُصبة من بني آكل المُرار حتى نزل بالحارث بن شِهاب من بني يَربوع ابن حَنظلة، ومع امرىء القيس أدراع خمسة: الفضفاضة والضافية والمحصّنة والخريق وأُم الذيول كُنّ لبني آكل المرار يتوارثونها مَلِكاً عن ملك. فقلّما لبِثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث إليه المنذر مائة من أصحابه يُوعِده بالحرب إن لم يُسْلم إليه بني آكل المُرار فأسلمهم؛ ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند (بنت امرىء القيس) والأدرُع والسلاح ومال كان بقي معه؛ فخرج على وجهه

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢ ٥٧.

(٢) شرح ديوان امرىء القيس: ١٧٢.

(٣) معجم البلدان ٢: ٤٣٩، وانظر شرح ديوان امرىء القيس: ١٧٢، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٧.

(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٧.

حـــتى وقـــع فـــي أرض طـــيِّيء[١]؛ وقـــيل: بـــل نـــزل قـــبلَهم على سعد بن الضّباب الإيادي سيّدِ قومه فأجاره"[٢]، ومدحه امرؤ القيس[٣].

ثم إن امرأ القيس تحول عنه فنزل برجل من بَني جَديلة طيِّىء يقال له المعلَّى بن تَيْم، وكان أجاره والمنذر بن ماء السماء يطلبه فمنعه ووَفَى له، ولم يكن للملكين: ملك العراق وهو المنذر، وملك الشآم وهو الحارث بن أبي شمر الغساني اقتدار عليه[٤]، وفي ذلك يقول[٥]:

كأنـــي إذا نزلـــتُ علـــى المُعَلَّـــى نزلـــتُ علـــى البَوَاذخِ من شَمامِ
فمـــا مَلِـــكُ العـــراقِ علـــى المعلَّى بمقـــــتدرٍ ولا مَلِـــــكُ الشــــآمِ
أقَـــرَّ حَشَـــا امرىء القيس بن جُحْرٍ بـــنو تَـــيْمٍ مصـــابيحُ الظـــلامِ

---

(١) في العقد الثمين: ٦٤ صار إلى جبلي طيِّيء أجأ وسلمى.

(٢) الأغانـــي ٩: ٩٣، وانظر ٢٢: ١١٨، الكامل في التاريخ ١: ٥١٧-٥١٨، نشوة الطرب ١: ٢٥١، المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، تاريخ ابن خلدون ٢: ٥٧٣، ٥٧٤، معاهد التنصـــيص ١: ٣٨٩، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٧-٢٥٨، وجاء في العقد الثمين: ٧٣ أن امـــرأ القيس نزل على هانىء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة قبل سعد بن الضباب فاستجاره فلم يجرهُ، فأتى سعد بن الضباب، فأجاره، فقال يمدحه ويهجو هانىء بن مسعود قصيدته التي مطلعها:

لعَمْرُكَ ما قَلبـــي إلى أهْلِـــه بحُرّْ ولا مُقْصِـــرٍ يومـــاً فيأتينـــي بِقُـــرّْ

(٣) انظـــر ديوان امرىء القيس: ١١٢-١١٣، ٢٠٧، ٢٦٠، الشعر والشعراء: ٥٩، الأغاني ٩: ٩٤، الكامل في التاريخ ١: ٥١٨.

(٤) ديوان امرىء القيس: ١٤٠.

(٥) ديوان امرىء القيس: ١٤٠-١٤١، وبعد البيتين الأوليين:

أصَـــدَّ نَشَـــاصَ ذي القَرْنَيْنِ حتى تَوَلَّـــى عـــارِضُ المَـــلِكِ الهُمَـــامِ

وقد لبث عنده زماناً، ثم اضطرّ إلى الارتحال عنه[1]، فخرج ونزل ببني نبهان من طيِّئ على خالد بن أصمع النبهاني[2]، فكان عندهم ما شاء الله، ثم خرج فنزل بعامر بن جُوَيْن وهو يومئذ أحد الخُلَعاء الفُتّاك قد تبرّأ قومُه من جرائره، فبقي عنده زماناً، ثم أحسَّ منه ما رابه، إذ أراد أن يغلب امرأ القيس على ماله وأهله، ففطِن امرؤ القيس لذلك بشعر كان عامر ينطق به، وهو قوله:

فكم بالصَّعيدِ من هِجانٍ مؤبَّلَهْ ... تَسيرُ صِحاحاً ذاتَ قيدٍ ومُرْسَلَهْ
أردتُ بها فَتكاً فلم أرتَمِضْله ... ونهنهتُ نفسي بعدما كدتُ أفْعَلَهْ

---

(1) الأغاني ٩: ٩٤، وكان سبب تحول امرىء القيس عن المعلّى بن تَيْم كما يذكر الأصفهاني (٩: ٩٤-٩٥): أن امرأ القيس عندما أقام عند المعلّى زماناً "اتّخذ إبلاً هناك. فغدا قومٌ من بني جَديلة يقال لهم بنو زيد فطردوا الإبل. وكانت لامرىء القيس رواحل مُقَيَّدة عند البيوت خوفاً من أن يَدهمه أمرٌ ليسبق عليهن. فخرج حينئذٍ فنزل ببني نَبْهان من طيِّىء، فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الإبل فأخذتهن جَديلة، فرجعوا إليه بلا شيء. فقال في ذلك:

وأَعْجَبَني مَشْيُ الحُزُقّة خالد ... كمَشْي أتانٍ حُلِّئتْ بالمَناهل
فَدَعْ عنك نَهْباً صِيحَ في حَجَراته ... ولكنْ حديثاً ما حديثُ الرواحلِ

ففرّقت عليه بنو نَبْهان فِرَقاً من معزًى يحلبُها..."، وانظر المحبر: ٣٥٣-٢٥٤، الكامل في التاريخ ١: ٥١٨، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٢.

(2) ديوان امرىء القيس: ٩٤.

فلما خافه على أهله وماله تغفَّله وانتقل إلى رجل من بني ثُعَل يقال له حارِثة بن مُرّ[1] فاستجار به، فوقعت الحرب بين عامر وبين الثُّعَلي[2].

وفي ديوان امرىء القيس من رواية الأصمعي[3] أن امرأ القيس تحوّل عن خالد بن أصمع النبهاني فنزل على جاريةَ بن مُرّ بن حنبل أخي بني ثُعل[4]، فأجاره وأكرمه.

فلما وقعت الحرب بين طيِّىء من أجل امرىء القيس، خرج من عندهم، ونزل برجل من بني فَزارة يقال له: عمرو بن جابر بن مازِن، وكان كثير التردّد على قيصر امبراطور بيزنطة والنعمان ملك الحيرة، فطلب منه الجوار حتى يرى ذات عَيبة[5]، فأشار عليه الفَزاري بالذهاب إلى السموأل بن عادياء بتيماء، فوافق، وأرسله في صحبة رجلٍ من بني فَزارة يقال له: الرَّبيع بن ضُبَع الفَزاري كان ممن يأتي السموأل فيحملُه ويُعطيه، فوفد الفزاري بامرىء القيس

---

(١) هو: أبو حنبل جاريةُ بن مُرّ الطائي ثم الثُّعَلي في: المحبر: ٣٥٢، وفيه: "الثعلبي"، الشعر والشعراء: ٦٠، فصل المقال: ١٣٩، ٣١٥، بلوغ الأرب ١: ١٣٥، العقد الثمين: ١٠٠، وفي الكامل في التاريخ ١: ٥١٨ "حارثة بن مُر" بالحاء المهملة.

(٢) الأغاني ٩: ٩٥-٩٦، وفي ديوان امرىء القيس: ٢١٢ أن المنذر بن ماء السماء بعث في إثر امرىء القيس جيشاً "فلجأ إلى المعلّى، وكان في طيِّىء، ثم في بني جديلة، ثم أحد بني ثعلبة، وكان سيِّداً منيعاً فمنعه من المنذر... ثم خرج من فوره ذلك حتى جعل المنذر يطلبه في كل مكان؛ فخَشِيَ أن يصيبَه فلم يُنَهْنِه دون أن أتَى قيصر ملك الروم..."، وفي الشعر والشعراء: ٥٩ أن امرأ القيس تحول عن سَعْد بن الضباب الإيادي إلى جبَلَيْ طيِّىء، فنزل على قوم منهم عامرُ ابن جُوَيْن الطائي، وفي الكامل في التاريخ ١: ٥١٨ أنه رحل عن المعلّى بن تيم الطائي، ونزل بعامر بن جوين الطائي، وانظر تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٢.

(٣) ص: ٩٤، وروى البكري (فصل المقال: ٣١٥) في المثل: "هما ساقَا غادرٍ شرّ" قصة امرىء القيس وأبي حنبل جارية بن مُرّ الطائي، ويقال: إن صاحب الخبر عامر بن جُوَيْن الطائي، وانظر ص: ١٣٩، وقال الأصمعي: المثل لعبيد بن شَجْنة، وقصة أبي حنبل في المحبر: ٣٥٢، بلوغ الأرب ١: ١٣٥-١٣٦.

(٤) انظر الحاشية رقم (١) من هذه الصفحة.

(٥) أي: ينظر في أمره ويصلح من شأنه.

إليه، فنزل عنده وأكرمه وعرف له حقَّه. ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِر الغسَّاني بالشام ليوصله إلى قيصر، فاستنجد له رجلاً، واستودع عنده ابنته هنداً وأدراعه وأمواله، وأقام مع ابنته "يزيد بن معاوية بن الحارث" ابن عمه، وخرج حتى انتهى إلى قيصر(١).

---

(١) الأغاني ٩: ٩٦-٩٩، وانظر ٢٢: ١١٨-١١٩، شعر السموأل: ٧، طبقات فحول الشعراء: ٢٧٩، المحبر: ٣٤٩، الشعر والشعراء: ٦٠، وفيه ذكر ابن قتيبة أن امرأ القيس " لم يزل ينتقل من قوم إلى قوم بجبلَيْ طيِّيء، ثم سمت به نفسه إلى ملك الروم. فأتى السموأل بن عادياءَ اليهوديَّ، ملك تيماء، وهي مدينةٌ بين الشام والحجاز، فاستودعه مائة درع وسلاحاً كثيراً..."، مجمع الأمثال ٢: ٤٤١، المستقصى ١: ٤٣٥، الكامل في التاريخ ١: ٥١٨. ويقرب من خبر الشعر والشعراء ما ذكره ابن سعيد في نشوة الطرب ١: ٢٥١، وأبو الفداء في المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، تاريخ ابن خلدون ٢: ٥٧٣، ٥٧٤، معاهد التنصيص ١: ٣٨٨، ٣٨٩-٣٩٠، بلوغ الأرب ١: ١٣٦-١٣٧، تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٠٨، تاريخ الأدب العربي لبلاشير: ٢٩٢، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٢، العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان: ٢٤٦. أما اليعقوبي فإنه يروي في (تاريخه ١: ٢١٧-٢٢٠) عن امرىء القيس - منذ أن بلغه مقتل أبيه حُجْر إلى أن وصل إلى قيصر ملك الروم- رواية تختلف في كثير من أحداثها وتفاصيلها عن رواية صاحب الأغاني، يقول فيها: "فلما بلغه مقتل أبيه جمع جمعاً، وقصد لبني أسد، فلمَّا كان في الليلة التي أراد أن يَغير عليهم في صبيحتها نزل بجمعه ذلك، فذعر القطا، فطار عن مجاثمه، فمرَّ ببني أسد، فقالت بنت علباء: ما رأيت كالليلة قطا أكثر! فقال علباء: لو تُرِك القطا لغفَا ونام، فارسلها مثلاً. وعرف أن جيشاً قد قرب منه، فارتحل، وأصبح امرؤ القيس، فأوقع بكنانة، فأصاب فيهم وجعل يقول: يا للثارات! فقالوا: والله ما نحن إلا من كنانة! فقال:

ألا يا لَهْفَ نفسي، بَعْدَ قومٍ .... (الأبيات)

... ومضى امرؤ القيس إلى اليمن لما لم يكن به قوّة على بني أسد ومن معهم من قيس، فأقام زماناً، وكان يُدْمِن مع نَدَامَى له، فأشرف يوماً، فإذا براكب مقبل، فسأله: من أين أقبلت؟ قال: من نجد! فسقاه مما كان يشرب، فلما أخذت منه الخمرة رفع عقيرته، وقال:

سقينا امْرأَ القيس بن حُجْرِ بن حارثٍ ... كؤوسَ الشَّجا حتى تَعَوَّدَ بالقَهْرِ
وألْهَاهُ شُرْبُ ناعِمٍ وقراقرٍ، ... وأعياهُ ثأرٌ كان يطلُبُ في حُجْرِ
وذاك لَعَمْري كان أسْهَلَ مَشْرَعاً ... عليه مِنَ البيضِ الصَّوارِمِ والسُّمْرِ

ويرى جرجي زيدان أن امرأ القيس أتى السموأل لمّا تنكّرت له القبائل في اليمن ونجد والحجاز، فلم يجرهُ أحد "فاستجاره فأجاره... وهو لا يرى من يستنصره على أعدائه إلاّ قيصر الروم، لأن ملوك الحيرة عمال الفرس نصروا أعداءه على جاري عادة العرب في ذلك العهد، إذا تظلّموا من إحدى هاتين الدولتين استنصروا الأخرى"(١). في حين يزعم بعض المؤرخين أن امرأ القيس قرّر أن يذهب إلى القسطنطينية ليستنجد بملك الروم لأن قبائل العرب رفضت نصرته خوفاً من بني أسد، وخوفاً من إغضاب المناذرة والفرس(٢)، وهو زعم يحتاج – في شقّه الأول – إلى إعادة النظر، ليس هذا محلّه.

ففزع امرؤ القيس لذلك، ثم قال: يا أخا أهل الحجاز! مَنْ قائل هذا الشعر؟ قال: عَبيد بن الأبرص. قال: صدقت! ثم ركب، واستنجد قومه، فأمدّوه بخمسمائة من مذحج، فخرج إلى أرض معدّ، فأوقع بقبائل من معدّ، وقتل الأشقر بن عمرو، وهو سيّد بني أسد، وشرب في قحف رأسه، وقال امرؤ القيس في شعر له:

قُولا لِدُودَانَ: عَبِيدِ العَصَا، .... (الأبيات)

وطلب قبائل معدّ امرأ القيس، وذهب من كان معه، وبلغه أن المنذر ملك الحيرة قد نذر دمه، فأراد الرجوع إلى اليمن، فخاف حضرموت، وطلبته بنو أسد وقبائل معد، فلمّا علم أنه لا قوّة به على طلب المنذر واجتماع قبائل معدّ على طلبه، ولم يمكنه الرجوع، سار إلى سعد بن الضباب الإيادي، وكان عاملاً لكسرى على بعض كور العراق، فاستتر عنده حيناً، حتى مات سعد بن الضباب، فلما مات سعد خرج امرؤ القيس إلى جبلَيْ طيّىء، ... فنزل بقوم من طيّىء ثم لم يزل ينتقل في طيّىء مرّة، وفي جديلة مرّة، وفي نبهان مرّة، حتى صار إلى تَيْماء، فنزل بالسموأل بن عادياء... فأودعه أدراعاً، وانصرف عنه يريد ملك الروم، حتى صار إلى قيصر ملك الروم، فاستنصره، فوجّه معه تسعمائة من أبناء البطارقة".

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٠٨، وانظر العرب قبل الإسلام للمؤلف نفسه: ٢٤٦.

(٢) العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧١، وانظر امرؤ القيس الملك الضليل: ٢٨-٢٩، الشوامخ امرؤ القيس: ١٧.

وثمة تأويل آخر نذهب إليه أن امرأ القيس ربّما فكّر خلال إقامته في بني فزارة –عند عمرو بن جابر بن مازن – أن يطلب العون والمدد من امبراطور بيزنطة، ولعله سمع عنه كثيراً منه[1]، وقد يكون الذهاب إلى قيصر اقتراحاً من مجيره الفزاري، وقوّاه الحارث الغسّاني. إذ يوحي الخبر السابق أن الحارث شجّعه على الرحلة، وقَبِل أن يقدّمه إلى قيصر، لوجود هدف مشترك يجمع بينهما، فكان الغساسنة، ممثلو بيزنطة في الشام، أعداء ألداء للمناذرة في الحيرة، وقد كان لهؤلاء – بمعاونة الفرس– الدور الكبير في تحطيم ملك كندة[2] وملاحقة امرىء القيس[3]، الأمر الذي جعل كلمتهم هي النافذة بين القبائل الضاربة في شرق الجزيرة الشمالي ونجد، وكان للغساسنة وبيزنطة مصلحة عامة في دعم امرىء القيس لاستعادة سلطانه، كي يصبح شوكة في ظهر المناذرة خصومهم التقليديين[4].

---

(١) وذلك عند قوله له: "جئت قيصر وجئت النعمان" في سياق حديثه عن السموءال، إذ يوحي الخبر أن الفزاري كان يتردّد على قيصر وعلى النعمان، وأنه لم يرَ مثل السموءال في إغاثة الضيف؛ قال: "فلم أرَ لضيف نازل ولا لمُجتَد مثله ولا مثلَ صاحبه"، وربما عنى بهذا الصاحب الربيع بن ضَبُع الفزاري، كان ممن يأتي السموءال فيَحْمِلُه ويُعْطيه. ولعل الخبر انطوى على أقوال أخرى في حقّ قيصر شجّعت امرأ القيس على الذهاب إلى بيزنطة، ولم يذكرها الرواة في الخبر الذي أورده صاحب الأغاني ٩: ٩٦-٩٧.

(٢) وذلك عندما عاد المنذر بن ماء السماء إلى ملكه في الحيرة في عهد أنوشروان، إذ هرب الحارث بن عمرو، وتبعته خيل المنذر، وقتل أهله. المصدر السابق ٩: ٨٠-٨١، وانظر امرؤ القيس الملك الضليل: ٢١.

(٣) وذلك منذ أن لاحق المنذر – بمساعدة الفرس– امرأ القيس عندما لجأ إلى ابن عمته عمرو بن المنذر، وبعد أن هرب إلى حمير، ومن ثم نزوله في بني حنظلة. الأغاني ٩: ٩٢-٩٣، وانظر امرؤ القيس الملك الضليل: ٢٨، أمير الشعر في العصر القديم: ٢٨١، الشوامخ امرؤ القيس: ١٧.

(٤) انظر امرؤ القيس حياته وشعره: ٨٥، ٨٧.

ويذكر الإخباريون أن قيصر قَبِل امرأ القيس وأكرمه، وصارت له منزلة عنده[1] ونادمه[2]، وأنه دخل معه الحمام، وأن ابنته نظرت إليه فعشقته، فكان يأتيها وتأتيه[3]. ويذكرون كذلك أن قيصر[4] أنجد امرأ القيس وبعث معه جيشاً كثيفاً فيهم جماعة من أبناء ملوك الروم، إذ طمع أن يكون له قوة في العرب يقاوم بها نفوذ الأكاسرة[5]. ولكنَّ رجلاً من بني أسد يقال له الطمَّاح[6] كان امرؤ القيس قد قتل أخاً له[7]، لحق بامرىء القيس حتى أتى إلى بلاد الروم فأقام مستخفياً، فلما ارتحل امرؤ القيس قال لقيصر قوم من أصحابه[8]: "إن العرب قومُ غدرٍ، ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعثتَ معه". وفي رواية لابن الكلبي أن الطمَّاح قال لقيصر: "إن امرأ القيس غَوِيٌّ عاهرٌ وإنه لمَّا انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتك ويواصلها، وهو قائل في ذلك

---

(١) الأغانـــي ٩: ٩٩، وانظر نشوة الطرب ١: ٢٥١، أمير الشعر في العصر القديم: ٢٩٢، الشوامخ امرؤ القيس: ١٨، العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧١.

(٢) الشعر والشعراء: ٦١.

(٣) المصدر السابق: ٥٣، وانظر تاريخ الأدب العربي لبلاشير: ٢٩٢.

(٤) هـــو الامـــبراطور يوستينيانس، انظر العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧١. ويرسم أيضاً: جستنيان ويستيان ويوستنيانوس ويوسطنيانوس.

(٥) امرؤ القيس لسليم الجندي: ٢٤.

(٦) فـــي الشعر والشعراء: ٥٣ "الطِّمَّاح بن قيس الأسدي"، وانظر الشوامخ امرؤ القيس: ١٨، وجاء في ديوان امرىء القيس: ١٠٨ من رواية الأصمعي عن الطِّمَّاح قوله: إن الطِّمَّاح رجـــل من بني أسد، وإن الذي وَشَى بامرىء القيس عند قيصر هو رجل منهم، يقال له: حبيب، وقال بعضهم:منقذ، وقد سمي الطِّمَّاح بقول امرىء القيس: "لقد طمح الطِّمَّاح من بعد أرضه". وزعم " قوم أن الطِّمَّاح رجل من بني أسد أرسله إليه قيصر بثوبه المسموم. وقيل: الذي سار إليه بالثوب هو الطِّمَّاح الأسدي".

(٧) في الشعر والشعراء: ٥٣ أن حُجْراً قتل أباه.

(٨) في الشعر والشعراء: ٦٢ قِيلَ لقيصر: "إنّك أمددت بأبناءِ ملوك أرضك رجلاً من العرب، وهم أهلُ غدرٍ، فإذا استمكن مما أراد وقهر بهم عدوّهُ غزاك".

أشعاراً يُشهِّرها بها في العرب فيفضَحُها ويفضحك". فبعث إليه حينئذٍ بحُلَّة وَشي مسمومة منسوجة بالذهب وقال له: " إني أرسلت إليك بحُلَّتي التي كنت ألبَسُها تَكرِمةً لك، فإذا وصلتْ إليك فالبسها باليُمن والبركة، واكتب إليَّ بخبرك من منزلٍ منزلٍ". فلما وصلت إليه لبِسها واشتدَّ سروره بها؛ فأسرع فيه السمّ وسقط جلده؛ فلذلك سمّي ذا القروح، فلما وصل إلى بلدة من بلاد الروم تُدعى أنْقِرة[1] احتُضر بها[2].

ويرى اليعقوبي في وشاية الطمّاح الأسدي بامرىء القيس رؤية أخرى تغاير -كل المغايرة- رواية صاحب الأغاني، فهو يزعم أن امرأ القيس مدح قيصر فسار الطمّاح الأسدي إلى قيصر؛ فقال له[3]: "إن امرأ القيس شتمك في شعره وزعم أنك علج أغلف. فوجّه قيصر إلى امرىء القيس بحُلَّة قد نضج فيها السمّ، فلما ألبسها تقطع جلده وأيقن بالموت". في حين يذكر ابن كثير أن امرأ القيس "امتدح قيصر ملك الروم يستنجده في بعض الحروب ويسترفده، فلم يجد ما يؤمله عنده فهجاه بعد ذلك، فيقال إنه سقاه سماً فقتله"[4].

---

(١) اسم للمدينة المسماة: أنكورية، معجم البلدان ١: ٣٢٢، وانظر نشوة الطرب ١: ٢٥٢.

(٢) الأغاني ٩: ٩٩-١٠٠، وانظر ديوان امرىء القيس: ٧، ١٠٨، ٢١٢-٢١٣، الشعر والشعراء: ٥٣، ٦٢، معجم البلدان ١: ٣٢٢، الكامل في التاريخ ١: ٥١٨-٥١٩، نشوة الطرب ١: ٢٥١-٢٥٢، ٣٨٩، تاريخ ابن خلدون ٢: ٥٧٣، المزهر ٢: ٤٤٣-٤٤٤، تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٠٨، تاريخ الأدب العربي لبلاشير: ٢٩٢، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٤، العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧١.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١: ٢٢٠، وانظر تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٠٨، العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان: ٢٤٦.

(٤) البداية والنهاية ١: ٢٠٤.

أما أبو الفداء فيشكك في صحة الخبر المروي عن الحلة، فيقول[1]: "وقد قيل إن ملك الروم سَمّه في حلة وهو عندي من الخرافات"، ويستنكر جرجي زيدان مدى فاعلية هذا السمّ في القتل، فيقول أيضاً[2]: "ولا نعرف سمّاً يفعل هذا

---

(١) المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥.

(٢) العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان: ٢٤٦، وانظر تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٠٨. وقد تناول رواية الحلة المسمومة عدد من الباحثين؛ فمنهم من أنكرها ورفضها، ومنهم مَنْ كان محايداً حيالها، فأما الفريق الأول – وهم الأكثر – فكانوا يرون أن امرأ القيس أُصيب بمرض نتجت عنه قروح التهبت فأودت بحياته، وأما الفريق الثاني فقد ربط بين القروح التي ظهرت في جسمه والحلّة المسمومة؛ وهم – بالإضافة إلى ما ذكر في المتن–:

- البستاني (امرؤ القيس منتخبات شعرية: ٣٩٣-٣٩٤) الذي اتكأ في ترجمته لامرىء القيس على بعض الأخبار التي نقلها عن المؤرخ نونوسوس، فهو يذكر أن نونوسوس لم يشر إلى ما تناقلته كتب الأدب العربي من أن امرأ القيس عشق ابنة قيصر، ونظم فيها الشعر، وأنه عندما علم قيصر بالأمر بعد رحيل الشاعر أرسل إليه بالحلة المسمومة، التي لم يكد يلبسها حتى تناثر لحمه ومات. بيد أن المعروف أن الشاعر أصيب في أنقرة – وهو عائد إلى دياره من بيزنطة– بمرض كالجدري، فتوفي هناك، ولعلّ البثور والقروح الناتجة من هذا المرض أثارت مخيلة الرواة العرب، فرأوا أن حادثة الحلة المسمومة أكثر تشويقاً وأوفر شاعرية من هذا الموت العادي، فألفوا تلك الأسطورة الجميلة، وسموا الشاعر "ذا القروح".
- أما محمد صالح سمك (أمير الشعر في العصر القديم: ٢٩٣) فقد أنكر – هو الآخر– مسألة الحلة، وكان رأيه فيها مماثلاً بعض الشيء لرأي جرجي زيدان؛ قال: ونحن لا نعرف حلة مسمومة كهذه الحلة لها هذا التأثير العجيب، ولذلك فهي في نظري أشبه بالخيال منها بالقول اليقين، بل إنها من خرافات التاريخ، وليس في شعر امرىء القيس ما يدل على أن موته كان بسبب حلة مسمومة، وكل ما دلّ عليه شعره أنه قد تقرّح بدنه، وأن الطمّاح وشى به إلى قيصر لا غير. والرأي عندي أن امرأ القيس مات بالجدري كما ذكر ذلك نونوسوس المؤرخ الروماني.
- وأما سليم الجندي (امرؤ القيس: ٢٥) فقد فسّر موته بالحلة المسمومة على نحو مغاير، دون أن يشكك في الخبر المرويّ عنها، فيذكر أن موته بالحلة المسمومة يجوز أن يكون أصابه قروح من احتكاك الثياب بجسمه فخالطها السمّ، كما يجوز أن تكون تلك القروح التهبت فأودت بحياته.

الفعل، وعلى كل حال فإن امرأ القيس قتل ولم ينل أرباً"، ويفنِّد أحد محرِّري دائرة المعارف الإسلامية رأي القدماء في موت امرىء القيس بالحُلَّة المسمومة بقوله[1]: "وتزعم الرواية العربية أن يوستينيانُس أراد أن يثأر لشرفه الذي لوثه امرؤ القيس بتغريره بابنته فخلع عليه حلَّة فظهرت في جسمه قروح، ومن ثم عرف بذي القروح، والحق أنه لم يكن ببلاط يوستينيانُس أو ببلاط خلفه يوستنيوس أميرة لها نفس الأوصاف التي ذكرها امرؤ القيس".

ويبدو أن هذه الرواية – القائلة بموت امرىء القيس مسموماً بالحُلَّة، وعلاقته بابنة القيصر التي كانت وراء حتفه– قد شغلت بعض المستشرقين في ترجماتهم لامرىء القيس؛ فيرى بروكلمان[2] أن فجور هذا الشاعر بإحدى بنات ملك الروم، ثم أمره بقتله في أنقرة وهو في طريق عودته – مخترع عليه؛ لأنه كثيراً ما كان يفاخر بمغامراته مع النساء[3]، وأن قصة موته محترقاً لأنه لبس

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٤: ٤٠٦. وينقض هذا الرأي ما ذهب إليه الطاهر أحمد مكي (امرؤ القيس حياته وشعره: ٩١-٩٢)، فهو يرفض أن يكون الامبراطور غضب على شاعرنا لأنه شبَّب بابنته، إذ لا يستبعد أن يكون عندما رآها أعجب بها، ومن ثم تغزّل بها، وهو أمر ليس مستغرباً من شاعر تعوّد الحديث عن النساء والتشبيب بهن، ولم يكن التغزّل في امرأة جميلة مما يعاب في بيزنطة في عصر امرىء القيس ولا بعده. ويحتجّ لذلك بخبر رواه المقّري (نفح الطيب ٢: ٢٥٨-٢٥٩) عن شاعر عربي وهو يحيى الغَزَال، جاء ببلاط قيصر سفيراً لعبدالرحمن الناصر خليفة الأندلس، فأعجبته زوجة الامبراطور فتغزّل بها، وكان الامبراطور مسروراً بما قيل عن جمال زوجته، وكانت زوجته أكثر منه سروراً.

(٢) تاريخ الأدب العربي ١: ١٥٦.

(٣) أوضح مثال على ذلك: يوم دارة جُلْجل، ديوانه: ١٠-١٢، وانظر: ١٣-١٨، ٢٩-٣٢، ١٥٨-١٥٩، ٢٣٠-٢٣١، ٢٤١-٢٤٢، الشعر والشعراء: ٦٥-٦٦، امرؤ القيس حياته وشعره: ٥٨-٦٠، امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة: ١٤، امرؤ القيس الملك الضليل: ٥٣-٥٥، مجلس المرأة وزينتها في العصر الجاهلي: ٥٢-٥٥.

حلــة مســمومة مــنحولة علــيه أيضاً، ويعلّل منشأ ذلك – عند مَنْ ذهبوا هذا المذهب– سوء فهم بعض الأبيات من قصيدته: وبُدِّلْتُ قرحاً دامياً بعد صحة[١].

ولعل من أفضل الآراء في هذا الباب رأي الأستاذ حسن السندوبي الذي عرض لمسألة الحُلّة وموت امرىء القيس، فهو يقول[٢]: "من تضارب هذه الأقوال يرجّح أن مسألة الحُلّة لا أصل لها: وإذا كان القيصر يريد إهداءه شيئاً لقدّم إليه الهدية وهو عنده ولم يرسلها مع رسول بعد انفصاله عنه، وأن وشاية الطمّاح لم تترك لها أثراً في نفس القيصر وإلاّ لما أقام له هذا التمثال[٣]. ومن المعروف أن قياصرة الروم كانوا يتودَّدون إلى العرب ويتألفونهم ليكونوا في جانبهم ضدّ أكاسرة الفرس الذين كانوا معهم في نزاع دائم. والظاهر أن الطمّاح هو الذي أُصيب بداء الجدري[٤] وسرت عدواه منه إلى امرىء القيس فتأثر به أشدّ تأثر حتى قضي عليه. ولذلك سمّاه في بيتيه الآتيين داءً ولم يسمّه سمّاً، وفي ذلك يقول امرؤ القيس[٥]:

لَقَــدْ طَمَــحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بُعْدِ أَرْضِه ۞ لِيُلْبِسَــني مِــن دَائِــه مــا تَلَبَّسَا
فَلَــوْ أَنَّهــا نَفْــسٌ تَمــوتُ سَــوِيَّةً ۞ ولكـــنَّها نَفْــسٌ تَســاقَطُ أَنْفُسَــا "

---

(١) انظر ديوان امرىء القيس: ١٠٧-١٠٨، الأبيات ١١-١٣، وسيأتي الحديث عنها.

(٢) شرح ديوان امرىء القيس: ٢٨-٢٩.

(٣) سيأتي الحديث عن ذلك –عمّا قريب– في خبر للأب لويس شيخو اليسوعي.

(٤) انظر الحاشية السابقة.

(٥) انظر ديوان امرىء القيس: ١٠٧-١٠٨. باختلاف في رواية الألفاظ وبتقديم البيت الثاني على الأول.

ويعلّــق على البيت الأول بقوله[1]: "عبَّر عن العدوى بالإلباس ولذلك سمّاه داءً. وقــال: ما تلبسا، يريد ما أُصيب به في هذا الداء. ولعل الرواة قد أخذوا بظاهر اللفظ فتوهموا أن هناك حلة تلبس".

إن ما انتهى إليه السندوبي من تفسير لبيت امرئ القيس، وما ترتَّب عليه من نتيجة قد قال به المؤرخون قبله وبعده، في القديم والحديث، فذكر بعضهم أن امــرأ القــيس كـــان مصاباً بداء قديم[2]، ويغلب على الظن أنه – كما ذكر أبو الفـــداء– قرحة قد طالت به[3]، وقد ذكر ذلك في شعره[4]، وأن هذا الداء عاوده في بلاد الروم بعد منصرفه عن قيصر[5]، فلما وصل إلى أنقرة ثَقُلَ واشتدّ عليه المرض، فمات هناك[6]. أو أن السمّ فتك به، فتوفّي في هذه المدينة[7]. وفي رأي آخــر يفــيد أن امرأ القيس كان مصاباً بخلل جنسي في بنيته، وانعكس ذلك في التهاب جلدي لأن العلاقة بين أمراض الجنس وأمراض الجلد مقرّرة علمياً، وأن المــرض هو الذي أودى به في الحقيقة[8]. وفي رواية للأصمعي أن امرأ القيس لمّــا بلــغ أنقــرة – بعد وشاية الأسدي به إلى قيصر – طُعِن وقُتِل وارفضّ عنه أصحابه[9].

---

(١) شرح ديوان امرئ القيس: ٢٨، الحاشية رقم (١).

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٤، وانظر العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧١.

(٣) المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥.

(٤) ديــوان امرئ القيس: ١٠٧، وانظر المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، وسيأتي الحديث عن ذلك.

(٥) انظر الحاشية رقم (٢).

(٦) الشــعر والشعراء: ٦٣، وانظر تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٤، العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧١.

(٧) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣:٢٦٤.

(٨) امرؤ القيس حياته وشعره: ٩٢.

(٩) ديوان امرئ القيس: ١٠٨.

والذي يبدو – من تجميع هذه الأخبار – أن امرأ القيس أُصيب بمرض هلك فيه، سواء أكان داءً قديماً أو عدوى سرت إليه من غيره؛ لأنه يتردّد صدى هذه الحادثة في شعره، وأن الأقوال الأخرى التي ذكرت موته بغير المرض هي من قبيل الاحتمال والتأويل والظن أو من نسج الرواة العرب. ويذكر أنه – بعد ذلك – رأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدُفنت في سفح جبل يقال له: عَسيب؛ فسأل عنها فأخبر بقصتها، ثم مات فدُفن إلى جنب المرأة فقبره هناك[1]. وأشار البحتري إلى قبره بأرض الروم في إحدى قصائده؛ فقال[2]:

وأَزَرْتَ الخُيُولَ قَبْرَ "امْرِىءِ القَيْـ ـسِ" سِـرَاعاً فعُـدْنَ منه بِطَاءَ

وفي الخبر الذي ضمّنه الأب لويس شيخو اليسوعي ترجمة امرىء القيس إضافة جديدة لنا عن رحلة هذا الشاعر إلى قيصر، ومن ثم تولّيه إمرة فلسطين، ودائه الذي كان سبباً في موته، وقد رأيت أن أذكر قوله كاملاً لأهميته في هذا المجال؛ فهو يشير إلى أن امرأ القيس قد جاء ذكره في "تواريخ الروم مثل نونوز وبركوب وغيرهما وهم يسمّونه قيساً، وقد ذكروا أنه قبل وروده على قيصر يوستينيانُس أرسل إليه [بواسطة الحارث الخامس الغساني][3] وفداً يطلب منه النجدة على بني أسد وعلى المنذر ملك العراق، [دفعه إلى ذلك ما كان يعرفه

---

(١) الأغاني ٩: ١٠٠-١٠١، وانظر الشعر والشعراء: ٦٣، الكامل في التاريخ ١: ٥١٩، المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، البداية والنهاية ١: ٢٠٤، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٤.

(٢) ديوانه: ١٨، وانظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١: ١٥٦.

(٣) الزيادة من كتاب: امرؤ القيس منتخبات شعرية: ٣٩٢، وذلك كما ذكر فوطيوس ناقل خبر سفارة نونوسوس إلى الحبشة والحميرين وقبائل البادية.

عـن العهد المعقود بين جدّه الحارث وانسطاس قيصر، الامبراطور الأسبق][1]، وكـان مـع الوفـد ابنةُ معاوية سيّره امرؤ القيس إلى قيصر ليبقى عنده كرهن. فكتـب قيصر إلى النجاشي يأمره أن يجنّد الجنود ويسير إلى اليمن ويعيد الملك لصـاحبه، ولعـلّ هـذا الوفد أرسله امرؤ القيس لمّا كان عند بني طيِّيء وطال عـندهم مكـثه. ثم أخبر المؤرخون المومأ إليهم أن امرأ القيس لم يلبث أن سار بنفسـه إلـى قسـطنطينية، فرغـبهُ قيصر ووعده. وقد ذكر نونوز المؤرخ أن يوسـتينيانُس قلّـدهُ إمرة فلسطين، إلاّ أنه لم يسعَ في إصلاح أمْره وإعادة ملكه، فضـجر امرؤ القيس وعاد إلى بلده وكانت وفاته نحو سنة ٥٦٥م. أصابه مرضٌ كـالجُدَري فـي طريقه كان سبب موته، وذُكِر في كتاب قديم مخطوط أن ملك قسـطنطينية لمّا بلغهُ وفاة امرىء القيس أمر بأن ينحـت له تمثال وينصب على ضـريحه، ففعلوا وكان تمثال امرىء القيس هناك إلى أيام المأمون، وقد شاهده هذا الخليفة عند مروره هناك لمّا دخل بلاد الروم ليغزو الصائفة"[2].

إن إرسـال امـرىء القيس وفداً قبله إلى القيصر أمر لم نعرفه من قبل، وكذلـك لم يذكر أحد من الرواة العرب ذلك العهد الذي أشرنا إليه، والغريب أن رواية هذا الخبر من أوله إلى منتهاه، وغيره من الأخبار التي وردت في تواريخ الـروم، لا أصـل لهـا فـي الروايات العربية، وهي في ظني لا أساس لها من الصـحة؛ لأنهـا تخـالف ما تناقله جمهرة الرواة والإخباريين العرب عن رحلة

(١) الـزيادة مـن المـرجع السـابق: ٣٩٢، وانظـر تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٦، المشـرق: ١٠٠٥، وذكـر الأب لويـس شيخو اليسوعي أن القيصر انسطاس أرسل جدّ نونوسوس المؤرخ إلى الحارث ليعقد عهداً معه.

(٢) شعراء النصرانية ١: ٣٥، وانظر امرؤ القيس حياته وشعره: ٩٢، امرؤ القيس منتخبات شـعرية: ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، أمـير الشعر في العصر القديم: ٢٩٤، تاريخ آداب اللغة العربـية ١: ١٠٨، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٦، الشوامخ امرؤ القيس: ١٧-١٨، المشرق: ١٠٠٥.

امـــرىء القـــيس من جهة، ولأنها قد تكون صيغت وقيلت لتحقّق مطالب عندهم توافق مذهبهم من جهة ثانية، فقد ذُكر أن يوستينيانس أجاب طلب امرىء القيس لسببين، أولهما: كون الطالب نصرانياً، إذ كان يوستينيانس من الغُيّر على الدين، وثانـــيهما: وهو الأهم -كما يظهر من قول بركوب- أن عدوّ امرىء القيس كان المـــنذر، والمـــنذر من عمال الأكاسرة منافسي القياصرة في بسط السيطرة على أطراف الجزيرة العربية[١].

ويضيف أحد محرّري دائرة المعارف الإسلامية سبباً آخر جديداً تفرَّد به، لـــرحلة امرىء القيس إلى الملك الرومي نختم به حديثنا في وصف هذه الرحلة، فـــيروي أن الامبراطور يوستينيانُس أخذ بنصيحة الحارث بن أبي شَمِر الغساني والـــي بادية الشام، فدعا امرأ القيس إلى القسطنطينية حوالي عام ٥٣٠م ليستعين بـــه علـــى الفرس، ومكث هذا الشاعر طويلاً في القسطنطينية، ثم استعمله على الشـــام وعلى القبائل التي تعيش على الحدود، ولُقب بلقب فيلارق Phylarck أي الوالي، ولكنه توفّي في أنقرة فيما بين عامي ٥٣٠ و ٥٤٠م[٢] أثناء رحيله لتولّي منصبه هذا[٣].

وأرى أن مـــا رُوي عـــن دعـــوة الملـــك الرومـــي لامرىء القيس إلى القسطنطينية، وجعله أميراً على قبائل فلسطين ليستعين به على الفرس – منحول

---

(١) انظر امرؤ القيس منتخبات شعرية: ٣٩٢.

(٢) وانظر الشوامخ امرؤ القيس: ٢١. وقيل: كانت وفاته عائداً من القسطنطينية نحواً من عام ٥٦٥م، قريبـــاً مـــن أنقـــرة. امـــرؤ القيس حياته وشعره: ٩٢، أمير الشعر في العصر القديم: ٢٩٣.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٤: ٤٠٦، وانظر شرح ديوان امرىء القيس: ٢٩-٣٠.

علـــيه للأسباب التي ذُكِرت آنفاً، وأضاف بروكلمان أنه حدث حقيقة لابن عمه: قيس بن سلمة[1]. وهذا ما لم يقل به أحد من المؤرخين والرواة العرب أيضاً.

فـــإذا كـــان وصف رحلة امرىء القيس قد سار على هذا النحو، فذلك لأن المظـــانّ التـــي اعتمدنا عليها في هذا السرد وزوّدتنا بالأخبار السابقة، قد فصّلت القول في تنقّل امرىء القيس بين القبائل في داخل الجزيرة العربية واليمن، وفي ذكـــر الأماكن التي أقام فيها إقامة قصيرة أو طويلة، وأجملته في خارجها إلى أن وصـــل إلى قيصر، وهو وصف يدل – في عمومه وإن تضاربت بعض الآراء– علـــى أن هـــذا الشاعر ابتدأ رحلته من الجزيرة العربية، ثم اتجه في سيره إلى الغـــرب إلى أن انتهى به المطاف إلى عاصمة الروم، ويؤرخ بعض المستشرقين هـــذه الرحلة فيذكر أن ذهاب امرىء القيس إلى القيصر يوستينيانُس كان حوالي سنة ٥٣٠ للميلاد[2].

ويـــبدو من الأخبار التي عرضنا لها أنه كان يعوزها – من أجل أن تكون دلـــيلاً قائمـــاً علـــى صـــواب اســـتنتاجنا– الشـــعر الجاهلـــي، ونعني به شعر امـــرىء القيس الذي سجّل فيه بعض الأحداث التي حدثت معه، أو الأماكن التي مـــرّ بهـــا في طريقه إلى بلاد الروم، وفي إقامته عندهم، وفي طريق عودته إلى دياره بعد منصرفه عنهم، حيث انتهت به العودة إلىأنْقِرَةَ التي كانت نهايته فيها؛ وكذلك شعر عمرو بن قميئة رفيقه في السفر.

---

(١) تاريخ الأدب العربي ١: ١٥٦.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٥، وانظر الخبر السابق من دائرة المعارف الإسلامية. ويقـــرّر الطاهـــر أحمد مكي أن بداية رحلة امرىء القيس إلى القسطنطينية تقع في زمن قريب من عام ٥٦٣م. انظر حديثه عن ذلك وطرق استدلاله في كتابه: امرؤ القيس حياته وشعره: ٨٨–٨٩.

فـإذا كان ذلك كذلك، فإن هذا يسهّل علينا الانتقال في الحديث إلى المحور الثاني المتعلّق بالأشعار التي أومأنا إليها.

* * *

(٢)

يذكر الرواة أن عمرو بن قميئة كان رافق امرأ القيس في سفره إلى قيصر ملك الروم[١]، وقد أشار إلى ذلك امرؤ القيس في شعره؛ فقال[٢]:

بَكَـى صَاحِبِي لَمَّا رأَى الدَّرْبَ دُونَه ... وأَيْقَـنَ أنَّـا لاحِقَـانِ بقَيْصَـرَا
فَقُلْـتُ له: لا تَـبْكِ عَيْـنُكَ إنَّمـا ... نُحـاوِلُ مُلْكـاً أو نَمُـوتَ فَنُعْذَرَا

ويذكرون أنه كان من قُدماء الشعراء في الجاهلية، وهو أقدَم من امرئ القيس، قـيل: كـان مـع حُجْر أبيه، ولَقِيه امرؤ القيس في آخر عُمره فأخرجه معه إلى

---

(١) انظر المصادر في الحاشية رقم (١) في الصفحة التالية.
وقد ورد في ديوان امرئ القيس (ص: ٣٤٧) من رواية السكّري أن الحارث بن حبيب السُّلَمي كـان خرج معه إلى الشام، ولكنه لم يكمل الرحلة، فمات في الطريق قريباً من بصرى في تلك الديار؛ فقال يرثيه:

ثَـوَى عـند الوَدِيَّـة جَوْفَ بُصْرَى ... أبـو الأيـتام والكـلِّ العجـافِ
فمَـنْ يَحْمِـي المُضَـافَ إذا دَعَـاهُ ... ويَحْمِـلُ خُطَّـةَ الأَنَـسِ الضِّـعافِ

وانظر امرؤ القيس حياته وشعره: ٨٧.

(٢) ديوان امرئ القيس: ٦٥-٦٦، وفي رواية للمفضّل الضبّي (ص: ٢١٢): أن الذي خرج مـع امرئ القيس إلى قيصر رجل من بني سَدُوس، ويقال إنه من ضُبَيْعة هو عمرو بن قميئة، وجاء في معاهد التنصيص ١: ٣٨٩ أن هذين البيتين قالهما امرؤ القيس في الربيع ابـن ضُـبَع الفَزاري لمّا لجأ إلى السموأل بن عادياء، وانظر تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٢-٢٦٣.

قَيْصر في بلاد الروم لمَّا توجَّه إله يستمدّه على بني أسد، فمات معه في طريقه، وسَمَّتْه العربُ عُمْراً الضائع لموته في غُرْبة وفي غير أرَب ولا مَطْلب[١].

ويـــروي ابـــن قتيبة في ترجمته لامرىء القيس، فيقول[٢]: "ثم سار ومعه عمـــرُو بـــن قَمِيئة أحد بني قيس بن ثعلبة، وكان من خدم أبيه، فبكى ابن قميئة وقـــال له: غرَّرتَ بنا، فأنشأ امرؤ القيس يقول:" وروى أبياته[٣]. ويشكك بعض المستشـــرقين فـــي مرافقة عمرو هذا لشاعرنا، فيذكر أن خروجه إلى الروم مع امـــرىء القيس ملك للأسطورة[٤]، دون أن يقدم دليلاً واحداً أو شاهداً مقنعاً على صـــحّة رأيـــه، الذي خالف فيه ما أتى به الرواة قديماً وحديثاً، والذي نقض فيه قصـــيدة صـــحيحة النسبة لامرىء القيس من رواية عالم ثقة هو الأصمعي، من أبياتها أبيات تذكر عمرو بن قميئة وصحبته له والأحداث التي حصلت معهما في هذه الرحلة.

---

(١) الأغاني ١٨: ١٣٩، وانظر ص: ١٤٤، ديوان امرىء القيس: ٢١٢، ديوان عمرو بن قميئة:١٥٦، فحولة الشعراء: ١٠، طبقات فحول الشعراء: ١٦٠، الشعر والشعراء: ٢٩٢ المؤتلف والمختلف: ٢٥٤، معجم الشعراء: ٤، الموشّح: ٣٢، نشوة الطرب ٢: ٦٢٦، المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، خزانة الأدب ٤: ٤١٢، امرؤ القيس لسليم الجندي: ٢٣-٢٤، امرؤ القيس الملك الضليل: ٣٠، قراءة ثانية في شعر امرىء القيس: ٧٥، الملك الضليل امرؤ القيس: ١٤٥، ١٤٧.

(٢) الشعر والشعراء: ٦٠-٦١.

(٣) روى البيتين السابقين (بكى صاحبي...) بزيادة بيتين آخرين عليهما، هما:

وإنـــي أذِيْـــنٌ إنْ رَجَعْـــتُ مملَّكـــاً ... بِسَـــيْرٍ تَـــرَى مـــنه الفُرَانِقُ أزْوَرَا

علـــى ظهـــرِ عـــاديٍّ تَحَارُ به القَطَا ... إذا سَـــافَهُ العَـــوْدُ الدّيافـــيُّ جَرْجَرَا

(٤) انظر تاريخ الأدب العربي لبلاشير: ٢٨٥.

وتبيّـــن هذه الرواية وسابقتها أن بين امرىء القيس وعمرو بن قميئة سابق معـــرفة، وأن هـــذه المعرفة نمت وتطورت بحيث تمكّن شاعرنا من أن يعرض الـــرحلة وسببها على عمرو بن قميئة، فيوافق هذا الآخر ويكون رفيقه في سفره ذاك. فـــي حين نجد صاحب الأغاني يروي رواية أخرى عن سفر امرىء القيس إلـــى قيصر تنفي – في محتواها– وجود المعرفة بين هذين الشاعرين، يقول أبو الفـــرج[1]: "نزل امرؤ القيس بن حُجْر ببكر بن وائل، وضرب قبَّته، وجلس إليه وجُـــوهُ بَكْر بن وائل، فقال لهم: هل فيكم أحد يقولُ الشِّعر؟ فقالوا: ما فينا شاعر إلا شـــيخ قـــد خلا من عمره وكبر، قال: فأْتوني به، فأتوْه بعَمْرو بن قَميئة وهو شـــيخ، فأنْشَـــدَه فأُعجِـــب به، فخرج به معه إلى قَيْصر، وإيَّاه عَنَى امرؤ القيس بقوله:

بكى صاحبي ...　　　.....　　　(البيتان)

وقـــال مـــؤرِّج في هذا الخبر: إن امرأ القيس قال لعمرو بنِ قَميئة في سفره: ألا تركب إلى الصَّيْد؟ فقال عمرو[2]:

شَـــكوتُ إلـــيه أنَّنـــي ذُو جلالـــة　　　وأنِّـــي كَبِـــيرٌ ذُو عِـــيالٍ مُجَنَّـــبُ
فقـــال لـــنا: أهـــلاً وسَهْلاً ومرحباً　　　إذا سَرَّكُمْ لحمٌ منَ الوَحْشِ فارْكَبُوا"

---

(١) الأغاني ١٨: ١٤٤، وانظر ديوان امرىء القيس: ٦٥، ديوان عمرو بن قميئة: ١٥٥-١٥٦، وروي هـــذا الخبر في مقدمة القصيدة رقم (١٤) من ديوان ابن قميئة على نحو آخر، حيث تقـــول الـــرواية: "ومَرَّ امرؤ القيس بن حُجْر الكندي ببكر بن وائل، فضرب قبابَه؛ فقال: أما فـــيكم شـــاعر؟ فقـــالوا: بَلَـــى! بَقِي لنا شيخ من قيس بن ثَعْلَبة فسألهم أن يأتوه به. فلما أتاه استَنْشَدَه، فأعجبه. فقال له امرؤ القيس: اصْحَبْني! ففعل؛ فانطلق معه، فَهلك؛ ولذا سُمِّي عَمْراً الضَّائع، فقال عمرو بن قميئة:". (البيتان)، امرؤ القيس لسليم الجندي: ٢٣.

(٢) انظر ديوان عمرو بن قميئة: ١٥٦، ويروى: "مُحَنَّبُ".

وســـواء كـــان بين امرىء القيس وعمرو بن قميئة سابق معرفة أو لم تكن هذه المعرفة موجودة أصلاً، فإن امرأ القيس استصحبه معه في رحلته إلى قيصر في بـــلاد الروم، فأجابه إلى صحبته، وأنه لمّا صار إلى ساتِيدَمَا وهو جبل هناك[1]. تذكّر أهله ودياره فبكى شوقاً إليهم؛ وفي ذلك يقول[2]:

قَــدْ سَأَلَتْنِي بِنْتُ عَمْرٍو عَنِ الْــ .... أَرْضِ الّتـــي تُـــنْكِرُ أَعْلامَهَـــا
لَمَّـــا رَأَتْ ســـاتِيدَمَا اسْــتَعْبَرَتْ، ... لله دَرُّ –الْـــيَوْمَ– مَـــنْ لامَهـــا!
تذكَّـــرَتْ أَرْضـــاً بِهَـــا أَهْلُهـــا ... أَخْوالُهـــا فِـــيهَا وأَعْمامُهَـــا

وقـــد اســـتدعى ظاهر البيت الأول الرواةَ إلى تعيين الشخص الذي بكى في هذه الـــرحلة، خاصـــة أن الإخباريين لم يشيروا إلى أن عمرو بن قميئة قد اصطحب ابنته معه؛ فقال أبو محمد الأسود الأعرابي في تفسيره عن أبي النَّدَى[3]: "سبب بكائهـــا... أنها لمّا فارقتْ بلادَ قومِها، ووقعت إلى بلاد الروم بكت، وندمت على ذلـــك، وإنمـــا أراد عمـــرو بهذه الأبيات نفسَه لا بِنْتَه، وإنما كنّى عن نفسه بها. وساتيدما: جبل بين مَيَّافارِقِين وسَعَرْت... وقال عمرو هذا الشعر حين خرج مع امرىء القيس إلى الروم[4]، وقصتهما معروفة".

---

(١) سيأتي الحديث عن "ساتِيدَما" فيما بعد.

(٢) المصدر السابق: ١٨١–١٨٤.

(٣) فُسرحة الأديـــب: ٨٧، وانظـــر تحصيل عين الذهب ١: ٩١، وفيه قال الأعلم الشنتمري – ونقله عنه البغدادي في الخزانة (٤: ٤٠٨)– :"وصف امرأة نظرت إلى ساتيدما– وهو جبل بعينه بعيدٌ من ديارها– فذكرت به بلادها فاستعبرت شوقاً إليها، ثم قال: لله درّ اليوم مـــن لامها على استعبارها وشوقها، إنكاراً على لائمها، لأنها استعبرَت بحقٍّ، فلا ينبغي أن تُـــلامَ"، وعقّب البغدادي على كلام الأعلم، فقال: "هذا كلامه. وليس هذا معنى الشعر فتأمّل"، معجم البلدان ٣: ١٩٠، خزانة الأدب ٤: ٤٠٧.

(٤) في معجم البلدان وخزانة الأدب: "ملك الروم" مع اختلاف يسير في بعض ألفاظ الخبر.

وممــا يؤيد القول إن عمرو بن قميئة لم يُرِدْ بهذه الأبيات بِنْتَه، وإنما أراد نفســه قول امرىء القيس: "بكى صاحبي..."، حيث أشار إلى بكاء عمرو عندما صحبه في رحلته، فهما لمَّا جاوزا بلاد العرب وصارا ببلاد الروم، وأيقن عمرو أنهمــا لاحقــان بقيصــر حنَّ إلى بلاده فبكى، وكذلك قول ابن قتيبة في ترجمته لامرىء القيس، وأبي الفرج الأصفهاني في ترجمته لعمرو بن قميئة السابقين.

فــإذا كــان شعر عمرو بن قميئة قد زوّدنا بأبيات يسيرة عن هذه الرحلة، دلَّــت – فــي مضمونها– على الموضع الذي كانت إليه الرحلة وانتهت فيه؛ فإن هــذا يدفعــنا إلى التساؤل: أي الطرق سَلَك، وما هي الأماكن التي مرَّ بها، وإلى أي الجهــات توجَّــه؟ ولعل شعر امرىء القيس أوفر حظّاً في الإشارة إلى شيء مــن ذلك! ولكن – قبل أن نمضي في الحديث عن ذلك– لا مناص من أن أشير إلــى بيت لعبيد بن الأبرص شاعر بني أسد، وكان معاصراً للأحداث، يذكر فيه رحلــة امــرىء القيس إلى قيصر، ويسخر من وعيده، ويدعو عليه بالهلاك وأن يلقى مصيره وهو بالشام؛ يقول[١]:

أزَعَمْــتَ أنَّكَ سَوْفَ تأتي قيصراً؟ فَلَتَهْلِكَــنَّ إذن وأنــتَ شــآمي[٢]

إن خبر امرىء القيس مع الغساسنة في طريقه إلى قيصر لا نعلم عنه شيئاً، وليس في شعره هو ما يشير إلى أنه ذهب إليهم رجاء التوسط في الوصول إليه[٣]، سوى ما ذكرناه عن صاحب الأغاني وغيره من أنه طلب إلى السموأل بن عادياء أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِر الغساني بالشام –

---

(١) ديوان عبيد: ١٢٤، وانظر امرؤ القيس حياته وشعره: ٩١.

(٢) وأنت شآمي: أي وأنت بالشام قبل أن تصل إلى قيصر.

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٣.

صاحب النفوذ عند قيصر الروم يومئذ[1] - ليوصله إليه، ففعل، واستصحب معه رجلاً يدلّه على الطريق، ومضى حتى انتهى إلى قيصر.

وكذلــك لم تشر الأخبار العربية إلى سفره إلى القسطنطينية، ولا إلى كيفية وصوله إلى قيصر[2]، وليس "في كتب الروم أو السريان الواصلة إلينا إشارة إلى هــذه الحــوادث التــي يــرويها الإخــباريون عــن ذهــاب امرئ القيس إلى القســطنطينية، وطلــبه النجدة من القيصر وموته في أنقرة، ولا عن الشعر الذي قالــه فــي حــقّ القيصر، وفي حق القبر الذي شاهده، وما إلى ذلك مما يذكره الإخــباريون. فــأمور مــثل هذه لا يعرفها هؤلاء"[3]. ويبدو من شعره أنه سلك طــريق الشام[4]، وأنه مرّ على "حَوْرَان"[5] و "بَعْلَبَكَ "[6] و "حِمْص"[7] و "حَمَاة" و "شَيْزَر"[8]، وقال في مسيره قصيدته المشهورة التي مطلعها[9]:

سَــما لَــكَ شَــوقٌ بعدما كان أقْصَرَا وحَلَّــتْ سُــلَيْمَى بَطْنَ قَوٍّ فَعَرْعَرَا

أمّــا ما بعد ذلك من الأماكن التي مرّ عليها حتى وصل إلى عاصمة الروم، فلا نعرف عنها شيئاً.

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٠٨، وانظر العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان: ٢٤٦.
(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٣.
(٣) المرجع السابق ٣: ٢٦٥.
(٤) سـيأتي الحديــث عن القصيدة، وانظر بالإضافة إليها: الأغاني ٢٢: ١١٨، ١١٩، تاريخ ابن خلدون ٢: ٥٧٤، معاهد التنصيص ١: ٣٨٨، ٣٩٠.
(٥) مدينة بالشام.
(٦) قرية بالشام بين دمشق وحمص.
(٧) مدينة بالشام.
(٨) موضعان في ناحية الشام، وانظر مروره في هذه الأماكن - بالإضافة إلى القصيدة- في: المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥.
(٩) القصــيدة في ديوان امرئ القيس: ٥٦-٧١، وانظر المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، شعراء النصرانية ١: ٤٥-٤٩، العقد الثمين: ٧٧-٨٠.

وقد حفظ لنا ديوان امرىء القيس ثلاث قصائد[1] من الشعر الذي يتصل بالرحلة إلى قيصر، يلتقي في روايتها العالمان الجليلان الأصمعي والمفضّل الضّبّي وآخرون[2]، وقصيدة[3] وردت في زيادات ملحق الطوسي من المنحول الثاني[4]، لم تثبت في رواية المفضل والأصمعي وأبي عُبيدة، ونسبها غيرهم إلى امرىء القيس، ومقطوعة تفرّد الضبّي بروايتها، ومقطوعتان مما زاده السكّري على غيره من الرواة.

والقصيدة الأولى هي الرابعة في الديوان[5]، وعدد أبياتها أربعة وخمسون بيتاً، وقد سبقت الإشارة إلى أنه قالها في الطريق إلى قيصر. جمعت هذه القصيدة صفات شعره في الطور الأول من حياته[6]، فإنه شبَّب فيها بصويحباته،

---

(١) رواية الأصمعي من نسخة الأعلم.

(٢) انظر الفصل الخاص بذلك في ديوان امرىء القيس: "تحقيق رواية الديوان: قصائده وأبياته" في المواضع: ٣٩٠، ٤٠٠، ٤٠٥، امرؤ القيس حياته وشعره: ٩٤.

(٣) مطلعها:

أَأَذكَرتَ نَفْسَكَ مَا لَنْ يَعُودَا ... فهاجَ التذكُّرُ قلباً عَمِيدَا

انظر ديوانَ امرىء القيس: ٢٥١-٢٥٤.

(٤) وهو الشعر الذي ألحقه شارح النسخة بها، وسمّاه "المنحول الثاني" مما كتبه عن غير الطوسي، والنَّحل في قصائد هذا القسم ومقطوعاته – وعددها ستّ وعشرون – بيِّن، وتكاد تكون نسبتها لامرىء القيس معدومة. انظر المصدر السابق: ١٢ (المقدمة).

(٥) الذي حقّقه محمد أبو الفضل إبراهيم، والذي اعتمدت عليه في هذا البحث، ص: ٥٦-٧١، وهي الرابعة في مخطوطة الأعلم الشنتمري، والخامسة في مخطوطة الطوسي (فيما قرأه الطوسي على ابن الأعرابي من رواية المفضّل)، والخامسة في مخطوطة السكري ومخطوطة البطليوسي، والسادسة عشرة في مخطوطة ابن النحاس، والأربعون في مخطوطة أبي سهل. وانظر امرؤ القيس حياته وشعره: ٩٤-٩٩، امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة: ١٩٥-٢٠٢، أمير الشعر في العصر القديم: ٣٠٥-٣١٢، قراءة ثانية في شعر امرىء القيس: ٦٤، ٧٤، ٧٥، ١١٠، ١٣١، ١٤٢.

(٦) الطور الأول قبل مقتل أبيه، والثاني بعده.

وذكــر الأماكـــن والديار التي مرّ بها، ووصف الطرق التي سلكها. وهي تصوّر شخصـــية امـرىء القـــيس أصدق تصوير في النزوع إلى الماضي والتطلّع إلى المســتقبل، وتعــبّر عــن مشاعره المتلوّنة أوضح تعبير وهو يتأرجح بين جزر الــيأس ومدّ الأمل، فهي صدًى حقيقي لواقع قائم، وتجربة قاسية مرّ بها، وحياة مأهولـــة بالمتاعـــب خاضها متحدياً لها. بدأها بمقدمة طللية هي أطول مقدمة في ديوانه، وتلائم موضوع الرحلة وتنسجم معه، فقد بَعُدت صاحبته وقومها، وحلّوا في موضعين متباعدين عن دياره، فاشتدّ لذلك شوقه وتضاعف حزنه، وصاحبته كنانـــية القبيلة يعمرية الحي، انقطعت عنه وجاورت غسان، ومع ذلك فإن ودّها باق في صدره لا يذهب ولا يتلاشى، فلما ارتحلوا – عن المرتبع الذي جمعهم– اتّــبعهم بـــنظره حزناً لفراقهم حتى غابوا وراء الأنهار من جَنْب تَيْمر. وتراءى للشـــاعر – وهـــو في هذا الموقف المؤثر– مظهر الظعائن الجميل وهي تغادر الديـــار، فأرسل خياله في تصوير هذا المنظر تصويراً ينمّ عن الشعور بالجمال والإحســـاس بروعة الأشياء، فهوادجهن عالية مختلفة الألوان، تغذّ السير، فتبدو للرائـــي – مـــن بعيد– حدائق دوم أو سفيناً مطلياً بالقار تدفعه الرياح، أو نخيلاً عالــيات باســقات يغمر أسافلها الماء، من نخيل ابن يامنٍ في هَجَر دون الصَّفا وبعـــد المُشَقَّر[1]. ولكن هذه الظعائن الجميلة الموشاة بألوان من الصوف الأحمر والأصـــفر لا تشبه حدائق الدَّوْم أو السفين المطلي أو النخيل ذا الألوان المختلفة وحســـب، وإنما تشبه تماثيل من تماثيل سَقْف[2]، على قوائم مرمرية تكسو وادي الساجوم المزبد[3] بنقش ملوّن، أو صور مزخرفة على جدر مطلية.

سَـــما لَـــك شوقٌ بعدما كان أقصرَا ... وحَلَّـــت سُـــلَيمَى بطنَ قَوٍّ فَعرْعَرَا
كنانـــيّةٌ بانَـــتْ وفـــي الصّدْرِ وُدُّها ... مجـــاورةً غسَّـــانَ والحـــيَّ يَعْمُرا
بِعَيْنَـــيَّ ظُعْـــنُ الحـــيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا ... لَدَى جانبِ الأَفْلاجِ مِنْ جَنْبِ تيمرا

---

(١) قصران بناحية اليمامة.

(٢) سقف: موضع فيه صور.

(٣) المزبد: ذو الزّبَد.

فشَـــبَّهتُهُمْ فـــي الآلِ لَمَّـــا تَكمَّشوا　　حدائـــقَ دَوْمٍ أو سَـــفيناً مُقَـــيَّرا
أو المُكْـــرَعاتِ مِنْ نَخيلِ ابن يامنٍ　　دُوَيْـــنَ الصَّفا اللاَّئي يلينَ المشقَّرا
كـــأنَّ دُمَى سَقْفٍ على ظَهْرِ مَرْمَرٍ　　كَسَـــا مُزْبِدَ السَّاجُومِ وَشْياً مُصَوَّرا

وأتــبع الشاعر الحديث عن رحلة الظعائن بغزل حيي وقور على غير ما عرف عنه من الغزل الإباحي والخلاعة والمجون والتهتّك الخلقي الفاحش، ولعلّ انشغاله بما يقضّ عليه مضجعه، ويستحوذ على عقله صرفه عن التفكير بنوازع فؤاده وإرضاء شهواته، والتلذذ بها ولو على سبيل الذكرى. فالنسوة في الظعائن منعّمات مصونات يتحلين بالياقوت[١] وبقطع من الذهب المصوغ على هيئة فقار الجـرادة[٢]، ويتطيبـن بالطيب الذكي الرائحة الذي انتشرت رائحته العطرة في أرجـاء المكان، كما لو كان حقّه حميرية[٣] رميت بمسك إذفر[٤] قد فُتقت نافجتُه فانتشـرت رائحته وقويت. وبضروب أخرى من الطيب والعطور كالبان واللبنى وأعـواد من البخور الهندي كالأُلوَّة والرَّند والكباء[٥]. هؤلاء النسوة ذهبن بقلبه، واسـتولين علـيه، وعلقن بحبّ حبيب لا يستطعن الانفكاك عنه، وكانت سُليمى صـاحبته تدّعيه ثم فارقته وذهبت هي الأخرى بقلبه، وقطعت ما بينه وبينها من حبل الوصال، وكان هذا الحبيب لها فيما خلا من الدهر خليلاً، يختلس النظر إلى

---

(١) انظـر مجلـس المرأة وزينتها في العصر الجاهلي: ١٤٠-١٤١، الزينة في الشعر الجاهلي: التزيّن بالحلي: ١٤٩-١٥٠.

(٢) انظر مجلس المرأة وزينتها في العصر الجاهلي: ١٣٧، ١٥٠ والحاشية رقم (٢)، الزينة في الشعر الجاهلي: التزين بالحلي: ١٥٧.

(٣) هـي أداة أو وعـاء لحفـظ الطيب والحلي، وتكون من الخشب والعاج. انظر مجلس المرأة وزينتها في العصر الجاهلي: ٢٠٦-٢٠٧.

(٤) الإذفر: القوي الرائحة.

(٥) لمـزيد من التفصيل في الحديث عن هذه الأنواع من الطيب والعطور، انظر المرجع السابق: ١٦٨-١٧٢، ١٧٧-١٧٨، ١٨١، ١٨٢، الزينة في الشعر الجاهلي: زينة الطيب والعطور: ٢١٠، ٢١١، ٢١٤ - ٢٢٤، ٢٢٧-٢٢٨، ٢٥٠-٢٥١، ٢٥٧، ٢٦٠-٢٦٣.

خبائها ذي الأستار الصفاق مخافة الرقباء، إذا فجأها فنظر إليها فَزِعَ قلبُه وخفق، كفَـزَع الثَّمِل إذا نظر إلى الخمر فاستفظعها ورهب منها مع محبته فيها وحرصه علـى الـتلذذ بالسُّـكْر منها. وكانت فاترة نشوى، إذا قامت لأمر تمايلت متثنية تداري فؤادها لتشتدّ، وتحمل نفسها على التماسك، وتتكلف الجَلَد لئلا تنهار. ولقد تغيّر ودّها، فإن قطعت ما بينه وبينها لبعده عنها، ووصلت غيره، ومالت بهواها إلـى آخـر، فلـه العذر حينئذ أن يستبدل بها غيرها، وأن يميل بهواه إلى امرأة أخـرى، فالجـزاء مـن جنس العمل، وإنما يقول هذا عند خروجه إلى قيصر، ومفارقـته أهلـه وديـاره. وربما آثر الشاعر – في هذه الأبيات– "مزج ثنائية (الحـرمان – الجمال) في تجربة من تجاربه؛ ليبرز بهذا المزج التقابل بينه وبين المـرأة، فهـو يتمناها من ناحية، لكنه –على غير المألوف– يهيّىء لفراقها من ناحـية أخـرى، وهذا التقابل يبدو جليّاً في تجربة مزدوجة بين سلمى وأسماء، حيث يستخلصهما من بين نسائه لهذه المغامرة المميزة"(١).

غَرائِـرُ فـي كِـنٍّ وصَوْنٍ ونَعْمَة … يُحلَّيْـنَ ياقوتـاً وشَـذْراً مُفَقَّـرا
ورِيـحَ سَـناً فـي حُقَّـةِ حِمْيَرِيّةٍ … تُخَـصُّ بمَفْروكٍ من المسْك أذْفَرا
وبانـاً وأُلْوِيّـاً مـن الهـنْدِ ذَاكِياً … ورَنْـداً ولُبْـنَى والكِـبَاءَ المقَـتَّرا
غَلِقْـنَ برَهْنٍ مِنْ حَبِيبٍ به ادَّعَتْ … سُـلَيْمى فأمسَـى حَـبْلُها قد تَبَتَّرا
وكـان لهـا في سالف الدهر خُلَّةٌ … يُسـارِقُ بالطَّـرْفِ الخِباءَ المُسَتَّرا
إذا نَـالَ مـنها نَظْـرَةً رِيـعَ قَلْبُهُ … كما ذَعَرَتْ كأسُ الصَّبُوحِ المخمَّرَا
نـزِيفٌ إذَا قامـتْ لوَجْـهٍ تمايلَتْ … تُراشِـي الفؤادَ الرَّخْصَ ألاَّ تَخَتَّرا
أَأَسْـماءُ أَمْسَـى وُدُّهـا قد تَغَيَّرا … سَـنُبْدِلُ إن أَبْدَلْـتِ بـالوُدِّ آخَـرا

---

(١) قراءة ثانية في شعر امرىء القيس: ١٠٩.

وانـــتقل بعـــد ذلـــك إلـــى تذكـــر أهله الصالحين، وما هو عليه من سفر واغتراب، مسجّلاً في الأبيات التالية أحزانه وآلامه النفسية التي اعتورت فؤاده، ورافقته في مسيره إلى أرض الروم منذ أن فارق أهله وديارِه، فهو عندما صار إلـــى بعض مواضع الشام إلى "خَمَلَى" و "أَوْجَر"[١] وقد بَعُد عن أهله وعن ديار محبوبـــته، تذكّرهم واشتاق إليهم، ولما دنا من "حَوْران" فبدت له في الآل[٢] دون أسماء لم يرَ شيئاً يسرُّ به، إذ كان كل ما رآه جديداً عليه غريباً عنه، لا يصله به نســب ولا تشـــدُّه إليه عاطفة[٣]، فكأن كل ما رآه غير مرئي لحقارته وقبحه في عيـــنه، فلما جاوز حماة وشَيْزر تقطعت به أسباب الحاجة إلى مَنْ أحب يأساً من اللقـــاء، وشـــغلاً بمـــا لقيه من الشدة والعناء. ولطول المسافة وبعد الديار كانوا يســـيرون متعجليـــن، فقـــد أخذت القافلة تغذّ السير، وتجهد نفسها بسرعة فوق طاقـــتها، حـــتى ضجّت الإبل المسنّة من سرعتهم، فكان مَنْ تخلّف منهم لشيء أصابه لم يتربَّص عليه حتى يدركهم. ورغم الأهوال التي ألمَّت به، وما لقي من عـــناء الســـفر، وبُعْد الشُّقّة[٤] لم ينس نساءً في هوادج مرتفعة، جلّلت حمولتهن بـــالخَمْل، خضـــراء اللـــون كأثل وادي الأعراض، فارقته عند انقضاء المرتبع والرجوع إلى المياه، مررن "ببيشة" وخلفن "الغمير" قاصدات "غضور".

تَذَكَّـــرْتُ أَهْلِـــي الصالِحِينَ وقد أَتَتْ	على خَمَلَى خُوصُ الرِّكابِ وأَوْجَرا
فلمّـــا بَـــدَتْ حَـــوْرانُ في الآلِ دُونَها	نَظَـــرْتَ فلَـــمْ تَنْظُرْ بعيْنَيْكَ مَنْظرا
تَقَطَّـــعَ أَسْـــبَابُ اللُّـــبانَةِ والهَـــوَى	عَشِـــيَّةَ جاوَزْنَـــا حَمـــاةَ وشَيْزَرا
بِسَـــيْرٍ يَضِـــجُّ العَـــوْدُ مِـــنه يَمُـــنُّهُ	أَخُو الجَهْدِ لا يَلْوِي عَلَى مَنْ تَعَذَّرَا

(١) موضعان قبل الشام.

(٢) الآل: السراب.

(٣) امرؤ القيس حياته وشعره: ٩٥.

(٤) الشُّقَّة: بُعْد مسير إلى الأرض البعيدة.

ولـــم يُنْسِـــنِي مـــا قَـــدْ لَقِيتُ ظَعائناً   وَخمْـــلاً لهـــا كالقَـــرِّ يوماً مُخَدَّرَا
كـــأثْلٍ مـــن الأعْرَاض مِنْ دون بِيْشَةٍ   ودُونَ الغُمَـــيْرِ عـــامِدات لِغَضْوَرَا

وخـــرج من هذا إلى وصف ناقته الجَسْرة[١] الذَّمُول[٢] وإلى الفخر بنفسه، حـــتى إذا أرضى نفسه في وصفها بستة أبيات أشار إلى أنها تحمل على ظهرها فـــتًى لم تحمل الأرض مثله، وفاء بما عاهد، وصبراً على ما يجد. ويفخر بنفسه على بني أسد ويخوّفهم منه، فيذكر الأعمال التي قام بها للثأر لأبيه، فهو المُنْزِل الألـــوف مـــن حصن ناعط بأرض همدان، فإذا أرادوا النجاة بأنفسهم فعليهم أن يـــنزلوا بما غَلُظ من الأرض وخشن، وأن يتحصّنوا بالجبال. ويزعم أنه لو شاء لغـــزاهم مـــن أرض حمير بقومه وأصحابه، ولكنه استنجد بملك الروم، وطلب العَوْن منه، تشنيعاً عليهم، وإبلاغاً في نهكِهِم، وتبيين شرفه وفضله لمشاركة ملك الروم له.

فـــدَعْ ذَا وسَـــلِّ الهَـــمَّ عَنْكَ بجَسْرَةٍ   ذَمُـــولٍ إذا صـــامَ الـــنَّهارُ وهَجَّـــرَا
....

علـــيها فَـــتًى لَـــم تَحمِلِ الأرْضُ مِثْلَهُ   أبَـــرَّ بمِيـــثاقٍ وأوْفَـــى وأصْـــبَرَا
هـــو المُـــنْزِلُ الأُلاَّفِ مـــن جَوِّ نَاعِطٍ   بَنِـــي أَسَـــدٍ حَزْناً من الأَرضِ أوْعَرَا
ولو شاءَ كان الغَزْوُ مِنْ أرْضِ حِـــمْيَرٍ   ولكـــنَّه عَمْـــداً إلـــى الـــرُّومِ أنْفَـــرَا

ويـــرافقه فـــي هـــذه الرحلة -كما أخبرنا- عمرو بن قميئة، وكان شيخاً كبـــيراً[٣]، وقـــد أحـــسَّ عمرو خلال هذه الرحلة الشاقة بقسوة الغربة، وعذاب

---

(١) الجَسْرة: الناقة النشيطة.
(٢) الذَّمول: التي تسير سير الذَّميل، وهو سير سريع.
(٣) الأغاني ١٨: ١٣٩، ١٤٤، وغيره.

الوحـــدة، ووحشـــة الـــدار، فعندما جاوز وصاحبه بلاد العرب إلى بلاد الروم، مخلِّفَيْــن وراءهمـــا أرضاً عزيزة وذكريات جميلة، وأيقن عمرو أنه صائر إلى قيصر لا محالة، حنَّ إلى بلاده فبكى، فيسلّيه امرؤ القيس عن البكاء، ويخفّف من آلامـــه وأحـــزانه بـــأن يصـــبر على ما يجد حتى يدركا ما يطلبان من المُلْك، بالوصـــول إلـــى قيصـــر والرجوع إلى قتال بني أسد، إلاَّ أن يحول الموت دون ذلـــك، فـــيكون لهما العذر إذ لم يقصّرا في الطلب. ويطيب خاطره ويهدىء من روعـــه فيذكر له لئن استجاب له قيصر، ورجع من عنده بجيش عظيم يستعيد به ملكـــه، فإنه كفيل بأن يسير سيراً شديداً، يطوي الأرض طيّاً، فيبلغا ديارهما في زمن وجيز.

بَكَـــى صَاحِبي لَمَّا رَأى الدَّرْبَ دُونَه ... وأيْقَـــنَ أنَّـــا لاحِقَـــانِ بقَيْصَـــرَا
فقُلْـــتُ له لا تَـــبْكِ عَيْـــنُكَ إنَّمـــا ... نُحـــاوِلُ مُلْكـــاً أو نَمُـــوتَ فَنُعْذَرَا
وإنِّـــي زَعِـــيمٌ إنْ رَجَعْـــتُ مُمَلَّكـــاً ... بسَـــيْرٍ تَرى منه الفُرانِقَ[1] أزْوَرَا

ثـــم أعقـــب ذلك في وصف الطريق الذي سلكه، فهو طريق غير مسلوك لـــيس فيه عَلَم ولا منار فيهتدى به، إذا شمّته الإبل المسنّة رغت لبعده وما تلقى مـــن مشـــقّته، على فرس قوي مقصوص الذنب استعمل من قبل في سير البريد، خمـــيص البطن كذئب الغضا، ماض في الجري، يتحدر العرق من جوانبه لشدة الســـير ومشقّته، إذا حركه بالرَّكْض وبالزَّجْر من جانبيه كليهما تبختر في مشيه، ومال في أحد جانبيه، ثم حرّك فمه باللجام عبثاً ونشاطاً.

فـــإذا اطمأن الشاعر إلى أنه خفف عن رفيقه ألم الغربة، وهوّن عليه بُعْد الشُّقَّة، واصل مسيره حتى إذا جهدا وشقَّ عليهما السير دعا امرؤ القيس الفرانق

(١) الفرانق: الذي معه، دليل أو غيره.

إلــى الغــناء والتطريب ليروّح عنهما، ويسلّيهما عن بعض ما يجدا من المشقّة والعــناء، فــأرنّ وهــو على فرس قوي شديد، ليِّن العروق والمفاصل، مقطوع الذنب.

علــى لاَحِــبٍ لا يُهْــتَدَى بمَــنارِهِ	إذا ســافَهُ العَــوْدُ النَّبَاطِيُّ جَرْجَرَا
عَلَــى كلِّ مَقْصُوصِ الذُّنَابَى مُعاوِدٍ	بَــرِيدَ السُّرَى باللَّيْلِ من خَيْلِ بَربرا
أَقَــبَّ كسِــرْحانِ الْغَضَــا مُــتَمَطِّرٍ	تَــرَى الماءَ منْ أعْطافه قد تَحَدَّرَا
إذا زُعْــتَهُ مِــنْ جَانِبَــيْهِ كِلَــيْهِمَا	مَشَــى الهــيْدَبَى في دَفِّه ثمّ فَرْفَرَا
إذا قلــتُ رَوِّحْــنا أرَنَّ فُــرانِقٌ	علــى جَلْعَــدٍ واهِي الأَباجِلِ أبْتَرَا

ويواصــل الشــاعر سيره في الشام متنقّلا في قراها في مواضع كان فيها غريــب الــيد واللسان، إلى أن صار إلى بَعْلَبَكّ فأنكره أهلها، وكان أهل حمص أشــدَّ إنكاراً له، وذلك لعدم معرفتهم به، وحينئذ أرسل خياله يرود آفاق الوطن فــتذكّر الأحبة فأخذ يراقب هطول المطر ليعلم أين وقعه ومصبّه، طمعاً منه أن يكون في ديار مَنْ يُحِبُّ، فيشتفي بذلك، ولكن لا شيء يشفيه من الشوق إلى ابنة عفــزر والحنين إليها. هي من المتحبّبات إلى أزواجهن اللائي لا تطمح أعينُهن إلــى غيرهم تعفّفاً وحسن صحبة، ناعمة رقيقة لو مرّت نملة صغيرة فوق ثوبها لأثّرت في جلدها.

وليســت ابنة عفزر المرأة الوحيدة – من بين النساء اللائي عرفهن– التي تذكّرها والتي كانت تشدّه إلى وطنه، وإنما كان لصاحبتيه أمّ هاشم والبسباسة ابنة يشــكر مــاضٍ معه وذكرى، فهو يلوم نفسه إن مَضَتْ به الرحلة وأمسى بعيداً عنهما، نائياً عن ديارهما، لما يلقى من الوجد بهما والاشتياق إليهما.

لَقَـــدْ أنْكَرَتْنــــي بَعَلْـــبَكُّ وأهلُهـــا وَلابنُ جُرَيْجٍ في قُرَى حِمْصَ أنكَرا
نَشيمُ بُـروقَ المُـزْنِ أيــنَ مَصابُه ولا شَـيءَ يَشْفِي مِنْكِ يابنَةَ عَفْزَرَا
مِــن القاصِرَاتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحْوِلٌ مِــن الـذَّرِّ فوقَ الإتْبِ منها لأَثَّرَا
لَــه الوَيْــلُ إنْ أمْســى ولا أُمُّ هاشــمٍ قريــبٌ ولا البَسْباسَــةُ ابنةُ يَشكُرا

ولــم يزل امرؤ القيس كذلك ينتقل من بلد إلى آخر، حتى إذا أمضى خمس عشــرة لــيلة سيراً وراء الحِساء من أعمال قيصر، بدا له أن أمّ عمرو بن قميئة تبكي عليه لبعدها عنه وشوقها إليه، وما كان أصبرها قبل فراقها له(١)!

ويبدو أن امرأ القيس لم يلقَ في الديار الجديدة ما يسرّه ويقرّ عينه، فأخذ يشكو حظه من الدنيا، ويتألم لتغيّر الدهر له، فهو كلما لقي إنساناً ورجا منه حسن الصحبة خانه وتغيَّر عنه، وأخلف ظنّه، فانتقل إلى آخر واستبدل به غيره، ولكن الناس سواسية في هذا الخُلُق.

أرَى أُمَّ عَمْــرٍو دَمْعُهــا قــد تَحدَّرا بكــاءً على عَمْرٍو وما كان أصْبَرا
إذا نحــن ســرْنا خَمسَ عَشْرةَ لَيْلَةً وَراءَ الحِســاءِ مِــن مَدافعِ قَيْصَرا
إذا قلــتُ هــذا صاحِبٌ قد رَضيتُهُ وقَــرَّتْ بــه العَيْــنانِ بُدِّلْتُ آخَرَا
كذَلِــكَ جَــدِّي، ما أُصاحِبُ صاحباً مِــن الــنَّاسِ إلاَّ خانَنــي وتَغَــيَّرَا

ويخــتم الشــاعر قصــيدته مفتخراً بقومه في أصلهم البعيد، فقد كانوا قبل غــزوة قرمل يتوارثون الغنى والمجد كابراً عن كابر، ولئن تراخي أصحابه عن اللقــاء – فــي أحــد الأيام– فليس ذلك لجبن أدركهم، أو ضعف استولى عليهم،

(١) أو ومــا كــان عمــرو أصبر من أمه حين بكى لما رأى الدّرْب دونه، بعيداً عن صحبه وأماكن لهوه.

ولكــنهم ذكروا المواطن والأهل، وحنّت نفوسهم إليها، فرجعوا عن العدوّ حرصاً علـــى اللحـــاق بالأهل، ولتشفى النفوس بلقائهم. وما أكثر الأيام التي شهدها في "تـــأذَف"[1] و "طرطر" فكانت له فيها الظفر والغلبة، ولكن ليس يوم – في حياته – مـــثل يـــوم "قـــذاران" حيث كان ظفره في هذا اليوم أشدّ ظفراً، وغلبته أقوى غلبة، وإن كان قد أصاب حاجته وأدرك طَلِبتَه، فقد كان وأصحابه فيه على حذر وقلّـــة طمأنيـــنة كأنهم على قرن ظَبْي. ويزهو بعادة كانت موجودة عندهم أنهم كـــانوا يشـــربون حـــتى يُذْهبَ السكرُ عقولهم، ويحيّر أبصارهم فيحسبوا الخيل حولهم غنماً، والسُّود حمراً.

وكـــنَّا أُناســـاً قَـــبْلَ غَـــزْوَةِ قَرْمَلٍ ... وَرِثْـــنَا الغِـــنَى والمجدَ أكْبَرَ أكبرَا

ومـــا جَبُنَـــتْ خَيْلـــي ولكنْ تذكَّرَتْ ... مَـــرَابِطَها مـــن بَرْبَعِيصَ ومَيْسَرَا

ألا رُبَّ يَـــوْمٍ صَـــالِحٍ قـــد شَـــهِدْتُهُ ... بِـــتَأْذِفَ ذاتِ التَّلِّ مِنْ فَوْقِ طَرْطَرا

ولا مِـــثْلَ يَـــوْمٍ فـــي قُذارَانَ ظَلْتُهُ ... كأنِّـــي وأَصْحابي على قَرْنِ أَعْفَرا

ونَشْـــرَبُ حتى نَحسِبَ الخيلَ حَوْلَنا ... نِقـــاداً وحتى نحسبَ الجَوْنَ أشْقَرا

إن انـــتقال الشاعر انتقالاً مفاجئاً من الحديث عن رحلته إلى قيصر، وعن المتاعـــب والأهـــوال التي واجهته في سفره هذا إلى الفخر بقومه، يجعلنا نشعر بوجـــود فجـــوة كبـــيرة بيـــن الموضـــوعين تحـــول دون ترابطهما في المعنى والمضـــمون، وفـــي تسلســـل الأحـــداث، إمَّا لأن الشاعر لم يحسن الانتقال من موضوع إلى آخر، ولم يأتِ بأداة يربط بها بينهما ولو كانت محاولة متكلفة، وإما – وهـــو احتمال نذهب إليه – أن تكون أبيات بينهما قد ضاعت، ويقلّل من قيمة هذا الاحتمال أن أحداً من الرواة الثقات لم ينصّ على ذلك.

---

(١) في معجم ما استعجم: ٣٠٠ دون همز، موضع قبل طَرْطَر.

ويـــبدو أن أخبار امرىء القيس مع قيصر كانت قليلة، أو أنه لم يسجّل في شـــعره ما دار بينه وبين الملك الرومي من أحاديث شتّى عن منادمته له، وبيان منزلـــته عنده، أو عشقه لابنته، وقد نجد له العذر في عدم الاهتمام بتضمين هذه الأحداث في شعره وقتئذ، لأنه كان مشغولاً بإقناع قيصر بتقديم العون والمدد له علـــى بنـــي أســـد قَتَلة أبيه، وربّما استغرق اقناعه وقتاً، لأن "النجدة التي طلبها امرؤ القيس كبيرة جداً، والجيس الرومي لم يكن مستعداً للقتال في الصحراء، ثم إن الغاية التي جاء من أجلها امرؤ القيس – وهي الأخذ بثأر رجل واحد- كانت بعـــيدة عن سياسة الروم ومألوفهم، فضلاً عن أن الامبراطورية الرومانية كانت مهـــدّدة بهجمات البرابرة، ومن ثم فالامبراطورية كانت في حاجة إلى الدفاع عن امبراطوريـــتها بنفسها"(1). حتى هذه الحادثة –التي هي هدف الرحلة- لم يذكرها امرؤ القيس في شعره إلاّ ذكراً يسيراً، كما هو الحال في هذه القصيدة.

والـــذي يـــبدو لـــي أن امـــرأ القـــيس لـــم يكن مَعْنياً –عندما رحل إلى القســـطنطينية- فـــي الأخـــذ بثأر أبيه، وأن الدافع إلى الرحلة كما تناقله الرواة والإخباريون قد يكون وهماً وقع فيه القدماء، وتبعهم المحدثون على ذلك، لأنه – فـــي الحقـــيقة- ثـــأر لأبيه، وقتل أناساً كثيرين وهو في داخل الجزيرة العربية، واحـــتمال أنْ يـــرحل إلـــى الامبراطور البيزنطي من أجل هدف كهذا يبدو أمراً مستهجناً حقّاً. والواقع أن امرأ القيس كان يسعى لاستعادة سلطانه وإحياء عرش أبيه وأجداده، بحيث يصبح ملكاً موفور الجانب، مسموع الكلمة، في منطقة تضمّ العديـــد مـــن القبائل العربية، ويذلّ خصمه المنذر بن ماء السماء(2)، وقد صرح بهدفه هذا في قوله لرفيقه:

---

(1) العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧١.

(2) انظر في ذلك امرؤ القيس حياته وشعره: ٩١، امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة: ١١، امـــرؤ القـــيس الملـــك الضـــليل: ٤٤، أمـــير الشعر في العصر القديم: ٢٧٣، الشوامخ امرؤ القيس: ١٦، الملك الضليل امرؤ القيس: ١٤٦.

فقلتُ لهُ: لا تَبكِ عينُك إنما نحاولُ مُلْكاً، أو نَمُوتَ فَنُعْذَرَا

والقصيدة الثانية التي تتصل برحلة امرىء القيس إلى قيصر هي القصيدة الثالثة عشرة في الديوان(١)، وهي أقصر من الأولى ومن التي تليها، عدد أبياتها أربعة عشر بيتاً، ويبدو منها أنه قالها لما شارف على أنقرة في طريق عودته إلى دياره. ويذكر الرواة في مناسبتها أن قيصر أرسل معه جيشاً كثيفاً، فلما قفل به راجعاً إلى دياره، وَشَى به الطمّاح عنده، فأرسل قيصر في طلبه رسولاً، فأدركه دون أنقرة بيوم، ومعه حلّة مسمومة منسوجة بالذهب، فلبسها في يوم صائف فرحاً بها، فتناثر لحمه، وتفطّر جسده، فسمّي لذلك ذا القروح، فقال هذه القصيدة يصف ما به، على أن مضمونها يوحي بغير ذلك، ويناقض هذا الخبر مناقضة واضحة.

بدأ القصيدة بمقدمة طللية قصيرة لا تتجاوز ثلاثة أبيات، يدعو فيها صاحبيه إلى النزول على الطلل مساعدة له حتى يسأله عن أهله، وقد ناداه وتحدّث إليه فلم يجبه، وكأنه ينادي أو يكلم أخرساً، خلت الديار من أهلها فلا أنيس بها يستقرّ عندهم، ويقيم فيهم، ولو أن أهل الدار فيها كما عهدهم زمن

---

(١) ص: ١٠٥-١٠٨، وهي الثالثة عشرة في مخطوطة الأعلم الشنتمري، والرابعة عشرة في مخطوطة الطوسي (فيما قرأه الطوسي على ابن الأعرابي من رواية المفضّل)، والتاسعة عشرة في مخطوطة السكري، والرابعة عشرة في مخطوطة البطليوسي، والسادسة والثلاثون في مخطوطة ابن النحاس، والثالثة والأربعون في مخطوطة أبي سهل. وانظر الشعر والشعراء: ٦٢، تاريخ اليعقوبي ١: ٢٢٠، الأغاني ٩: ١٠٠، الكامل في التاريخ ١: ٥١٩، نشوة الطرب ١: ٢٥٢، المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، شعراء النصرانية ١: ٣٣-٣٤، امرؤ القيس حياته وشعره: ١٠٠-١٠١، امرؤ القيس الملك الضليل: ١٣٦-١٣٨، أمير الشعر في العصر القديم: ٣١٢-٣١٤، الشوامخ امرؤ القيس: ١٨-٢٠ قراءة ثانية في شعر امرىء القيس: ٦٣، ٦٤، ١٣١، ١٤٢.

المرتبع لنزل فيهم ظهراً واستراح عندهم ليلاً. أنكره أهلها لمّا أتاها فلم يجد فيها ما يوافقه ويسرّ عينه، وهو الذي عرفوه وصحبوه أياماً ارتبعوا فيها غَوْلاً وألعس.

أَلِمَّا على الرَّبْعِ القَدِيمِ بِعَسْعَسَا ... كأنِّي أُنادِي أو أُكَلِّمُ أَخْرَسَا
فلو أنَّ أهْلَ الدارِ فيها كعَهدِنَا ... وجدتُ مَقِيلاً عندهمْ ومُعَرَّسَا
فلا تُنكِرونِي إنَّنِي أَنَا ذاكُمُ ... لَيالِيَ حَلَّ الحَيُّ غَوْلاً فَأَلْعَسَا

والمقدّمة ذات صلة بموضوع القصيدة، أراد الشاعر فيها أن يبيّن أنه أصبح بعيداً عن دياره، غريباً عن أهله وقومه، في مواضع لا يعرفه أحد، ولا يعرفهم، ولا يجد فيهم من يواسيه، ويخفف من آلامه وأوجاعه، ولذلك كان انتقاله إلى ذكر مرضه انتقالاً طبيعياً مهّدت له هذه المقدمة، فهو يتحدث عن داء فيه منها يمنعه النوم، ويدفعه إلى السهر، فلا ينام منه شيئاً إلاّ أن يُكِبّ[1] فينعس. ومع ظلمة الليل يتذكّر داءه القديم ويخشى أن يصاب بنكسة[2] يعاوده فيها هذا المرض، ويبدو أن امرأ القيس أصيب في هذه الديار بداء ذكر شيئاً من أعراضه – فيما يلي من أبيات– يختلف عن دائه القديم، الذي عاوده كذكرى مع الليل، وهو الوقت الذي ينفرد فيه الإنسان بنفسه، ويتذكر همومه وآلامه. ويظهر أن في هذين البيتين فصلاً بين نوعين من الداء الذي أصيب به شاعرنا، داء جديد أصيب به في ديار الروم، وداء قديم أصيب به في دياره، وأن الداء الجديد كان وراء موته، ولكن لا مانع من التأويل أنه بعد أن تردّت صحته وصار إلى حالة من البؤس والعجز عاوده مرضه القديم فاجتمع الاثنان، فكانت نهايته بهما.

---

(١) الإكباب: ملازمة الشيء مع انعطافٍ عليه وانحناء.

(٢) نُكِسَ الرجل: إذا ضعف وعجز.

فإمّــا تَرَيْنِــي لا أُغمّــضُ ســاعةً	مِــن اللّــيلِ إلا أن أُكِــبَّ فأنعَسَــا
تأوّبَنِــي دائــي القديــمُ فَغَلَّسَــا	أُحــاذرُ أن يــرتدَّ دائــي فأُنكسَــا

ومع إحساس الشاعر بالعجز والضعف يفرّج عن نفسه ويخفّف من مصابه باستعادة ذكرياته أيام الشباب والقوة، فيتبادر إلى ذهنه الأعمال التي قام بها وهو سليم معافى، فما أكثر ما أنجد مكروباً، عطف من ورائه وطاعن عنه أصحاب الخيل – وهو هارب منهزم– حتى أفلت منهم، وما أكثر الأيام التي كان يُعنى فيها بنفسه مرجّلاً شعره، فيبدو شاباً ناعماً حبيباً إلى الصبايا، يشدّهن صوته، فيرجعن إليه حبّاً وكلفاً به، كما ترجع النوق الفتية إلى الفحل. ولكنه اليوم غيره بالأمس فقد قلّ ماله وشاب شعره وتقوّس ظهره، وهذه أمارات الكِبَر وعلامات الهرم تنفّر النساء منه، ومن أي إنسان، على أن امرأ القيس إذا لجأ إلى التعميم كان كلامه حكَماً وأمثالاً[1].

فَــيَا رُبَّ مَكــروبٍ كــررتُ وراءَهُ	وطاعنــتُ عــنه الخيلَ حتى تنفّسَا
ويــا ربَّ يَــوْمٍ قــد أرُوحُ مرجّلاً	حَبيــباً إلى البِيضِ الكَواعبِ أمْلَسَا
يَرِعْــنَ إلــى صَوتي إذا ما سَمِعْنَه	كما تَرْعَوِي عِيطٌ إلى صَوْتِ أعْيَسا
أرَاهُــنَّ لا يُحْبِبْــنَ مَــنْ قَــلَّ مالُهُ	ولا مَــنْ رَأيْــنَ الشَّيْبَ فيه وقَوَّسَا

ويعــود الشاعر بعد ذلك إلى مرضه، ويبدو أنه كان يأمل البرء منه ولكنه طــال واشتدّ عليه في تلك الآونة، فهو لا يخشى أن تقسو عليه الحياة، حتى ولو ضعف وشَقّ[2] عليه المرض بحيث يعجز معه عن ارتداء ثيابه بنفسه، وأسوأ ما

(١) الشوامخ امرؤ القيس: ٢٠.
(٢) أي ثَقُل عليه.

يمـــرّ علـــيه فـــي مرضه أن نفسه لا تخرج مرَّة واحدة، ولكنها تموت شيئاً بعد شـــيء، وكأنهـــا مؤلّفة من عدة أنفس تموت الواحدة منها تلو الأخرى، وفي ذلك أبـــرع تصوير لطول عذاب النفس في مرض الموت[1]. لقد بدّل بصحته مرضاً، وتـــناثرت القـــروح علـــى جسده، ولعل ما به من شدة الحال والبلاء عوض من الموت أو بدلٌ منه. انتقلت عدوى هذا المرض إليه من رجل يدعى الطمّاح، كان أصيب بداء تأثر به امرؤ القيس أشدَّ تأثر حتى قُضي عليه.

ورغـــم مـــا لحق به من عناء السفر، وقسوة المرض، وتغيّر الحال، فإنه يتعلق بالأمل في أن يعقب الشدّة رخاء، والفقر غنًى، والشيب عُمْرٌ ومستمتع.

ومـــا خِفْـــتُ تَبْرِيحَ الحياةِ كما أَرَى	تَضِـــيقُ ذِراعِـــي أنْ أَقُـــومَ فألْبَسَا
فلـــو أنَّهـــا نفـــسٌ تمُـــوتُ جَمِيعةً	ولكـــنَّها نَفـــسٌ تَسَـــاقَطُ أَنفُسَـــا
وبُدِّلْـــتُ قَـــرْحاً دامِـــياً بعـــدَ صِحَّةٍ	لعـــلَّ مَـــناياَنا تحوَّلْـــنَ أَبْؤُسَـــا
لقـــد طَمَـــحَ الطَّمّاحُ من بُعْدِ أَرضِهِ	لِيُلْبِسَـــنِي مِـــن دائِـــهِ مـــا تَلَبَّسَـــا
أَلا إنَّ بَعْـــدَ العُـــدْمِ للمَـــرْءِ قِـــنْوةً	وبعـــدَ المَشِيبِ طُولُ عُمْرٍ ومَلْبَسَا

والقصيدة الثالثة التي تتصل برحلة امرىء القيس هي القصيدة التاسعة في الديـــوان[2]، وهـــي أقصر من الأولى وأطول من الثانية، عدد أبياتها سبعة عشر بيـــتاً، ويـــبدو مـــنها أنـــه قالهـــا في أثناء عودته إلى بلاده لمّا ثقل واشتدّ عليه

---

(١) المرجع السابق: ٢٠.

(٢) ص: ٨٩-٩٣، وهـــي التاســـعة فـــي مخطوطة الأعلم الشنتمري، والثامنة في مخطوطة الطوسي (فيما قرأه الطوسي على ابن الأعرابي من رواية المفضّل)، والحادية عشرة في مخطوطة السكري، والعاشرة في مخطوطة البطليوسي، والثانية والخمسون في مخطوطة ابن النحاس، والثالثة والثلاثون في مخطوطة أبي سهل.

المــرض[١]. بدأها بمقدمة طللية قصيرة يدعو فيها رفيقيه إلى الوقوف في ديار محبوبــته، والــبكاء عليها، والتعرّف إليها، فقد تغيّرت معالمها ودرست آثارها. تعاورتهــا الســنون، وبَعُــد أهلهــا بالأنيس حتى تغيَّرت رسومها وعفت آياتها، فأصــبحت كالكــتاب خفــاءً ودقّة. تذكّره – هذه الرسوم- بالحي مجتمعين زمن المرتــبع، وتهــيّج بقايا ألم في الفؤاد لم يستطع إخفاءه، فتسيل دموعه سيلاناً يبلّ رداءه، كما يسيل الماء من مزادة[٢] ذات خروق ورُقَع.

قِفَــا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيبٍ وعِرْفَانِ ... وَرَسْــمٍ عَفَــتْ آياتُــه منذُ أَزْمَانِ

أَتَــتْ حِجَــجٌ بَعدِي عليها فأصبحتْ ... كخــطِّ زَبُورٍ في مصاحفِ رُهْبَانِ

ذَكَــرْتُ بهــا الحَيَّ الجميعَ فهيَّجتْ ... عقابِــيلَ سُــقْمٍ من ضَمِيرٍ وأشْجانِ

فســحَّتْ دُمُوعِـــي في الرِّدَاء كأنَّها ... كُلًـــى مِنْ شَعِيبٍ ذات سَحٍّ وتَهْتَانِ

وانتقل من هذه المقدّمة إلى وصف حاله مريضاً يحمل على سرير، يحمله جابر بن حُنَيّ التغلبي[٣] في رِحالته[٤]، قد ذوى جسمه، واتسعت عليه ثيابه، فهي تضــطرب لاســتقبالها الــريح وتحريكها لها. وفي مثل هذه الحالة من الضعف والعجــز يفسح لخياله مجالاً للعودة به إلى الماضي، يسترجع به ذكرياته، وأيام شــبابه وفتوّته، فكم محصور رجع إليه وقد أحاط به العدو، وقاتل عنه واستنقذه،

---

(١) شــعراء النصــرانية ١: ٦٦ ذكــر الأب لويس شيخو اليسوعي في مناسبة القصيدة: أنه أنشدها في طريقه إلى قيصر وكان أصابه مرض، وذكر الطاهر أحمد مكي (امرؤ القيس حــياته وشــعره: ٩٩) أنه يبدو من جوّ هذه القصيدة أنها كانت تالية في الخَلْق للقصيدة الأولى.

(٢) قربة الماء.

(٣) فــي ديوان امرىء القيس: ٩٠ كان جابر بن حُنَيّ وعمرو بن قميئة يحملانه، وفي الشعر والشعراء: ٥٣ أن جابر بن حُنَيّ التغلبي هو الذي كان يحمله.

(٤) الرّحالة: خشبات كان يُحْمَل عليها امرؤ القيس وكان مريضاً، وهي الحَرَج.

وأســير فداه بماله فحُلّ وثاقه وسرّح، ولو كان أسيره منّ عليه وأطلقه، وأصدقاء لــه أيقظهم مبكرين، فقاموا وهم بين عاث[١] ونشوان[٢]، وأرض واسعة تتخرّق فــيها الــرياح قطعهــا علــى ناقة قوية الخلق، لينة المشي، مذْعان[٣]، وسهول أصابتها سحب قوية، شديدة الصوت، فأعطت نبتاً مختلف الألوان كألوان الفنا[٤]، هــبطها على فرس ضخم كهيكل النصارى، يعطيك ما عنده من الجري قبل أن تكلِّفه ذلك وتسأله إياه.

فإمّــا تَرَيْنــي فــي رِحالَــةِ جَابِرٍ	علــى حَــرَجٍ كالقَرِّ تَخفِقُ أكْفَاني
فــيا رُبَّ مَكْــروبٍ كَــرَرْتُ وراءَه	وعــانٍ فكَكْــتُ الغُــلَّ عنه فَفَدّاني
وفِتْــيانِ صِــدْقٍ بَعَثْــتُ بسُــحْرَةٍ	فقــاموا جمــيعاً بين عاثٍ ونَشْوَانِ
وخَــرْقٍ بَعــيدٍ قــد قَطَعْــتُ نِياطَهُ	على ذاتِ لَوْثٍ سَهْوَةِ المَشْيِ مِذْعَانِ
وغَيْــثٍ كــألْوانِ الفَــنَا قــد هَبَطْتُه	تعــاوَرَ فــيه كــلُّ أوْطَــفَ حَنَّانِ
علــى هَــيْكَلٍ يُعطــيكَ قبلَ سُؤَالِه	أفانيــنَ جَــرْيٍ غَــيرَ كَزٍّ ولا وانِ

ثــم يأخذ في وصف الحصان – إلى نهاية القصيدة– بأبيات لا تعكس من واقع الرحلة شيئاً، ولا تمت إليها بصلة[٥].

"يتبع في القسم الثاني"

---

(١) العاثــي: المتناول للشيء، وكثر ذلك في كلامهم حتى استعملوه في الفساد، وأراد أنه لمّا أثارهم من نومهم تناول هذا ثوبه ليلبسه، أو ناوَل غيره وهو كالسكران من النُعاس.

(٢) نشوان: سكران.

(٣) المِذْعان: المذلّلة المطاوعة.

(٤) الفنا: عنب الثعلب، وقيل: هو نبت يشبهه.

(٥) انظر امرؤ القيس حياته وشعره: ١٠٠.

مع الكتب

اللباب في علل البناء والإعراب

للعُكْبَري

د. علاء الدين محمد علي حمويّه

قسم اللغة العربية- جامعة آل البيت

أخرجه المحققان الفاضلان الدكتور غازي طليمات والدكتور عبد الإله نبهان عن نسختين، أولاهما نسخة مكتبة الأحقاف، رمزها في المطبوع(ح)، وثانيتهما نسخة مكتبة الأزهر، رمزها في المطبوع(م).

والكتاب من مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، أصدرته دار الفكر المعاصر- بيروت ودار الفكر- دمشق-ط١-١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

قال الدكتور غازي طليمات في مقدمته: " ويبدو أن في المغرب العربي والعراق نسختين أُخْرَيين أعيانا الوصول إليهما بعد سعي أخطأه النُجحُ ، وأن أولاهما في جامع القرويين، والثانية في جامعة البصرة، ومما شجعنا على الرضى عمّا لدينا والاكتفاء به جودة نسختي الأحقاف والأزهر وقِدَمُهما" (المقدمة ص: ٢٤).

وأمّا منهج المحققين في عملهما فقد بسطه الدكتور غازي في ذيل مقدمته، فقال: " بعد أن أنجزت مع أخي الدكتور عبد الإله نبهان تحقيق الجزأين الأول والثاني من الأشباه والنظائر في النحو سنة ١٩٨٠م، وجدنا الاشتراك في التحقيق أعْوَدَ بالفائدة على الأثر من أن يحتجنه محقق واحد، فوقع اختيارنا على كتاب (اللباب في علل البناء والإعراب) لأبي البقاء العكبري، وجعلناه شركة، نحققه معاً على هدي من تجربتنا السابقة. أخذت الجزء الأول الخاص بالنحو، واستقل الدكتور عبد الإله بالجزء الثاني الخاص بالصرف .... نسختُ في بداية العمل مخطوطتي الكتاب، فلم أجعل إحداهما أصلاً للأخرى، لأنهما سواء في النفاسة. ثم رُحت أتعقب النصوص

التي نقلها العكبري من كتب المتقدمين، ليقيم منها ومن علله متن اللباب. فرددتُ ما استطعت ردّه منها إلى منابته وأصوله، وحرصت في أثناء هذا الردّ على أن أتقرّى عن نصوص كثيرة منها في كتاب المرتجل لشيخه ابن الخشاب. وأكملت في الحواشي المبتور والمختزل بما يتمه أو يوضحه من المرتجل.

ولما كان العكبري في لبابه معنياً بالعلل زاهداً في القواعد والأمثلة فقد وجدتُني مضطراً إلى توضيح الغوامض، فشفعت القاعدة بالمثل، وقبست من أمثلة النحاة أقباساً أضأتُ بها الأحكام، وأثبتُّها في الحواشي معزوّة إلى مصادرها. ثم صنعت للكتاب أربعة عشر فهرساً، تعين القارئ على الظفر بطلبته، وتريحه من التنقير عمّا ينشد" (المقدمة ص: ٣٦-٣٧).

ولا ريب أن المحققين الفاضلين بذلا غاية جهدهما للوفاء بهذا الذي أخذا به نفسيهما . وكان حظهما من التوفيق كبيراً، فجاء عملهما عملاً مرضياً في جملته، أعانهما على ذلك معرفة واسعة بمصادر هذا العلم. ومع ذلك رأيت وأنا أقرأ هذا السفر الجليل مواضيع تحتاج إلى تصويب، وأخرى تحتاج إلى إكمال، وثالثة تحتاج إلى فضل لنظر. ووجدتُ في بعض ما علّق به المحققان الفاضلان على مواضيع من الكتاب سهوات وهنات فارتأريت ألاّ أترك ذلك ليرى فيه أهل هذا العلم رأيهم. فكان ما انتهيت إليه في هذا المقال. وقد ألحقت به ثبتاً بما رأيته في الكتاب من خطأ مطبعي أو مما غلب على ظني أنه كذلك.

وأعانني في توضيح ما وقفت عليه العودة إلى كتب النحو والصرف واللغة راجياً أن أكون وفقت لتقويم المواضيع التي وقفت عليها إنصافاً لأبي البقاء وخدمة لهذا السفر الجليل.

الجزء الأول:

١- جـــاء فـــي ص ٤٤س الأخير ما نصه: "..... ولم يُسَمَّ عملاً لأنَّ الفعـــل أعمّ من العمل، وكان يقع على كل حركة وعزم..." الأشبه "... إذ كان".

٢- جاء في ص ٤٩ س٧ ما نصه: " وإنما اختصت (السين) بالفعل لأن معـــناها جـــواب (لن يفعل)[٦] ....." قال المحقق في حاشيته رقـــم (٦): " وجـــاء في كتاب سيبويه ٢١٧/٤: " والسين التي في قولـــك (ســـيفعل) زعم الخليل أنها جواب (لن يفعل) " ويبدو أن الجـــواب فـــي كلام العكبري ههنا وفي كلام الخليل قسيم النفي لا قسيم السؤال". وهذا ما قاله المحقق، والحق أن (لن) لا معنى لها إلاّ فـــي المســـتقبل فكان جوابها في المستقبل أيضاً. فالجواب في كـــلام الخلـــيل والعكبري ليس قسيماً للنفي. بل الجواب لا يكون قسيماً للنفي مطلقاً.

٣- جاء في ص ٦٥س ٩ ما نصه: " ولم يدخل الجزم الأسماء لستة أوجـــهٍ: أحدهـــا ... والثانـــي... والثالث..." وبعد الثالث جاء في ص ٦٦: " بـــاب البـــناء " والحـــق أن هـــناك خلـــلاً في ترتيب الصـــفحات، وأن اســـتقامته علـــى النحو الآتي: ص ٦٦ حقها أن تكون ص ٦٨، وص٦٧ حقها أن تكون ص٧٠، وص٦٨ حقها أن تكـــون ص٦٦ إذ في هذه الصفحة جاءت بقية الأوجه الستة التي ذُكر منها ثلاثة في ص٦٥، وص٦٩حقها أن تكون ص ٦٧، وص ٧٠ حقها أن تكون ص٦٩. وبذلك يلتئم النص.

٤- جاء في ص ٧٤س٣ في حديثه عن سبب زيادة التنوين في الاسم المنصـــرف ما نصه "...لأن حروف المدّ تعددت زيادتها لما فيها من الثقل.." الظاهر أن قوله: " الثقل" تصحيف، وأن الصـــــواب " الـــنقل". يؤيد هذا ما نقله المحقق في حاشيته رقم[١] من كلام ابن

الأنـــباري في (أسرار العربية) ص٣٥-٣٦ ونصه:" ألا ترى أنهم لــو جعلوا الواو علامة للصرف لانقلبت ياءً في الجر لانكسار ما قبلها وكذلك حكم الياء والألف في الاعتلال والانتقال من حال إلى حـــال، وكان التنوين أولى من غيره، لأنه خفيف يضارع حروف العلة...".

٥- جـــاء في ص٨٠ اس٦ ما نصه: " وإنما سميت (حروف العلة)، لأن العلـــة هي المعنى المغيّر للشيء..." الظاهر أن قوله : " هي " تحريف، وأن الصواب "في" .

٦- جـــاء فـــي ص ٨٥س٦ في سبب عدم ظهور الحركة في الألف الليـــنة ما نصه: " .... والحركة تمنع الحرف من الجري، وتقطعه عـــن اســـتطاعته ..." الظاهر أن قوله : "استطاعته" تحريف، وأن صوابه: " استطالته ".

٧- جـــاء في ص٨٦س٢ في كلامه عن ألف (حبلى وبشرى) وعلة عـــدم تحريكها ما نصه: "... ولكن لما وقعت خبراً جعلت حرف إعراب..." الظاهر أن قوله: "خبراً" تحريف، وأن الصـــــــواب " آخِراً "؛ لأن الألف حرف إعراب في الخبر وغيره.

٨- جـــاء في ص٨٧س١ في آخر حديثه عن الاسم المعتل ما نصه: "فصـــل: والياء المشدّدة ياءان، الأولى منها ساكنة، فيصير كظَبْيٍ ولَحْيٍ" الظاهر أن قوله: " منها " تحريف، وأن الصواب "منهما ". وهذه العبارة تبدو قلقة في هذا الموضع، والذي أميل إليه أن حقها أن تكـــون في آخر السطر الثالث من ص٩٥ حيث تحدَّث المؤلف عن سبب مجيء (أب وأخ وحم وهن) مضافةً إلى ياء المتكلم بياء ســـاكنة مخففة فقال ما نصه: "... والثاني أن المضاف هنا مبني (كـــذا) وهـــذه الحـــروف دوالٌ على الإعراب، وقائمة مقامه فلم يجتمعا. وأمّا (فيّ) فَرُدّ فيه المحذوف لئلا يبقى على حرف واحد، وكان يشبه حرف الجر. (والياء المشدَّدة ياءان الأولى منهما ساكنة فيصير كظَبْيٍ ولَحْيٍ) ".

٩- جـاء فـي ص ٩٩س٤ في كلامه عن مجاز التثنية ما نصه: " ومـنه ذكر المثنى بلفظ الجمع كقولك" (ضُرِبَت رؤوسهما)، لأن التثنـية في الحقيقة جمع. وقد أُمِنَ اللبسُ ههنا، إذ ليس للواحد إلاّ رأس واحد، ويجوز (رأساهما)[٢] على القياس." [٣] قال المحقق في الحاشـية[٢]: "فـي (م) و(ح): رأسيهما." وفي الحاشية[٣]: "سقط السـطر السـابق كلـه من (م)." وفيما سلف أمران : الأول: أن الصـواب مـا ورد في الأصلين (م) و(ح)، وكان حقّ العبارة أن تضـبط كما يأتي: " ضَرَبْتُ رؤوسَهما... ويجوز (رأسيهما) على القـياس ". والثانـي: أن المحقـق ذكر في الحاشية[٣] أن السطر السـابق كلـه سـقط من (م) فكيف قال في الحاشية[٢]: "في (م) و(ح): رأسيهما)؟!

١٠- جاء في ص ١١٣ س٩ في سياق تعليله لتثنية (قالتا) وجمع (طائعين) في قوله تعالى (قالتا أتينا طائعين) ما نصه: "... والثاني أن المراد (أتينا ومن فيها طائعين) وغلّب المذكر. "الأظهر" ... ومن فينا...".

١١- جـاء فـي ص١١٧س ٧ في معرض تعليله لحمل المنصوب فيما جمـع بـألف وتـاء مزيدتين على الجر ذكر وجهين، وذكر في أولهمـا أنـه مـن بـاب حمل الفرع على الأصل .... ما نصه: "والوجـه الثانـي أن المؤنث بالتاء في الواحد تقلب تاؤه هاءً في الوقـوف، ولا يمكن ذلك في الجمع. فكما غُيِّر في الواحد غُيِّر في الجمـع، فحمل النصب على غيره، إذ كان تغييرا، والتغيير يؤنس بالتغيير"[٤].

قال المحقق في حاشيته رقم(٤): " الوجه الثاني دون الأول، إذ يمكـن الاعـتراض عليه فيقال: إن التغيير - وإن يؤنس بالتغيير - لا يقـوم حجّـة ههـنا، لأن قلب تاء الواحد هاء في الوقف يعني إظهـار حركة ما قبل الهاء، وهي الفتحة في كل حال. تقول: هذه شـجرَهْ، وغرسـت شجرَهْ، ومررتُ بشجرَهْ، فكأنك حملت الرفع والجر على النصب، ولم تحمل النصب على الجر..."!! واضح أنّ بين ما أراده المؤلف وما قاله المحقق بوناً شاسعاً.

١٢- جاء في الصفحة نفسها س الأخير في ردّه على ما ذهب إليه الأخفش من أنّ الكسرة في جمع المؤنث في حالة النصب بناء ما نصه: "... ولو صح ما قاله لكان فتح المجرور فيما لا ينصرف والتثنية والجمع في النصب بناء" كذا جاءت العبارة، والظاهر أن فيها سقطاً، وأن تكملتها " ... فيما لا ينصرف و(ياء) التثنية والجمع..."

١٣- جاء في ص ١١٩ س٤ في ذكره أن حذف أُولَى تائَيْ (مسلمات) ونحوه أولَى ما نصه: " أحدهما: أن التثنية تدل على التأنيث والجمع مع الألف، فلو حُذفت لبطلت دلالة الجمع" الظاهر أن قوله: " التثنية " تحريف، وأن الصواب " الثانية ".

١٤- جاء في ص ١٢٥ آخر الحاشية رقم (٢) ما نصه: " وقد ذُكر هذا المثل في ص٤٣من هذا الكتاب مع الشاهد الثالث" والواقع أن المثل ذُكر في ص٤٨ مع الشاهد الأول.

١٥- جاء في الصفحة نفسها س ٤ في سياق ذكره لتجرد المبتدأ من العوامل اللفظية ما نصهح: " ... لأن العامل اللفظي إذا تقدّم عليه عمل فيه ينسب(٤) إليه..." قال المحقق في حاشية (٤): "كذا في م و ح، ولعل أصل العبارة: " ونسب إليه العمل." الأولى من هذا تقرير سقوط الواو فقط " ... عمل فيه، (و) ينسب إليه...".

١٦- جاء في ص ١٢٨س٨-٩ في أثناء ردّه لقول أبي علي: إن المبتدأ هو العامل في الخبر ما نصه: "... والثاني أن المبتدأ لو عمل في الخبر لم يبطل بدخول العامل اللفظي، لأنه لفظي أيضاً. ومن مذهبه أن العامل اللفظي(٥) لا يعمل في المبتدأ والخبر" قال المحقق في الحاشية رقم (٥): "سقطت (لا) من (ح). " الظاهر أن صواب العبارة يكون بتقدير سقط، وحذف (لا): "...لم يبطل (عمله) بدخول العامل... ومن مذهبه أن العامل اللفظي يعمل في المبتدأ والخبر" . فالمراد أن من مذهب أبي علي عمل العامل

اللفظـــي نحو (إنّ) و (كان) و (ظن) وأخواتهن في المبتدأ والخبر. ينظر التبيين عن مذاهب النحويين ص٢٣٢.

١٧- جاء في الصفحة نفسها س الأخير في السياق السابق ما نصه: " والقـــول الثالث أن الابتداء والمبتدأ جمعياً يعملان في الخبر . وقد بيّنا أن المبتدأ لا يصلح للعمل، فلا يصلح له مع غيره. وأما العامل فـــي الشرط والجزاء فسنبينه في موضعه" فقوله: " وأما العامل في الشـــرط... فـــي موضعه" يشعر بسقط، أكملته من التبيين ص٢٣١: "جمعـــياً يعمـــلان فـــي الخبر(كما أنّ (إنْ) الشرطية تعمل في فعل الشرط، ثم يعملان في الجزاء) وقد بيّنا أن المبتدأ...".

١٨- جـــاء في ص١٣٣ س٣ من تحت ما نصه: "... أحدهما أنّ (أنّ) المفـــتوحة تكـــون في موضع المبتدأ في كل موضع لا يصح فيه[٧] دخول (إنّ) المكسورة عليها..." قال المحقق في الحاشية(٧): " أضـــفنا (فـــيه) لإقامة العبارة" !! وعبارة المؤلف في التبيين هي: "وإنمـــا امتـــنع كون المفتوحة مبتدأ في موضع يصح دخول (إنّ) المكسورة عليها..." التبيين ص٢٤٣.

١٩- جـــاء فـــي ص١٣٦ س٦ مـــا نصه:"... ومررت بقوم عرب أجمعون، أي تعربوا كلهم[٣] أجمعون" قال المحقق في الحاشية (٣): "في ح: ومررت بقوم عرب كلهم أجمعون أي تعرّبوا كلهم أجمعون" الظاهر أن ما في (ح) هو الصواب، ليصح النسق.

٢٠- جـــاء فـــي ص ١٣٩س٨-٩ في كلامه عن حذف الضمير العائد من الجملة إلى المبتدأ ما نصه: " ... وكقوله تعالى: (ولمن صـــبر وغفـــر إن ذلك لمن عزم الأمور)[٧] أي إن ذلك منه" قال المحقـــق فـــي الحاشـــية(٧): " ... ولم يوجد العائد في الآية فكان مـــراداً تقديـــراً، وإنما حُذف لقوة الدلالة عليه، والمعنى: إن ذلك الصـــبر مـــنه، أي الصابر" (كذا) والأولى اعتبار اسم الاشارة هو الرابط. ويُنظر البحر المحيط٧/٥٢٣.

٢١- جاء في ص ١٤٦-١٤٧حصل خلط من الطابع بين الحاشية رقم (٣) من ص ١٤٦ والحاشية رقم (١) من ص١٤٧.

٢٢- جاء في ص ١٤٧س٥ بعد تحليله لقولهم: (أما زيد فمنطلق) مـــا نصـــه:" ولا تدخل الفاء على الخبر في غير ذلك إلاَّ في خبر (الـــذي) إذا وصل بفعل أو ظرف فيه ما يؤذن بأن[٤] ما في الخبر مســتحق الصلة" قال المحقق في الحاشية(٤): "العبارة في م و ح: فـــيه يؤذن. ولعل الصواب: فيه ما يؤذن، على النحو الذي أثبتناه." الأظهر: "... أو ظرف، فيؤذن بأنّ ما في الخبر مستحقٌ للصلة"

٢٣- جاء في ص١٦٠ س٣-٤ ما نصه"... وبقراءة عاصـــــــم (وكذلـــك نجي المؤمنين)[٥] أي: نجي النجاء..." واكتفى المحقق في الحاشية رقم (٥) بالترجمة لعاصم. وكان الأولى أن يشير إلى أن هـــذا الحرف هو برواية أبي بكر بن عياش عنه، وبه قرأ ابن عامـــر وأمـــا روايـــة حفـــص عنه فهي (نُنجِي) وكذلك قرأ باقي العشـــرة. قـــال المصنف في التبيين: " أما السماع فقوله تعالى[٢] (كذلـــك نُجّي المؤمنين) قراءة حفص عن عاصم بتشديد الجيم، فلا وجه له إلاّ نُجّي النجاء." التبيين ص ٢٧١. قوله : " قراءة حفص عـــن عاصـــم..." وهـــم، والصواب كما ذُكِر قراءة أبي بكر عن عاصـــم (ينظر النشر ٣٢٤/٢ والبحر المحيط٤٦٢/٧) ولم يُخرِّج محقق التبيين القراءة أيضاً مكتفياً بالترجمة لحفص وعاصم.

٢٤- جـــاء فـــي ص ١٦٢ س٢-١ من تحت في حديثه عن عدم جـــواز إقامة الحال مقام الفاعل ما نصه: " ... والرابع أن الحال كالصـــفة فـــي المعـــنى، لأنها هي صاحب الحال، وإنما يقام مقام الفاعل غيره." العبارة غير واضحة، ولم أنته فيها إلى شيء.

٢٥- جـــاء في ص ١٦٧ س ٤ من تحت ما نصه: " وإنما جاز تقديـــم أخـــبارها على أسمائها لتصرفها. فأما تقديم خبر (مازال)

وأخواتها عليها فمنعه البصريون" كذا جاءت العبارة، ولا نسجامها مـــع ما بعدها في الفصل الذي هي اوله لا بدّ من تكملة: "...تقديم أخبارها(عليها) وعلى أسمائها...".

٢٦- جـــاء فـــي ص ١٧٥س٢ ما نصه:" القياس ألا تعمل (ما) لأنهـــا غير مختصة[1] " قال المحقق في الحاشية(١) :" هذا القول معـــزو إلـــى الكوفيين في الإنصاف ١/١٦٥". والحق أن قولهم:" الأصـــل فـــي الحـــروف ألاّ يعمل منها إلاّ ما كان مختصاً" أصل مستنبط من كلام العرب، وهو ممّا أطبق عليه أئمة المِصْرَيْن.

٢٧- جـــاء في ص١٧٧س٩ وما بعده ما نصه :" فصل: ويبطل عملهـــا بـــتقديم معمـــول الخبر كقولك: ما طعامَكَ زيدٌ آكل، لأن معمـــول الخبر لا يقع إلا حيث يقع العامل، فتقديمه كتقديم العامل ولـــو تقـــدّم العـــامل لكان مرفوعاً، فكذلك إذا تقدّم معموله. وكل موضـــع لا ينتَصب فيه خبر (ما) لا تدخل عليه الباء كما لا يدخل علـــى خبر المبتدأ. فأن قلت: طعامَك ما زيدٌ آكلاً لم يجز، نصبت الخـــبر أو رفعته، لأن (ما) لها صدر الكلام..." الظاهر أن قوله:" وكل موضع لا ينتصب فيه خبر(ما) لا تدخل عليه الباء كما يدخل علـــى خبر المبتدأ ". مقحم في هذا السياق. وظني كل ظني أن ثَمَّ فصـــلاً ساقطاً تحدَّث فيه المؤلف عن دخول الباء في خبر(ما) تقع فيه العبارة السالفة الذكر.

٢٨- جـــاء فـــي ص١٧٩ س١ بعـــد ذكـــره بيـــت الكـــتاب المشـــهور(...فأنا ابن قيس لا براح) ما نصه:" أي:لا لي براح..." كذا جاءت العبارة، والصواب : " لا براح لي..." ؛ لأن خبرها لا يتقدم على اسمها مع بقاء عملها، كما لا يتقدم خبر(ما) على اسمها مـــع بقـــاء عملها.بل الأمر مع(لا) أشدّ؛ لأنها فرع في العمل على (ما).

٢٩- جاء في ص ١٨٤س٨ عند حديثه عن إضمار فاعل (نعم وبئس) ما نصه: " ....ولم يظهر فيه ضمير التثنية والجمع استغناء بصيغة الاسم المميز للضمير إذ هو في المعنى." الظاهر أن قوله: " إذ هو في المعنى" لا معنى له، وأن استقامته تكون بتقدير التكملة الآتية: "... للضمير، إذ هو (هو) في المعنى."

٣٠- جـاء في الصفحة نفسها س الأخير ضمن السياق السابق ما نصـه: "... والاختيار أن يجمع بين الفاعل والتمييز، لأن التمييز ههـنا مفسر للمضمر، ولا مضمر." والمشهور في كتب النحاة أن الاختـيار عـدم الجمـع بين الفاعل والتمييز، فالصواب بالتكملة الآتية:"... والاختيار أن (لا) يجمع بين...".

٣١- جاء في ص١٩٦ في أثناء حديثه عن (ما) التي للتعجب ما نصـه:" وإنما عُدِل عن (شيء) إلى (ما)، لأن (ما) أشدّ إبهاماً، إذ كانـت لا تثـنى ولا تجمـع ولا تقـع للتحقـير، ولأنها يؤكد بها إبهـام(شـيء) فـيقال: ما أخذت منه شيئاً ما. فإنها تثنّي وتجمع، وتُذكَرُ للتحقير، كقولك: عندي شُيىءٌ، أي حقير."

كـذا جـاءت العـبارة، والظاهـر أن قوله:" ...شيئاً ما. فإنها تثنى..." فيه سقط، لأن المؤلف يتكلم عن (ما)، و(ما) لا تثنى ولا تجمـع، وتكلمـة العـبارة: " ... شيئاً ما. (فأمّا شيء)فإنها تثنّى وتجمع...".

٣٢- جـاء فـي الصـفحة نفسها بعد النقل السابق ما نصه: " ولم يسـتعملوا في التعجب(مَنْ) بمن يعقل، ولا (أيّاً) لأنها كشيء فيما ذكـرنا" الظاهـر أن قوله " (مَنْ) بمن يعقل " سقط منه، وأن تمام السـياق يكون بالتكملة الآتية: " ...(مَنْ) (لأنها مخصوصة) بمن يعقل...".

٣٣- جـاء في ص٢٠٢س٨ في كلامه عن صيغة(ما أفعله) ما نصـه: " ...ولا يجوز أن يكون المفعول هنا نكرة غير موصوفة كقولك: ما أحسن زيداً ! لأنه غير مفيد..." الظاهر أن قوله " زيداً" تصـحيف، وأن الصـواب (زنداً) أو (يداً) ؛ لأن (زيداً) معرفة لا نكرة، فيها يفوت الاستشهاد بالمثال.

٣٤- جـاء فـي ص٢٠٤س٣ في ذكره لزيادة (كان) في صيغة التعجـب ما نصه: "... ولا فاعل لها عند أبي علي، وإنما دخلت تدل على المضي" الظاهر أن قوله: " تدل" تحريف، وأن الصواب " لتدل ".

٣٥- جـاء في الصفحة نفسها س٥ في السياق السالف ما نصه: "... لكانـت هـي خبر (ما) لا يكون هنا إلاّ (أفعل)." الظاهر أن قوله: " ...(ما) لا يكون " مضطرب، وأن الصواب يكون بالتكملة الآتية "...(ما)، (و) لا يكون...".

٣٦- جـاء فـي ص٢٠٦ س٨ في حديثه عن أصل(لكنّ) أمفردة هـي أم مركـبة ودفعـه القول بتركيبها ما نصه: " ... ثم إن فيه أمريـن آخرين يزيدانه بُعداً، وهما زيادة الكاف في وسط الكلمة، (وحـذف الهمزة) (٣) وحذف الهمزة في مثل هذا يحتاج إلى دليل قطعـي." قـال المحقق في الحاشية رقم (٣) :" ما بين المعقوفتين زيـادة علـى الأصل. والكاف، وهو قول حسنٌ لندرة البناء وعدم النظـير، ويؤيده دخول (اللام) في خبر (أنّ) على مذهبهم، ومنه: ولكننـي من حبّها لعميد" (كذا). الظاهر أن ما بين معقوفتين مقحم في النص، وأن الصواب حذفه.

٣٧- جـاء في ص٢١٠س ٦ ضمن كلامه على جواز تقديم شبه الجملـة إذا كانت متعلقة بالخبر المحذوف على اسم(إنّ) وأخواتها ما نصه: "... أن الظرف متعلق بالخبر لاشتماله عليه فهو كاللازم

للجملــة، فساغ تقديمه لذلك، ولهذا ساغ الفصل بالظرف بين (إنّ) واســمها به أيضاً..." الظاهر أن قوله: " بالظرف" و"به" معاً مخل بالعبارة، وأن الصواب حذف أحدهما.

٣٨- جــاء في ص٢١١س٩ في أثناء حديثه عن العامل في خبر (إنّ) وأخواتهــا ما نصه:"... واحتجوا أيضاً بقول العرب: إن بك تكفَّــل زيداً، فجعل الفعل في اسمها، ولو كانت الفاعلة[٣] في الخبر لــم تكــن كذلــك." قــال المحقق في الحاشية (٣): " في الأصل: الفاصــلة. واللفــظ لا يؤدي المعنى، وخيل إلينا أنها مصحفة عن الفاعلــة." والأوّلى اعتبارها محرفة عن (العاملة)؛ لأن هذا اللفظ هو الشائع عند أهل هذا العلم، وهو الذي يستخدمه المؤلف في هذا الكتاب. ولم أقف على موضع واحد له استخدم فيه لفظ (الفاعلة).

٣٩- جــاء فــي ص٢٢٠س٣ في تخريجه لبيت بن يزيد الحكم الثقفي:

فليتَ كفافاً كان خيُرك كلّه وشرُّك عنّي ما ارتوى الماءَ مرتوي

مــا نصــه: " ... و(كفافاً) خبر(كان)، (خيرك) اسمها..." الظاهر أن العــبارة فــيها ســقط، وأن تكملــتها "... خــبر (كان)، (و) (خيرك) اسمها...". والبيت من شواهد المصنف في التبيين أيضاً برواية: " أليت كفافاً..." ص٣٣٩.

٤٠- جــاء في ص ٢٢٢س٣ من تحت في تخريجه لضبط (ظبية) بالــرفع والنصــب والجــر فــي البيــت المشهور "... كأن ظبية تعطــو..." مــا نصه: " فيروى بالرفع مع الإلغاء، والتقدير: كأنها ظبية..." الظاهر أن قوله: " مع الإلغاء " سهو، وأن الصواب " مع الإعمال ".

٤١- جاء في ص٢٢٩ س٥ ما نصه: "... والبناء لا يحصل بعامل، لأن العامل غير المعمول، والبناء شبه التركيب، وجزءا المركب شيء واحد " الظاهر أن قوله: " شبه " تحريف، وأن الصواب " لشبه " وتنظر المسألة في التبيين ص ٣٦٢ وما بعدها.

٤٢- جاء في ص ٢٣٢ س٥ ما نصه: " فصل: والمشابه للمضاف من أجل طوله ما(٢)كان عاملاً فيما بعده، وكان ما بعده من تمام معناه " قال المحقق في الحاشية (٢) ما نصه: " (ما) هنا زائدة، لأن الشبيه بالمضاف يعمل فيما بعده، فلا موضع للنفي في العبارة " والظاهر أن (ما) في هذا السياق موصولة، وهي خبر (المشابه).

٤٣- جاء في ص٢٣٥ س٣ من تحت في حديثه عن الوجوه الجائزة في وصف اسم (لا) قبل الخبر ما نصه: " ولما جرتا مجرى الشيء الواحد بنوهما قبل دخول (لا) كما بُني (خمسةَ عشرَ)، وكما بنوا (ابن أم) و(زيدَ بنَ عمرو) فيمن فتح الدال، ثم أدخلوا عليه حرف النداء(٧)، دخلت (لا) (٨) على اسم مركب مبني" قال المحقق في الحاشية (٧): " في م: حرف النفي" وفي الحاشية (٨):" في م: فدخلت على اسم" الظاهر أن ما في (م) هو الصواب، فلا معنى لحرف النداء هنا، والعبارة بدون الفاء منقطعة، والضمير في الفعل (فدخلت) يرجع إلى (لا) المذكورة آنفاً، فلا حاجة لذكرها.

٤٤- جاء في ص ٢٣٩ س١ ضمن كلامه عن الوجوه الجائزة إذا تكررت (لا) مع المعطوف ما نصه: " والخامس أن ترفع الأولى على ما ذكرنا، وتبني على أصل البناء" قوله: " تبنى على.." لا يمكن أن يكون للأولى؛ إذ كيف ترفع وتبنى في آن واحد. والصواب أن العبارة سقط منها، وأن تكملتها: " وتبنى (الثانية) على أصل البناء."

٤٥- جـاء فـي ص٢٤٠ س٨ فـي حديثه عن دخول (لا) على المعـرفة مـا نصـه: " ... لأنـه جواب من قال: أزيدٌ في الدار أم[٢] عمـرو؟ فلـو قلـت: لا، مقتصراً عليها لم يطابق الجواب السـؤال..." قال المحقق في الحاشية (٢): " في م: وعمرو، وفي ح: أو عمـرو، والصـواب: أم عمرو كما أثبتنا..." الظاهر أن ما في (ح) صواب محض، فلا حاجة لتغييره؛ لأن الهمزة في المثال ليست للتسوية.

٤٦- جـاء فـي ص٢٤٢س٤ فـي ذكره لغات(لا أبا لك) ما نصه :" واللغـة الثالـثة (لا أبـا لك) بحذف اللام..." الظاهر أن قوله: "لا أبا لك " سهو، وأن الصواب :" لا أباك "؛ لقوله: " بحذف اللام ".

٤٧- جـاء في ص ٢٤٦س٦ في تخريجه لقولهم: " لا خيرَ بخير بعده النار، ولا شرَّ بشرٍ بعده الجنة " ما نصه: " أحدهما أن قوله: (بخـير) خـبر (لا)، و(بعـده) صفة الخبر، والباء بمعنى (في). والثانـي أن (بعـده) صفة اسم (لا) و (بخير) خبره مقدَّم، والباء زائـدة. والـتقدير: لاخيرَ بعدَه النارُ خيرٌ."، الظاهر أن (بعده) في الوجـه الأول مـتعلق بمحذوف خبر مقدَّم، و(النار) مبتدأ مؤخر، فالعـبارة اذاً تحتاج إلى تكملة "... خبر (لا)، و(بعده [النار]) صفة الخبر..." فجملة (بعده النارُ) هي صفة الخبر المحذوف، الذي هو مـتعلِّق الجار والمجرور (بخير). والظاهر أيضاً أن قوله: "خبره" فـي الوجـه الثانـي تحـريف، وأن الصواب " خَبَرٌ ". وقوله: " والـتقدير: لا خيرَ بعدَه النارُ خيرٌ" دليل على أن (النار) مبتدأ في الوجهين.

٤٨- جـاء في ص٢٤٩س ٢-١ من تحت وص٢٥٠ في حديثه عـن إعمـال وإلغـاء أفعال الظن ما نصه: " وإذا توسطت بين المفعوليـن جـاز الإعمـال والإلغـاء. وإنماء كان كذلك، لأنها ضعيفة... وقد ازدادت ضعفاً بالتأخير. ألا ترى أن الفعل الذي لا

يلغـــى إذا تأخّـــر حســـن دخـــول اللام على مفعوله كقولك:(لَزيدٌ ضربت)، ولا يحسن (ضربت لَزيدٌ) ..." الظاهر أن ضبط (لَزيدٌ) فـــي الموضعين بفتح اللام والرفع وهمٌ، وأن الصواب أن يضبط فـــيهما (لِـــزيد) بكسر اللام والجر، لأن هذه اللام هي لام التقوية، وليســـت بلام الابتداء. وهي كذلك لأن المؤلف قال: " دخول اللام علـــى مفعولــــه " ولام الابتداء لا تدخل على المفعول ألبتة. فهي كـــاللام فـــي قوله تعالى (لِلرؤيا تعبرون) (يوسف:٤٣). يُنظر البحر ٦/ ٢٨١.

٤٩- جاء في ص٢٥٠ س٣-٤ من تحت ضمن السياق السابق ما نصـــه: " وازداد الفعـــل ضعفاً بالتأخير بخلاف ما إذا توسّط، لأن نســـبته إلـــى الرتبة الأولى كنسبته (إلى) الرتبة الثالثة. وإذا تأخّر صار بينه وبين الرتبة الأولى مرتبة وسطى" اللفظ في هذه العبارة لا يـــؤدي المعـــنى المطلـــوب؛ إذ لو كانت نسبة الفعل إلى الرتبة الأولـــى كنســـبته إلـــى الرتـــبة الثالثة لكان حقّه الإعمال متأخراً، فالمعنى المراد يحتاج إلى تكملة : " ... إلى الرتبة الأولى (ليست) كنسبته...".

٥٠- جـــاء في ص٢٥٦ س٥ في حديثه عن الأفعال المتعدية إلى ثلاثـــة مفاعـــيل بالهمـــزة مـــا نصه: "... إذ لا يتصوّر أن يوجد الإســـناد(٢) لأكثر من واحد حتى يصير بذلك فاعلاً" قال المحقق فـــي الحاشية (٢) : " العبارة في الأصل: يوجب الإنسان، فخيل إليـــنا أنها مصحفة عن (يوجد الإسناد). ومعناها على الوجه الذي أثبتـــناه: أن الفعـــل (علمت) لا يسند إلى فاعلين، ولو أُسند لتحول الفـــاعلان في(علمت) إلى مفعولين في (أعلمت) وبذلك يتعدّى إلى أربعـــة. وهو أمر غير متصوّر" [كذا]، والظاهر أن ما في الأصل صواب محض، وذلك لقول المصنف في س١ من الصفحة نفسها: " وقد توجب هذا الفعل لغيرك فتصير فاعلاً في المعنى، لما تحدثه له...".

٥١- جـاء في الصفحة نفسها س٣-٢ من تحت في تحديثه عن (نـبأت) و(أنـبأت) مـا نصـه " فالحكم بزيادة الحروف في تلك المواضيع لا يجوز. فأما حرف الجر فأسوغ من الحكم بزيادته..." الظاهر أن السياق يشعر بسقط، وأن تكملته"..فأما [الحكم بحذف] حرف الجر...".

٥٢- جـاء فـي ص٢٥٩س٩ مـا نصه:" ولا يجوز إلغاء هذه الأفعـال بتعليقها عن العمل، ولا بتوسطها وتأخرها، لأن المفعول الأول فيها فاعل في المعنى، وليس بمبتدأ في الأصل. فعلى هذا لا تقـول: (أعلمـت[1] لـزيدٌ عمروٌ ذاهبٌ)، لأنك إن جعلت(ذاهباً) لـ (عمـرو) لم يعد على زيد ضمير، وكذلك إن جعلته لزيد..." قـال المحقق في الحاشية(١): " في م وح: أعلمته. ويخيل إلينا أن إسـقاط الهـاء أقـرب إلـى الصواب، إذ لو بقيت لاجتمع أربعة مفاعيل: الهاء، وزيد، وعمرو، وذاهب. والأصل قبل دخول اللام: أعلمـت زيـداً عمـراً ذاهباً" والظاهر أن اللام في قوله: " لزيد" مقحمـة، وأنّ ما في الأصلين صواب محض، وأن صحة المثال: "أعلمـته زيـدٌ عمروٌ ذاهبٌ "، فتكون الهاء المفعول الأول، وهي ضـمير الشـأن، علّقت الفعل عن العمل في اللفظ، وتكون جملة (عمـروٌ ذاهب) خبر (زيد)، وجملة (زيدٌ عمروٌ ذاهب) في محل نصب سدت مسدّ المفعولين الثاني والثالث. يُنظر ما قاله المصنف ص٢٤٨. ومع التذكير بأن المثال مرفوض- كما ذكر المصنف- لأن هذه الأفعال لا تعلّق.

٥٣- جـاء فـي ص٢٦٣س١٠-١١فـي ذكـره لقيام الآلة مقام المصـدر ما نصه: " ... والثاني أن في قولك(سوطاً) دلالة على المـرة الواحـدة. ألا ترى أنك تقول: ضربته أسواطاً، ولو كانت الـباء مراده لم تدل[6]على ذلك" قال المحقق في الحاشية(٦): " في م: يـدل." الظاهر أن قوله: " تدل" تصحيف، وأن الصواب " يدل" كما في (م).

٥٤- جاء في ص٢٦٤س١٠-١١في كلامه عن تثنية المصدر وجمعه ما نصه: " فإذا وجدت فيه(٣) أعداد احتيج إلى ما يدل عليها" قال المحقق في الحاشية(٣): " في م: منه". الظاهر أن قوله "فيه" تحريف، وأن الصواب (منه) كما في (م).

٥٥- جاء في ص٢٦٨س٢ من تحت ضمن حديثه عن الفعل المتعدي بنفسه وتخريجه لقوله تعالى: (هل يسمعونكم إذ تدعون) ما نصه: ففيه قولان: أحدهما أن التقدير: هل يسمعون دعاءكم، كما قال في الأخرى: (لا يسمعوا دعاءكم).والآخر أن المفعول الثاني محذوف أي: يسمعونكم إذ تدعون" الظاهر أن قوله: "يسمعونكم إذ تدعون " تقدير ناقص لعدم ذكر المفعول الثاني، وأن العبارة تستقيم بتقديره: " ... أي يسمعونكم [الجواب] إذ تدعون". فبهذه التكملة أو بمثلها تصح العبارة. (يُنظر البحر ١٦٣/٨).

٥٦- جاء في ص٢٧٢س١ وما بعده ما نصه: " وإنما عمل الفعل في جميع أسماء الزمان، لأن صيغة الفعل تدل عليه كما تدل على المصدر، إلا أن دلالتها على الزمان من جهة حركاته وعلى المصدر من جهة حروفه، وكلاهما لفظ. أحدهما أنها تخصُّ جزءاً من الجهة التي تدل عليها..."الظاهر أن قوله:"أحدهما" كلام منقطع عما قبله، وأن العبارة تصح بمثل التكملة الآتية أوبها: " ...وكلاهما لفظ وإنما عمل الفعل في أسماء المكان المبهمة دون المختصة لسببين]: أحدهما..."

٥٧- جاء في ص٢٧٣ س الأخير وأول ص٢٧٤ في ذكره اختلاف النحويين في(دخلت البيت) ما نصه: " وقال الجرميُّ: هو متعد مثل (بنيت) و (عمرت) ونحو ذلك أحدُها أنه لو كان متعدياً..." الظاهر أن قوله : " أحدها " وما بعده منقطع عما قبله، وأن السياق يلتئم بالتكملة التالية أو بمثلها: "... و(عمرت) ونحو ذلك [الجواب عن قوله من أربعة أوجه] أحدُها : أنه لو كان...".

٥٨- جاء في ص ٢٨٣ س٢ ما نصه:"... فإنما تقول ذلك في المنع من التعرُّض به" الظاهر أن أحد اللفظين من قوله: " التعرُّض به" محرَّف ، وأن الصواب: " التعرُّض له " أو " التعريض به ".

٥٩- جاء في ص٢٨٨ س الأخير في حديثه عن تقديم الحال ما نصه: " ... فهذا يجوز فيه تقديم الحال على صاحبها، وعلى العامل فيه، لأن العامل قوي متصرف..." قوله: " فيه " تحريف، والصواب " فيها" ؛ لأن الحال وإن كانت عند أهل اللغة وأكثر النحويين تُذَكَّر وتُؤَنَّث إلاّ أن العكبري اعتبرها مؤنثة فقط، فقال في أول الباب: " الحال مؤنثة لقولك في تصغيرها " حُوَيْلَةٌ " وهو في كتابه هذا ملتزم التأنيث فيها، وكذلك حاله في التبيين. (يُنظر التبيين ص ٣٨٣وما بعدها، وص ٣٨٦وما بعدها مثلا لا حصراً).

٦٠- جاء في ص ٢٩٣س٢ تحت ما نصه "... والجواب أن الفرق بينهما أن الحال والاستقبال متقاربان(٦)، لأن المنتظر يصير إلى الحال..." قال المحقق في حاشية(٦): "في م: متقارنان" الظاهر أن قوله: " متقاربان " تحريف، وأن الصواب: "متقارنان" كما في (م).

٦١- جاء في ص ٣٠٤س٤ من تحت في إبطاله لقول الفراء بتركيب (إلاّ) ما نصه: " والثاني أنه لو سُلِّم ذلك لم يلزم بقاء حكم واحد من المفردين كما في (لولا) و(كأنّ) إلا بدليل ظاهر، ولا دليل بحال. والثاني أنه لو سُلِّم ذلك لم يلزم بقاء حكم واحد من المفردين كما في (لولا) و(كأنّ) وغيرهما، لأن التركيب يُحدث معنىً لم يكن وبحدوثه يبطل العمل." الظاهر أن قوله: " والثاني أنه لو سُلِّم ...كما في (لولا) و(كأنّ) وغيرهما." مكرر، وأن قوله: " إلاّ بدليل ظاهر، ولا دليل بحال " مقحم في هذا السياق.

٦٢- جاء في ص٣٠٧س٤-٥ في حديثه عن علة اختيار النصب دون البدل في غير الجنس في الاستثناء ما نصه: "... لأن اللفظ الأول لا يشتمل عليه حتى يخرج بالاستثناء فيتمحض فضلة في المعنى، فيجعل صفة في اللفظ." الظاهر أن قوله: " صفة " تحريف، وأن الصواب " فضلة " .

٦٣- جاء في الصفحة نفسها س٤ من تحت وما بعده ما نصه: "... كقولك: قام القوم ليس زيداً، أي : ليس بعضهم زيداً. والضمير ههنا يوحّد على كل حال، لأنه ضمير (بعض) و (لا يكون) اسمها مظهراً هنا للاختصار. و(لا يكون) كـ (إلاّ) في أنه ليس بعدها سوى المنصوب. ولذلك لا يجوز العطف على المنصوب بها، فلا تقول: جاء القوم ليس زيداً ولا عمراً." في العبارة السالفة أمران: الأول: الظاهر أنّ قوله: "...(بعض) و(لايكون) اسمها..." لا تحتاج (لا يكون) إلى أقواس، لأنه لا يُراد بها (لا يكون) التي تقام مقام (إلاّ) كما هو الحال في قوله: " و(لا يكون) كـ (إلاّ)..." الثاني : الظاهر أن قوله: " ليس " وهم، وأن الصواب " لا يكون " .

٦٤- جاء في ص٣١٨س٥ وما بعده ما نصه: " وقد ترفع النكرة بعد (كم) في الاستفهام، ويكون المميز محذوفاً، ويقدّر ما يحتمله الكلام." الظاهر أن قوله: " ما " تحريف، وأن الصواب: "ممّا ".

٦٥- جاء في ص ٣٢٩س٧ ما نصه: " وقال آخرون العامل فيه حرف النداء، لأنه أشبه الفعل من ثلاثة أوجه: أحدها أن معناه معنى الفعل بل أقوى من حيث إنّ الفعل عبارة عن الفعل الحقيقي كقولك (ضرب) و(يا) هي العمل نفسه، وتعبر عنه بـ (نادى)". الظاهر أن قوله: "... و(يا) هي العمل نفسه، وتعبر عنه بـ(نادى)." عبارة غير واضحة، لم أنتهِ فيها إلى شيء. والظاهر أيضاً أن قوله:"نادى" تحريف وأن الصواب " أنادي ".

٦٦- جاء في ص٣٣٧ س٢ من تحت وما بعده في حديثه عن (أيُها الرجل) ما نصه: " فان وصفت الرجل هنا رفعت الصفة، وإن كانت مضافة لأن الموصوف معرب. وإذا حملت تلك الصفة على موضع (أي) جاز النصب والرفع في المفرد، ولم يكن في المضاف إلاّ النصب." (٥) قال المحقق في الحاشية (٥): " جاء في شرح الكافية١/١٤٣: اعلم أن تابع التابع على ظاهر إعراب التابع سواء كان المنادى (أيّ) أو (هذا) أو (غيرهما)". وعلى هذا يصح الرفع في الصفة المضافة نحو(يا أيها الرجل ذو المال " والمؤلف يأبى إلاّ النصب" [كذا] الظاهر أن المؤلف يفرق بين حالين: الحال الأولى أن يجري تابع التابع عليه، وهي الحال التي أرادها الرضي بقوله: " اعلم أن تابع التابع على ظاهر إعراب تابع". الحال الثانية أن تُحمل الصفة على محل (أي) وهو النصب ففي هذه الحالة أجاز في المفردة الرفع على اللفظ، والنصب على المحل. ولم يجز في المضافة إلا النصب على المحل.

٦٧- جاء في ص٣٤٠س٨ وما بعده في حديثه على حذف حرف النداء إلاّ من المبهم والنكرة ما نصه: " وأما المبهم فلشدّة إبهامه يحتاج إلى مخصّص، [فلو حذف المخصّص(٣) لبقي على إبهامه]. ولذلك جاز أن يكون المبهم وصفاً لـ(أيّ) في النداء كما كان اسم الجنس" قال المحقق في الحاشية (٣): " المقصود بالمخصّص ما بعد (أي)، كالناس من قولك: " أيُها الناس" [كذا] والظاهر أن المقصود بالمخصص حرف النداء. وأن المقصود بالمبهم اسم الإشارة لا(أيّ) كما مثّل المحقق، يدل على ذلك قوله: "جاز أن يكون المبهم وصفاً لـ (أيّ) في النداء..." ومراد المؤلف قولهم: (أيهذا) يُنظر ص ٤٩٤من الكتاب.

٦٨- جـــاء فـــي الصفحة نفسها س٣ من تحت ضمن حديثه عن أوجـــه نـــداء المضـــاف الصحيح الآخر إلى ياء المتكلم ما نصه: "أحدهـــا حـــذف الـــياء نحـــو: ياغلامِ، لأن الكسرة تدل عليها في الإثبات"[٥] قال المحقق في حاشية (٥): " سقط من م: في الإثبات" الظاهـــر أن قوله: " في الإثبات" لا معنى له في هذا السياق، وأن، الصواب إسقاطه، كما في (م).

٦٩- جـــاء في ص٣٤١س١ في نفس السياق ما نصه: " والرابع إبـــدال الفتحة كسرةً، والياء ألفاً..." الظاهر أن قوله:" الفتحة كسرة "وهم، وأن الصواب " الكسرة فتحة ".

٧٠- جاء في الصفحة نفسها س٤-٥ ما نصه: " وقد جاء الحذف في: يا ابن عمي[٢]، ويا ابن أمّي، ويا ابن صاحبي[٣]" قال المحقق فـــي حاشـــية (٢): " في ح: ويا بن عم بحذف الياء" وفي الحاشية (٣): " ســـقط مـــن ح: يا ابن صاحبي" الظاهر أن قوله: " يا ابن عمـــي ويا ابن أميّ " تحريف، وأن الصواب: " يا ابن عمِ ويا ابن أمِّ " كمـــا فـــي (ح). والظاهـــر أيضاً أن قوله: " يا ابن صاحبي" مقحم في هذا السياق لقول المؤلف في آخر الفصل: " وإنما اختص هـــذان الاسمان بهذا الحكم في النداء لكثرة الاستعمال " فالصواب كما في (ح) أيضاً.

٧١- جاء في ص ٣٤٣ س٧ ما نصه:" لا يجوز أن تلحق علامة الـــندبة الصـــفة نحـــو: "(وازيـــد الظريفاه) ، وأجازه الكوفيون[٤] ويونـــس" قـــال المحقـــق في الحاشية (٤): " ومعهم كما جاء في المفصل يونس بن حبيب [كذا] وأبو الحسن بن كيسان ".

٧٢- جـــاء فـــي ص٣٤٥س٤ بعـــد تفسيره الترخيم في اللغة ما نصـــه: " وبهـــذا المعـــنى سُمِّي الترخيم والنداء" الظاهر أن قوله: "والنداء" سهو، وأن الصواب " في النداء ".

٧٣- جاء في ص ٣٤٨ الحاشية (٣) ما نصه: "ممّا دحض به ابو البركات مذهب البصريين قوله في الإنصاف١/٣٦٢ "وأما الجواب عن كلمات الكوفيين..." الظاهر أن قوله " البصريين " سهو، وأن الصواب " الكوفيين " .

٧٤- جاء في ص٣٤٩س٧ ما نصه: " ولا يُرَخَّم المبهم وإن زاد على ثلاثة أحرف[٣] " قال المحقق في الحاشية(٣): " لعله يريد نحو: يا أيُّها الإنسان " ومراد المؤلف بالمبهم اسم الإشارة والاسم الموصول. ينظر التعليق رقم (٦٧)، وينظر ص٤٩٤ من الكتاب.

٧٥- جاء في ص٣٥٩س٤ ما نصه: " وأما (على) فتكون حرف جر، وحقيقتها للدلالة على الاستعلاء" الظاهر أن قوله: " للدلالة " تحريف، وأن الصواب " الدلالة ".

٧٦- جاء في ص ٣٦٥س١٠ ما ناصه: "ولذلك استعملوا (أقلّ) بمعنى النفي كقولهم: أقل[١]رجل يقول ذاك إلاّ زيد، أي: ما رجل" قال المحقق في الحاشية (١): " في ح: قلّ". كلا اللفظين صواب محض، ينظر سيبويه١/٣٦١، والمقتضب٤/٤٠٤، واللسان(قلل).

٧٧- جاء في ال ٣اصفحة نفسهاس٣ من تحت ما نصه: "وتضمر(ربّ) بعد الواو والجر بها. وقال المبرد[٢] والكوفيون الجر بالواو" قال المحقق في الحاشية(٢): " قال المبرد في المقتضب٤/٤٠٤: وتقول: أقلّ رجل رأيته إلاّ زيد، إذا أردت النفي بأقلّ... وأن يكون أقلّ في موضع نفي أكثر" ، لا علاقة ألبتة بين إضمار(ربّ) بعد الواو والجر بالواو أو بربّ وبين الحديث عن النفي بـ (أقل) الذي نقله المحقق في الحاشية عن المقتضب للمبرد.

٧٨- جـــاء في الحاشية(١) ص٣٦٩ما نصه: " قال ابن هشام في المغني٣٧٢: " إنهما حرفا جرّ بمعنى(من) إن كان الزمان ماضياً، وبمعـــنى(فـــي) إن كـــان حاضـــراً، وبمعنى (إنْ) و(إلى) إن كان معدوداً، نحو: ما رأيته مذ يوم الخميس، أو مذ يومنا أو عامنا، أو مسذ ثلاثـــة أيام " الظاهر أن قوله: " إنْ " تحريف، وأن الصواب "مـــن" كما في المغني. والظاهر أن قوله: " بمعنى(من) و(إلى) إن كـــان معـــدوداً " يوهم أنهما تكونان بمعنى(من) وبمعنى(إلى) ... ولنفـــي هذا الوهم قال ابن هشام: "... وبمعنى (من) و(إلى) جمعياً إن كان معدوداً " ينظر المغني ص٤٤١.

٧٩- جاء في ص٣٧٠س٥ ضمن حديثه عن (منذ ومذ) ما نصه: "... وحجـــة البصـــريين أن الأصـــل عدم المركّب..." الظاهر أن قوله: " المركّب " تحريف، وأن الصواب " التركيب ".

٨٠- جاء في الصفحة نفسها س٩ ضمن السياق السابق ما نصه " فنفـــي دعـــوى التركيـــب تحكـــم..." الظاهر أن قوله : " فنفي " تحريف، وأن الصواب " ففي"؛ لأن المصنف يدفع دعوى التركيب في (منذ)، ويؤكد قول البصريين بإفرادها.

٨١- جـــاء في ص٣٧٣س٢، ما نصه:" وإنما بُنيت (مُذْ)، وهما اســـمان لوجهيـــن..." الظاهر أن السياق يقتضي تقدير سقط، وأن تكملته: " ... (مُذْ) و(منذ)، وهما...".

٨٢- جـــاء في ص٣٨٦س٤ ما نصه: "... فتلغو (حتى) لدخولها علـــى الجملـــة تقديراً..." الظاهر أن قوله: " فتلغو " تحريف، وأن الصواب " فتلغى".

٨٣- جـــاء في ص٣٨٧س٣ في باب الإضافة ما نصه: "... لأن الاســـم الأول ملتصـــق بالثاني ومعتمد عليه، كاعتماد المستند بما

يستند إليه."، الظاهر أن قوله: " بما " تحريف، وأن الصواب "على ما" ويؤيد ذلك أن المصنف قال: "...ومعتمد عليه".

٨٤- جاء في ص٤١٩س٢-١من تحت في حديثه عن عدم جواز زيادة الواو ما نصه: " والثاني أن الحروف وضعت للمعاني، فذكرها دون معناها يوجب اللبْسَ وخلوها عن المعنى. وهو خلاف الأصل" الظاهر أن قوله: " وهو " مقحم في هذا السياق، وأن الصواب إسقاطه مع النقطة التي قبلها. فتكون العبارة: "...فذكرها دون معناها يوجب اللبس. وخلوها عن المعنى خلاف الأصل".

٨٥- جاء في ص٤٢٢س٢-١ من تحت ضمن حديثه عن (الشك) أحد معاني(أو) ما نصه: "...كقولك: قام زيدٌ أو عمرو، والمعنى أحدهما، ولذلك تقول : فقال كذا أو كذا، ولا تقول: فقالهما(٥) " قال المحقق في الحاشية(٥): في الأصل: "فقالا " الظاهر أن قوله:" فقالهما " تحريف، وأن الصواب " فقالا " كما في الأصل؛ لأن المراد(زيد أو عمرو) فأحدهما الذي يقول: كذا وكذا، لا كلاهما؛ لذلك لا يجوز أن تقول: فقاما؛ لأن المتكلم شك في أيهما الذي قام، ولم يشك في قيام أحدهما. والظاهر أن قوله: "كذا أو كذا " حُرِّفت فيه (أو) لتناسب(فقالهما)، وأن صواب العبارة: "كذا وكذا " بالواو.

٨٦- جاء في ص٤٢٩س٢ في كلامه عن (أم) المتصلة والمنقطعة ما نصه: " وإن كان بعد (أم) جملة تامة مخالفة للأولى كانت منقطعة، كقولك: أزيد عندك أم عمرو في الدار، لأن (أيّاً) لا تقع ههنا، وسببه أن (أيهما) اسم مفرد، فالخبر عنه واحد، فإذا اختلف الخبران لم يستند إلى أيّهما" الظاهر أن قوله: " لم يستند " تحريف، وأن الصواب " لم يُسنَدا " .

٨٧- جـاء في ص٣٣٤س٥ وما بعده في الفصل الذي عقده لعدم جواز العطف على عاملين ما نصه: " واحتج الآخرون بقوله تعالى: [واخـتلاف الليـل والـنهار] إلـى قوله: [آيات[٣] لقوم يعقلون] فـ (اخـتلاف) بالجـر والعطف على (خلقكم)، و(آيات) الثالثة معطوفـة على(آيات) الأولي[٤]المنصوبة بـ (إنّ)..." قال المحقق في الحاشية(٣): " في الأصل: (لآيات)" وقال في الحاشية(٤):" في الأصل: (الثانية)، ولم يكن بدٌّ من تصحيح الأصل ليطابق ما نزل به الوحي الأمين" [كذا]. فيما سلف نقله أمور عدة:

أ- الظاهـر أن قوله "آيات" سهوٌ في هذا السياق، وأن الصواب " لايات " كمـا في الأصل، وأن مراد المؤلف قراءة عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب (لآيات) في الثانية والثالثة كما في الأولى.

ب- الظاهر أن قوله: "الأولى" وهم، وأن الصواب " الثانية " كما في الأصل. وأن قوله: " المنصوبة بـ (إنّ) المراد به أن حرف العطف ينوب مناب عامل واحد، فاعتبارها معطوفة على (لآيات) الأولى يفوت الاستشهاد، ويؤيد ما ذهبت إليه قوله: " فاختلاف بالجر معطوف على خلقكم" ولم يقل معطوف على (في السموات).

ج- والظاهـر أيضـاً أن القـراءات الواردة في هذه الآيات أو في موضع الشاهد من هذه الآيات لم تحقق حتى يتبين وجه الاستشهاد بها. فقد قرأ الجمهـور(آيات) بالرفع في الثانية والثالثة وعليها يفوت الاستشهاد لما نحن فيه. وقرأ الأعمش والجحدري وحمزة والكسائي ويعقوب بالنصب فيهما. وزيد بن علي برفعهما مع الإفراد (آيةٌ) وعليها يفوت الاستشهاد وأيضـاً، وأُبي وعبد الله (لآيات) فيهما كالأولى. يُنظر البحر ٤١٣/٩، والكشف عن وجوه القراءات ٢٦٧/٢.

٨٨- جـاء فـي ص٤٥٤س٦-٨ في حديثه عن أسماء الأفعال ما نصـه: "... وحقـيقة القول فيه أن (صَهْ) اسم لـ (اسكُت). وليس

اللفظان عبارتين عن شيء واحد. مثل اسكت واصمت، فـ (صَهْ) اسـم ومسّماه لفظ آخر، وهو: السكْت. فالزمان معلوم من المسمّى لا مـن الاسـم[٢] " قال المحقق في الحاشية (٢): " لعله يريد أن الـزمان يفهـم من المسمّى(اسكت) من اسم الفعل (صه) [كذا] أما (السـكت) فـلا زمان فيه " الظاهر أن قوله: " السكت " تحريف، وأن الصـواب " اسـكتْ "، لأنـه قـال: " ... أن (صه) اسم ل لـ (اسْكُتْ).." فـ (اسكتْ) مسمّى (صه).

٨٩- جاء في ص٤٥٦س٥ ضمن حديثه عن خروج بعض أسماء الأفعـال من الخطاب إلى الغيبة ما نصه: "...وقد حُكي عن بعض العـرب أنـه قال: عليه رجلاً ليسي، يريد: ليطلب رجلاً غيري. والأصل: ليس إياي، فحصل في الحكاية شذوذ من وجهين[٤] " قال المحقـق في الحاشية (٤): " لعل المقصود بوجهي الشذوذ خروج اسم الفعل(عليه) من الخطاب إلى الغياب ومن الأمر إلى المضارع المقرون بلام الأمر، ووقوع الضمير المتصل خبراً لليس. ولك أن تضـيف وجهاً ثالثاً، وهو تجرد(ليس) من نون الوقاية" والحق أن الشـذوذ الأول هـو مـا ذكره المحقق من خروج اسم الفعل من الخطـاب إلى الغيبة، وهو ما صرح به المؤلف. أما الشذوذ الثاني فهـو أن اسم الفعل جُعِل خبراً عن الغائب، ولم يذكر الغائب مقدَّماً ولا مؤخـراً.ويؤيـد ذلك قول المصنف في س٢:"وأما الخبر عن الغائب فيفتقر إلى ذكره مقدّماً أو مؤخراً ".

٩٠- جـاء فـي ص٤٦١س٢ ما نصه: " وأسماء فعل الأمر لا يـتقدّم معمولهـا عليها عند البصريين لقصورها عن الفعل، وأنها غير مشتقة منه" الظاهر أن قوله: " وأنها " تحريف، وأن الصواب " لأنها ".

٩١- جـاء فـي ص٤٦٣س٧ومـا بعده ما نصه: " وأمّا (إيّاك والشرَّ) فمنصوب بفعل محذوف أيضاً، ولا بدّ فيه من مفعول آخر

معطـــوف بـــالواو ومُعَـــدَّى إلـــيه بحرف جر كقولك: (إيّاك من الشـــرِّ)... وجـــاؤوا بـــالواو وحرف الجر ليدلوا على ذلك الفعل المحـــذوف " الظاهـــر أن قوله: " ... ومُعَدّى... وحرف الجر..." وهم، وأن الصواب "... أو مُعَدّى... أو حرف الجر...".

٩٢- جاء في ص٤٦٥س٦في كلامه عن (لبيك وسعديك وحنانيك) ما نصه: "... وهذه التثنية في معنى الجمع عند سيبويه وأصحابه. وقال سيبويه: هو مفرد قلبت ألفه ياءً مع المضمر..." الظاهر أن قوله: " وقال سيبويه " وهم، وأن الصواب " وقال يونس " أو تكون العبارة محتاجة إلى تكملة على النحو الآتي: " وقال سيبويه:[قال يونس]..." ينظر الكتاب لسيبويه (بولاق١/١٧٦).

٩٣- جـــاء في ص٤٦٩س٦في باب الاشتغال ما نصه: " و(إنْ) الشرطية كذلك. تقول: إنْ زيداً تُكْرِمْهُ أُكْرِمْهُ، لأن الشرط لا معنى لـــه إلاّ فـــي الفعـــل(٢) " قال المحقق في الحاشية(٢): ولذلك رُجِّحَ النصب في (منفس) من قول النمر بن توْلب:

لا تجزعي إنْ منفساً أهلكتُه وإذا هلكتُ فعند ذلك فاجزعي"

الحـــق أن الـــرفع والنصب في (منفس) في البيت المذكور يتبع لتقدير العـــامل، لا لمـــا ذكره المحقق. فهم أجازوا تقدير العامل في مثل هذا الموضـــع مـــن لفظ الفعل الذي بعده أو من معناه، فالرفع في (منفس) علـــى تقديـــر العـــامل من معنى الفعل الذي يليه: أي: "إن هلكَ منفسٌ أهلكته..) والنصب على تقدير العامل من لفظ الفعل الذي يليه، أي:(إنْ أهلكتُ منفساً أهلكته...) فلا ترجيح للنصب على الرفع فيه.

٩٤- جـــاء فـــي ص٤٧١س٤ مـــن تحت ضمن حديثه عن سبق النكرة للمعـــرفة ما نصه: " والثاني أن النكرة تقع على الأشياء المجهولة، وعلـــى المعـــدوم والموجود، والقديم والمُحْدَث، والجسم والعَرَض، كقولك: شيء، ومعلوم، ومذكور، وموجود"

الظاهر أن قوله: " ومعلوم" تحريف، وأن الصواب" ومعدوم "؛ لأن المؤلف قال قبل ذلك: " وعلى المعدوم" ولم يقل: وعلى المعلوم. والأشبه أن قوله: " ومذكور " مقحم لعدم ذكره كما ذكر(معدوم وموجود).

٩٥- جاء في ص٤٧٢س٢ ما نصه: " وبعض النكرات أنكر من بعض، فكل اسم تناول مُسمّيات تناولاً واحداً كان أنكر من اسم تناول دون تلك المسميات. فعلى هذا فأنكر الأشياء(معدوم) و(منكور)[٢] " قال المحقق فـي حاشـية رقم (٢): في الأصل(مذكور) ويُخيَّل إلينا أنها (منكور) وأنهـا مصـحفة..." في هذا السياق أمران: أولهما: الظاهر أن قوله: " تـناول دون " سقط منه المفعول به، وأن تكملته : " تناول[ما] دون..." والثانـي: أن قولـه: "ومنكور" مقحم في هذا السياق؛ لأن أنكر الأشياء يُعَـبَّر عنه بلفظ واحد؛ ولأن المصنف بعد ذلك يذكر (معدوم) على أنه أنكـر الأشـياء، ثم يذكر ما هو أخص منه، ولا يذكر(منكور). يُنظر للاستئناس كتاب(الكليات) لأبي البقاء الكفوي ص٦٥٥وص٦٩٤.

٩٦- جاء في ص٤٧٤س١٠وما بعده ما نصه: " وإنما كان في الضمائر المـرفوعة والمنصوبة متصل ومنفصل... فإذا تقدّما انفصلا لحاجتهما إلـى القـيام بأنفسـهما، وإذا تأخـرا انفصلا لاعتمادهما على العامل" الظاهر أن قوله: (انفصلا) وهم، وأن الصواب " اتصلا ".

٩٧- جـاء في ٤٨٠س١ وما بعده ما نصه: " وحُكي عن بعض العرب أنـه قال: " إذا بلغ الرجل الستين فإيّاه وإيّا الشوابّ " وهذا ضعيف لما تقـدَّم، والحكايـة شاذة لا تقوى الاحتجاج بها " الظاهر أن قوله: " لا تقوى الاحتجاج " يحتاج ضبطاً: " لا تُقَوِّي الاحتجاج ".

٩٨- جاء في ص٤٨٢س١٠وما بعده ما نصه: " وكذلك(أنْتُما) لو فتحت الـتاء لاشـتبهت بـ(أنتماء) [٣] ؛ ولأن التاء هنا في مجاورة الواحد، فضـمت كـنون(نحـنُ)..." قال المحقق في الحاشية(٣) ما نصه:"في

الأصـــل رسمت(انتماء) بهمزة وصل، ويُخَيَّلُ إلينا أن الصواب القطع كما أثبتنا. لأن همزة (انتماء) بمعنى الانتساب مكسورة، وكسرها ينفي عنها الاشتباه. وأما (أنتما) بقصر الممدود، وقطع الهمزة فيجعل الكلمة مشـــتبهة بـــ (أنت ماء)." في العبارة السابقة وكلام المحقق أشياء أقف عندها:

أ - الظاهر أن قوله: "أنتماء" تحريف وتصحيف، وأن الصـــــــواب "أنْتمى"، ولا يعترض عليه بصورة الرسم؛ لأن العبرة هنا بالتشابه في اللفظ، فهو يتكلم عن زمن الوضع، وهو سابق لزمن الرسم.

ب-الظاهــر أيضـــاً أن قوله: " مجاورة "تحريف وتصحيف، وأن الصواب "مجاوز "؛ لأن المراد الزائد عن الواحد كما أن (نحنُ) كذلك. ينظر ما سلف ص٤٧٦من الكتاب.

ج- قـــول المحقـــق: " وأما (أنتما) بقصر الممدود وقطع الهمزة..." مجانب للصـــواب؛ لأن أبـــا الـــبقاء بصــــري المذهب، وهم لا يجيزون قصر الممدود في غير ضرورة الشعر؛ ولذلك نجده يرد قول الكوفيين بجواز ذلـــك (يُـــنظر ج٢ص٩٨-٩٩مـــن الكـــتاب). ولا معـــنى أيضـــاً للفظة(أنتماء) التي قال المحقق إنها قُصرت، فأصبحت (أنتما).

٩٩- جـــاء في ص٤٨٣س٢من تحت وما بعده ما نصه: " والاسم العلم هـــو الموضوع على المسمَّى تمييزاً له، لا لدلالته عليه اشتقاقاً، ولذلك يجـــوز أن يُسَـــمَّى الأبـــيض حقـــيقة (أسود). ويُسمَّى الإنسان زيداً لا لـــزيادته، و(عبّاســـاً) لا لعبوسه، بل للتمييز كما ذكرنا. وإنما يثبت أنه علم يعرف به بعد المسمَّي غيرَه بالتسمية..." في السياق السابق أمران: الأول: الظاهـــر أن قولـــه " عَلَمٌ يعرف" لا يؤدي المعنى المراد، وأنه يحتاج إلى تكملة "...علم(لا) يعرف...". الثاني" الظاهر أن قوله: " بعد " تحريف، وأن الصـــــــواب " قَصْدُ".

١٠٠- جـــاء فـــي ص٤٨٦س٦ في سياق ردّه على قول الكوفيين إنّ اسم الإشـــارة الذال وحدها، وأن الألف زائدة للتكثير ما نصه: " والثالث أنه قد عوّض من الذاهب بتشديد النون[1] ، فكأنه لم يذهب" قال المحقق في الحاشية(١) ما نصه: " لعله يعني نون (ذان) في بعض القراءات. جاء في شرح المفصل ١٢٩/٣: " (فأما قوله تعالى: [إنّ هذان لساحران] فقـــد قرأ ابن كثير وحفص (إنْ) بالتخفيف، وقرأ أبو عمرو [إنّ هذيّنّ (كـــذا) لســـاحران بتشديد النون والياء في (هذين) وقرأ الباقون بتشديد الـــنون والألف". الظاهر أن نص ابن يعيش لا يشير إلى تشديد النون من (هـــذان) و(هذيـــن)، وأن قوله: " وقرأ أبو عمرو [إن هذين لساحران] بتشـــديد الـــنون، والياء في (هذين) " يريد به: بتشديد النون في (إنّ)، وبالـــياء فـــي (هذيـــن) أي قرأ (هذين) بالياء، ولم يقرأ(هذان) بالألف. والـــذي قصـــد إليه العكبري بقوله: " أنه قد عوّض من الذاهب بتشديد الـــنون، فكأنه لم يذهب." قولهم(ذانّك) بتشديد النون. فقد ذهب بعضهم إلـــى أن تشـــديد الـــنون عوض من الألف المحذوفة من (ذان). يُنظر الـــتاج(ذا) في باب الألف اللينة. والتشديد لغة تميم وقيس، ووردت بها بعض القراءات. ينظر أوضح المسالك١/١٣٩-١٤٠.

١٠١- جـــاء فـــي الصـــفحة نفســـها س الأخـــير وأول ص٤٨٧مـــا نصـــه:" ...فأما(أولاءِ) فجمع المذكر والمؤنث من غير لفظه. وفيه المد والقصـــر، و(الكاف) حرف للخطاب بلا خلاف" الظاهر أن في العبارة سـقطاً، وأن تكملـــتها: " والكاف (في أولئك) حرف..."؛ لأنه قال بعد ذلك:" والكاف في ذلك"، وقال أيضاً: " فأما اللام في (تلك)".

١٠٢- جاء في ص٤٨٧س٧وما بعده في تعليله لكسر اللام في (ذلك) ما نصه:"... وحُرّكت لئلا يلتقي ساكنان، وكسرت لأمرين: أحدهما: أنه الأصل في التقاء الساكنين. والثاني: للفرق بينها وبين لام الملك. فصل: فأما(اللام) في (تلك) فبقيت على سكونها، لأن الياء قبلها حذفت لئلا تقع الياء بين كسرتين، إذ الجمع يدعو إلى كسر اللام، وكسرة التاء

تدل على الياء المحذوفة " الحق أن المصنف لم يكن موفقاً في تعليله هنا، فقوله: "أحدهما: أنه الأصل في التقاء الساكنين" تسرّع منه، فالمعلوم من كتبهم أن الأصل في التخلص من التقاء الساكنين إذا كان أولهما حرف مد يكون بحذف حرف المد، لا بتحريك الحرف الذي يليه كـ (قُلْتُ) مثلاً. وقوله: " للفرق بينها وبين لام الملك" تسرّع أيضاً؛ لأن كسر اللام في (ذلك) لا يحقق الفرق؛ إذ لام الملك مكسورة أيضاً. وقوله: : فأما اللام في (تلك) ...بين كسرتين" بعيد عن الصواب؛ لأن الياء حُذفت لالتقاء الساكنين؛ إذ الأول منهما حرف مد.وقوله: " إذ الجمع يدعو نالى كسر اللام" يعني أن الجمع بين الياء واللام سيؤدي إلى كسر اللام للتخلص من التقاء الساكنين كما ذكر في (ذلك). وهذا غير سديد كما ذُكِرَ في (ذلك).

١٠٣- جاء في ص٤٨٨س٥ما نصه: "فصل(١)" قال المحقق في الحاشية (١): " موضع هذا النص في بحث الضمائر، ويبدو أن المؤلف نسيه هناك وتذكره الآن وهو يتحدَّث عن الحذف" والحق أن المؤلف تحدَّث عن (هو) و(هي) في الفصول التي عقدها لها في باب " المعرفة والنكرة " (يُنظر ص٤٧٧وما بعدها من الكتاب). ولما ناقش هنا قول الكوفيين: إن اسم الإشارة هو الذال فقط والألف للتكثير قرن به قولهم: إن الهاء في (هو) و(هي) هي الاسم، وما بعدها مزيد للتكثير.

١٠٤- جاء في ص٤٩٠س٧ في ذكره أولى حجتي من قال: إن اللام وحدها للتعريف ما نصه: " أحدهما: أن التعريف الحاصل في الاسم يجعله غير النكرة، ولذلك إذا جاء آخِرُ بيت نكرة، وآخر بعده معرفة لم يكن إيطاءً..." الظاهر أن قوله: " وآخر بعده " لا يؤدي المعنى المراد إلاّ بتقدير تكملة: " .... وآخر(ما) بعده...".

١٠٥- جاء في ص٤٩٢س٢من تحت ما بعده في ذكره لمعاني اللام ما نصه: " والثالث أن تكون للمعهود بين المتكلم والمخاطب كقولك لمن

تخاطـبه: جـاء الرجل الذي عهدناه " الظاهر أن قوله: " جاء الرجل الـذي عهدناه " سقط منه لفظ (أي)، وأن الصواب: " جاء الرجل[أي]: الذي عهدناه" .

١٠٦- جـاء في ص٤٩٣س٩ ما نصه: "... ولأن الهاء اسم مضمر يعرّف بمـا قـبله بالإضـافة " الظاهر أن قوله: " بما " تحريف، وأن الصواب " ما ".

١٠٧- جـاء فـي ص٤٩٦س٥ وما بعده ما نصه: " فصل: في (الفصل) الـذي يسـميه الكوفـيون (العماد)، وهو (أنا) و(نحن) و (هو) للغائب و(هـي). ولا يفصل إلا بضمائر المرفوع المنفصل على حسب ما قبله من المتكلم والمخاطب والغائب" كذا جاءت العبارة، والأشبه أن قوله: " وهو (أنا)... و(هي) مقحم في هذا السياق من بعض النسّاخ أو القراء؛ وذلـك لقول المصنف: " ولا يفصل إلا بضمائر المرفوع المنفصل..."، ولوضوح قلق قوله: " للغائب " في هذا السياق؛ ولأنه لم يذكر (أنتِ).

١٠٨- جـاء في ص٤٩٨س٦في حديثه عن المسألة الزنبورية ما نصه: "وقـال ثعلـب: هـو عمـاد(٣)، أي وجدتـه إيّاهـا" قال المحق في الحاشية (٣): "جاء في أسرار العربية ٣٤٢: " وذهب الكوفيون إلى أن المضـمر هـو الكاف و(إيّا) عماد، وهذا ليس بصحيح؛ لأن الشيء لا يُعمـد بمـا هو أكثر منه" الظاهر أن المراد بالعماد في نص أبي البقاء ضـمير الفصـل، وجاء بلفظ العماد لأنه جاء ضمن كلام منقول بنصه عـن ثعلب، والعماد مصطلح كوفي كما ذكر المصنف في أول الفصل. ويؤكـد مـا ذهبتُ إليه قول أبي البقاء في الرد على ثعلب في آخرص ٤٩٩ " ولا يصـح جعـل (هو) فصلاً؛ لأن الفصل يكون بين اسمين، وليسـا هـنا." وهـو بذلك غير العماد الذي ورد في نقل المحقق عن (أسـرار العربية) فمراد أبي البركات بالعماد في النقل المذكور التقوية أو الدّعامة (يُنظر ما سلف ص٤٨٠).

١٠٩- جاء في ص٥٠٠س٨ في باب ما لا ينصرف ما نصه:" أحدهما أن استحقاق الاسم الصرف أصل متأكد، فالشبه الواحد دون تأكُده بالأصالة." الظاهر أن قوله: " فالشبه الواحد دون تأكده بالأصالة" لا معنى له، وأن الصواب يكون بالتكملة الآتية أو بنحوها :"... دون تأكده[لا يقدح] بالأصالة."

١١٠- جاء في الصفحة نفسها س٥ من تحت ما نصه: "... والشبه الواحد لا يرجّح الأصالة..." الظاهر أن قوله: " لايرجّح " تحريف، وأن الصواب "لا يمنع".

١١١- جاء في ص٥٠١س٥ ما نصه: " فالاسم يصير فرعاً بحدوث أمر ثان لغيره ومسبوق به." الظاهر أن السياق يشعر بوجود سقط، وأن تكملته: "... بحدوث أمر [هو معه] ثانٍ لغيره.." فبهذه التكملة أو بمثلها تستقيم العبارة.

١١٢- جاء في الصفحة نفسها س٦ ما نصه: " وتلك الأمور تسعة: وزن الفعل، والتعريف، والزيادة، والوصف، والعدل، والعجمة، والجمع، والتركيب. وكل منها مسبوق بضده أو خلافه" الظاهر أنه ذكر أن العلل المانعة تسعة، وعدَّد ثمانية، والتي لم تذكر هي (التأنيث)، وحقها أن تكون بين (التعريف) و(الزيادة). فتكون بذلك موافقة لترتيبه إياها عندما تحدث عنها علةً علة.

١١٣- جاء في ص٥٠٣س٣ ما نصه: " فأما (عثمان) و(عريان) إذا سُمّي فيمتنع صرفهما..." الظاهر أن قوله: "...إذا سُمّي فيمتنع..." لاتؤدي المعنى، وأنها تحتاج إلى التكملة الآتية: "... إذا سُمّي [بهما] فيمتنع...".

١١٤- جاء في الصفحة نفسها س٦ في سياق الكلام السابق ما نصه: " أحدهما: أن الألف والنون كألفي التأنيث فيما ذكرنا. والثاني أنه

وصف قد اجتمع فيه سببان." الظاهر أن قوله: " قد " تحريف، وأن الصواب "فقد". وأن السياق يحتاج إلى نقطة " ... وصف. فقد...".

١١٥- جاء في ص ٥٠٧س٩ ما نصه: " فإن سميت بـ (قيل) و(بيع) صرفت، لأن هذا الوزن يكثر في الأسماء، ولم ينقل إلى أصله الذي هو فعل، لأنه رفض وصار كأنه أصل." الظاهر أن قوله: " ولم ينقل" تحريف، وأن الصواب " ولم ينظر ".

١١٦- جاء في ص٥٠٨س٤ما نصه: " إذا كان الاسم علي ثلاثة أحرف ساكن الأوسط معرفة، نحو(هنْد)..." الظاهر أن قوله: " إذا كان الاسم على ثلاثة ..." لايصح على إطلاقه، وأنه يجب تقييده بالتكملة الآتية: "...الاسم [المؤنث] على ثلاثة...".

١١٧- جاء في ص٥١٣س٢ما نصه: " إذا كان الوصف تاء التأنيث نحو(ضاربة)..." الظاهر أن قول: " ...الوصف تاء التأنيث..." لا معنى له، وأن الصواب يكون بالتكملة الآتية: "... الوصف[فيه] تاء التأنيث...".

١١٨- جاء في الصفحة نفسها س٢من تحت ما نصه: " أحدها المعرفة، وهو لا تدخله الألف واللام نحو (جُشَم)..." الظاهر أن قوله: "... وهو لا تدخله..." لا يؤدي المعنى، وأن الصواب يكون بالتكملة الآتية: "...وهو[ما] لا تدخله...".

١١٩- جاء في ص٥١٤س٥ وما بعده ما نصه: " وأما ما عُدل من الصفات فيجيء على(فُعال)... وعلى(مَفْعَل)...، وهو غير مصروف." الظاهر أن قوله: "وهو" تحريف، وأن الصواب " فهو " لقوله في أول العبارة: " وأما...".

١٢٠- جاء في ص٥١٨س٦ما نصه: " فأما (أُباتر) فينصرف بكل حال، لأنه كثير الأسماء..." الظاهر أن قوله: " كثير الأسماء " لا معنى له، وأن الصواب يكون بالتكملة الآتية: "...كثير[في] الأسماء...".

الجزء الثاني:

١- جاء في ص١٥ س٣وما بعده في ذكره لاختلافهم في أي أقسام الفعل أصل لغيره ما نصه: " وفعل الحال يمكن الإشارة إليه فتحقق وجوده [فيصدق الخبر عنه، وقال قوم: الأصل هو المستقبل لأنه يخبر عنه عن المعدوم ثم يخرج الفعل إلى الوجود فيخبر عنه بعد وجوده] " الظاهر أن قوله: " عنه في المواضع الثلاثة تحريف، وأن الصواب " به". فالفعل يخبر به ولا يخبر عنه، ولو كان (عنه) لما قال المؤلف: "... لأنه يخبر عن المعدوم..." .

٢- جاء في ص ٢١س١ ضمن حديثه عن علة إعراب الفعل المضارع ما نصه: " فإنْ قيل: لمَ لَمْ يُجعل من أحكام الاسم غير الإعراب؟ قيل: الإعراب لا يُغيِّر معنى الفعل." الظاهر أن قوله: " لم يجعل من أحكام الاسم" لا يؤدي المعنى، وأن الصواب يحتاج إلى التكملة الآتية: "...لم يُجعل [له] من أحكام...".

٣- جاء في ص ٢٥س٤ من تحت وما بعده: " واحتُجّ للكسائي: بأن الفعل قبل حرف المضارعة مبني وبعد وجوده وحدَه مرفوع، والرفع عمل لا بدّ له من عامل، ولم يحدث(٤) سوى الحرف، فوجب أن يضاف العمل إليه، وإنما بطل عمله بعامل آخر لأنه أقوى منه كما (إنْ) الشرطية يبطل عملها بـــ(لم)." قال المحقق في الحاشية(٤): " في م: ولا محدث." في السياق السابق أمران: الأول: الظاهر أن قوله: " لم يحدث " تحريف، وأن الصواب ما في(م) مع تكملة يقتضيها السياق: "...ولا محدث [له] سوى الحرف..." الثاني: الظاهر أن قوله: " كما إنْ" يصح بالتكملة الآتية: " كما[أنّ] (إنْ) الشرطية...".

٤- جـــاء فـــي ص٢٧ س٤ فـــي حديـــثه عن الأمثلة الخمسة ما نصه: "أحدهمـــا أن المعنى الذي أعرب به(٢) المضارع موجود فيها من غير مانع." قال المحقق في الحاشية(٢): " في ح: له ". الأشبه ما في (ح)، وكان حقه أن يُثبت في النص؛ لأن المحققين عدّا النسختين أصلاً، فلا مزِيّة لإحداهما على الأخرى.

٥- جـــاء فـــي الصفحة نفسها س٥ من تحت في دفعه لكون الضمير في الأمثلة الخمسة حرف إعراب ما نصه: " والثاني باطلٌ أيضاً لأنه اسم فـــي موضـــع رفع معمول للفعل فليس منه، ولا علامة لشيء هو فيه " الظاهر أن الواو في قوله " ولا " مقحمة في هذا السياق.

٦- جاء في ص٢٨س٨ ما نصه: "... أن الماضي سُكِّنَ لئلا تتوالى أربع حركات وكذلك هو المضارع. وسكون الثاني عارض لا يعتد به، وإن السـاكن غـير(٥)حصـين، وحرف المضارعة متحرك وهو من نفس الفعـل. وإنَّ (٦)زيـادة الحـرف ناب مناب الحركة." قال المحقق في حاشـيتيه (٥)(٦): " في ح: أو أن؟" الظاهر أن قوله:" وإن" بالواو في الموضعين تحريف، وأن الصواب: " أو إن" كما في (ح).

٧- جـاء في ص٣٩س٨ في عرضه لحجتي الكوفيين في أن لام التعليل هـي الناصـبة للفعـل ما نصه: " ألا ترى أنه يجوز أن تقول: أمَرْتُكَ تُكْـرِمَ زيـداً، تـريد بـأن تكرمَ زيداً. فيتعيَّن أن تكون هي الناصبة." الظاهر أن قوله: " تكرمَ" تحريف، وأن الصواب: "بتكرمَ"؛ لأنهم ذهبوا إلـى أن لام التعلـيل هي الناصبة، ورفضوا تقدير "أن"، فيقولون: كما لايصح أن تقول: " بتكرم " وأن تريد " أن " مقدرّة بعد الباء، وكذلك لا يصح أن تقول " لتكرمَ" مريداً " أن " مضمرة بعد اللام.

٨- جاء في ص٣٩س٤ من تحت وما بعده في جوابه عن كلمات الكوفيين في النصب بلام التعليل ما نصه: " يُسْلِم إلى أن (كي) تنصب بنفسها. ولكن لِمَ تكون اللام كذلك واتفاقهما في المعنى يوجب(٥) اتحادهما في العمل" قال المحقق في الحاشية (٥): " في ح: لا يوجب." الظاهر أن قوله: " يُسْلِم إلى أن " فيه تحريف وإقحام، وأن الصواب: " نُسَلِّمُ أنّ (كي)...". والظاهر أيضاً أن قوله: " يوجب" سهوٌ، وأن الصواب ما في (ح): " لا يوجب" ؛ لأنه لو كان يوجب ذلك لكان موافقاً لهم، وهو يرد عليهم.

٩- جــاء فــي ص٤٢س١ في حديثه عن نصب (يعجز) بعد الواو في (لا يسعني شيء ويعجز عنك) بـــ (أن) المضمرة، ما نصه: "...والمعنى لا يجــتمع فـــي شـــيء واحـــد أن يسعَني وأن يضيق عنك. أي: أنا وأنت مشـــتركان فيما يحُسن ويقبح ويضيق ويتسع فكيف نفترق في ذلك؟ ولو رفعـــت لصار المعني (٢) نفياً، وآل المعنى إلى أنه لا يسعني شيء ولا يضيق عنك وهذا عكس المعنى." قال المحقق في الحاشية (٢): " في ح: لصار الثاني". الظاهر أن قوله:" المعنى" وهم، وأن الصواب "الثاني" كما في (ح). ومراده: الفعل الثاني، وهو(يعجز عنك).

١٠- جاء في ص٤٣س٢ من تحت في ذكره لجواز النصب في نحو قوله: (ما تأتينا فتحدثنا) على معنيين ما نصه: " أحدهما: أن تريد نفيهما على سبيل الإنكار على مُدَّعي الإنكار[٤]، أي: أنت ما تأتينا فكيف تحدثنا؟! " قال المحقق في الحاشية(٤): " في ح: على مدّعي الحديث." الظاهر أن قوله: "الإنكار" سهو، وأن الصواب "الحديث" كما في (ح).

١١- جـــاء فـــي ص٤٥س٨ فـــي ذكره أن الفعل يرتفع بعد(حتى) على معنيين ما نصه: " أحدهما: أن يكون الفعل الذي بعدها وسببه ماضيين كقولـــك: ســـرت حتى أدخلُها، إذا كنت قد سرت ودخلت، فكأنَّك قلت: ســـرت فدخلتها ماضياً[٣] " قال المحقق في الحاشية(٣): "كلمة (ماضياً) ســـقطت مـــن ح." الظاهر أن كلمة " ماضياً " مقحمة في هذا السياق، وأن الصـــواب إســـقاطها كما في (ح)، لأن معنى المضي مفهوم من الفعل " فدخلتها ".

١٢- جاء في ص٤٦س قبل الأخير في ردّه لإجازة الكوفيين إظهار (أن) مـــع لام (كي) في النفي ما نصه: " ومن العجب إجازة الكوفيين إظهار (أنْ) بعدهـــا فـــي قولهـــم: اللام هي العاملة." الظاهر أن قوله: " في " سهو، وأن الصواب "مع ".

١٣- جـــاء في ص٦٣س٤-٥ في حديثه عن عدم المجازاة بـــ(كيف) ما نصه: " ولا يصح قياسها على الحرف في عدم الضمير كما تقاس[1]بقية الأسـماء علـى (إنْ) فـي عدم عود الضمير عليها." قال المحقق في الحاشـية(١): " في ح: كما لم تقاس". الظاهر أن قوله: " كما تقاس" لا يؤدي المعنى، وأن الصواب: " كما لم تقس " كما في(ح).

١٤- جاء في ص٦٤س٧ما نصه: " فإن قلت: لا تدنُ من الأسد يأكلْك، لم يجـز، لأن تقديـره: إلاّ تدنُ منه يأكلْك، والتباعد منه ليس بسبب في أكلـه. فـإن قيل: لِمَ لَمْ يُقَدَّر: إنْ تَدْنُ؟ قيل: يجب أن يكون المقدَّر من جـنس الملفـوظ به، كما لا تقدّر في الأمر النهي[4]، كذلك لا تقدّر في النهي الإيجاب." قال المحقق في الحاشية(٤): " في ح: النفي". الظاهر أن قوله " النهي" وهم وأن الصواب " النفي " كما في (ح).

١٥- جـاء في ص٦٥س١ ما نصه: " مسألة: الأمر والنهي ونحوهما لا يُجـزم بأنفسـهما بـل بشرط مقدر..." الظاهر أن قوله: " لا يجزم " تحريف، وأن الصواب " لا يجزمان ".

١٦- جـاء فـي ص٧٢س١٢ في كلامه عن تحريك واو الجماعة وياء المؤنـثة المخاطبة إذا وقعت بعد نون التوكيد ما نصه: "...وليس كذلك قولـك: اِرْمُنّ و اِرْمِنّ، لأن ضمة الميم تدل على الواو، والكسرة تدل علـى الياء المحذوفة." الظاهر أن العبارة تحتاج إلى تكملة: "... على الواو[المحذوفة]...".

١٧- جـاء فـي ص٧٢س ٣ من تحت في ذكره لأمر جماعة النساء من (وأى) مؤكداً ما نصه: " أما الواو التي هي فاء الفعل فحذفت لوقوعها بين ياء وكسرة في قولك: (عِئْي)..." الظاهر أن قوله " عِئْي " تحريف، وأن الصواب " يِئْي".

١٨- جــاء فــي ص٧٥س٦ مــا نصــه: " وإنما يُحَرَّك المبني لأمرين: أحدهمـــا: التقاء الساكنين. والآخر: شبهه بالمعرب[٣]." قال المحقق في الحاشـية(٣): " وذلــك كشبه الفعل المضارع بالاسم[كذا] انظر أسرار العربية٢٥، وإيضاح علل النحو٨٦".

١٩- جـاء في ص٨١س٣ من تحت في كلامه عن (قبل وبعد) ما نصه: "ويضـــافان إلى المفرد لأن الإبهام يزول به إذا كانا بعضه أو مضافين لــه مــن جنسه ." الظاهر أن قوله: " أو مضافين له من جنسه " غير واضح، ولم أنته فيه إلى شيء.

٢٠- جاء في ص٩١س٦ ما نصه: " وأما (هاتِ) ففعل صريح. يقال هاتا يُهاتــي مهاتــاةً مــثل رامى وحامى." الظاهر أن قوله: "هاتا" خطأ في الرسم الذي استقر عليه الناس، وأن الصواب: (هاتى).

٢١- جـــاء فـــي ص٩٤س٥ فـــي حديثه عن (جَيْر) ما نصه: ...وحُرِّك بالكســر لالتقاء الساكنين، ولم يكثر استعمالها ففتح كما فتحت (أين)." الظاهر أن قوله: " ففتح " تحريف، وأن الصواب: " فتفتح ".

٢٢- جاء في ص١٠٣س١ما نصه: " فإن قيل كان يمكن أن يقول" أبقلتَ إبقالهـــا. فيلقـــي كسرة الهمزة على التاء..." الظاهر أن قوله: " إبقالها" بقطع الهمزة هنا وهم، وأن الصواب " أبقلتِ ابقالها ".

٢٣- جـــاء فـــي ص١٠٤س٦ بيــت جرير المشهور في رثاء عبدالله بن الزبير- رضي الله عنه-:

لما أتى خبرُ الزبير تواضعت سُوُرُ المدينة والجبالُ الخُشَّعُ

الظاهر أن قوله: " سُوُرُ يُفَوِّتُ الاستشهاد وأن الصواب " سُوْرُ".

٢٤- جاء في ص١٢٧س١-٢في حديثه عن حرفية(أنّ وأنْ) الموصولتين مــا نصـــه: " ...لأن كونها موصولة يخرجها عن حكم الأسماء إذ من

حكــم الاســماء الــتمام، وكونها لا ٪ تعم حكم اكثر الحروف فعلم ان الاســمية تثبــت بدليل غير هذا." قال المحقق في الحاشية(٢): " (لا)، ســاقطة من م." الظاهر أن (لا) مقحمة في هذا السياق، وأن الصواب ما في (م).

٢٥- جــاء فــي ص١٢٨س٢ ومــا بعده ما نصه: " ولا يتقدّم شيء من الصــلة علــى الموصول...وذلك قولك" : سرني ما صنعتَ اليومَ. إن نصــبت: الــيوم ســرني جــاز تقديمــه وتأخــيره، وإن جعلته ظرفاً لــ (صنعت) لم يجز تقديمه بحال." الظاهر أن قوله: " اليومَ سرني" لا يــؤدي المعــنى، وأن الصــواب يكــون بالــتكملة الآتــية: "...اليوم[بـــ]سرني..." .

٢٦- جاء في ص١٣٣س٢-١من تحت في حديثه عن حذف أداة الاستفهام ما نصه: " وعلى هذا حملت قراءة من قرأ: [اتَّخَذْنَاهُم سِخْرِيًا] [٤]بكسر الهمزة." قال المحقق في الحاشية (٤): " سورة ص: ٦٣/٣٨، وقال في كتاب السبعة٥٥٦: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم: (سِخْرِيّاً) كسراً. وروى المفضل عن عاصم: (سُخريّاً) ضماً. وقرأ نافع وحمزة والكسائي(سُخْرِيّاً)ضماً. وهما لغتان. وانظر حجة القراءات لابن زنجلة٤٩٢، وقال ابن خالويه في الحجة٢٣٤: قوله تعالى (سخرياً) يقرأ بكسر السين وضمها، فالحجة لمن كسر أنه أخذه من (السّخْرِيا) [كذا] والحجة لمن ضم أنه أخذه من (السُّخْرة)، وانظر الإتحاف٣٨٩و٤٥٧. ومما يجدر ذكره أن (سخريا) وردت بالقراءتين في (سورة المؤمنون)٢٣/١١٠ وانظر السبعة٤٤٨." الظاهر أن المحقق وهِم فظنّ أن الشاهد في قوله (سخريّا). وموضع الشاهد صرح به المؤلف بقوله: " بكسر الهمزة " ، ولا همزة إلاّ في (اتخذناهم). وتحقيق الشاهد يكون على النحو الآتي: " وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم: [الأشرارِ *أَتَّخَذْناهم] بقطع الهمزة. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: [الأشرارِ * اتَّخَذْناهم] بألف موصولة." السبعة ٥٥٦. ومراد المؤلف بقوله: " بكسرِ الهمزة " أي في الابتداء؛ لأنها

أول آية ، فإذا ابتدئ بـ (اتخذناهم) كسرت الهمزة. ووجه الاستشهاد أن من قرأ بكسر الهمزة قَدَّر همزة الاستفهام محذوفةً لدلالة الكلام عليها. وهذا يوافق السياق؛ لأن المؤلف يتكلم عن حذف أداة الاستفهام.

٢٧- جاء في ١٦١س٦ ما نصه: "...لأن علامة التأنيث مفتوح ما قبلها أبداً، فهي كاسم ضمّ إلى اسم(٦) فيبقي الصدر بحاله." قال المحقق في الحاشية (٦): " في ح: فيجب أن يبقى الصدر بحاله" الظاهر أن ما في (ح) أولى بالإثبات هنا، ولا سيما أن المحققين عدّا النسختين أصلاً.

٢٨- جاء في ص١٦٢س٥ ما نصه:" فإن كان المؤنث بالألف رباعياً مثل (قَرْقَرا) ..." تكتب وفق القواعد الرسم التي استقر عليها الناس: "قرقرى" وإذا رُسمت كذلك في المخطوط يشار إلى ذلك في المقدمة فحسب. ووردت أيضا في الصفحة نفسها السطر الأخير: "...كما حذفت ألف (قرقرا)". ويُنظر التعليق رقم(٢٠).

٢٩- جاء في ص١٦٣س١-٢ في كلامه عن تصغير (حُبارى) ما نصه: " وأجاز بعضهم حذف ألف التأنيث وقلب ألف المد ياءً وزيادة تاء التأنيث فيقول: حُبَيرَة..." الظاهر أن قوله: " حُبَيْرَة" وهم، وأن الصواب: " حُبَيِّرَة ".

٣٠- جاء في ص١٧٣س٩ ما نصه: " فاما في المؤنث فقد قالوا: هذه وهاذي..." كذا. ويُنظر التعليق رقم(٢٨).

٣١- جاء في ص١٨٤س٨ في ذكره لقلب ألف (فاعل) في التكسير واواً ما نصه: " أحدهما: الفرق بين ألف (فاعل) وياء(فَيْعل) نحو: صَيْرَف وبَيْئَس فلو قلت: ضارب لجاز أن يقال الواحد: ضيرب" الظاهر أن قوله: "ضارب" تحريف، وأن الصواب " ضيارب " ؛ لأن مراد المؤلف أنهم لو قلبوا ألف (فاعل) في التكسير ياءً لقالوا بدل (ضوارب): ضيارب وهذا يمكن أن يظن أن واحده (ضَيرب) فيلتبس تكسير(فاعل) بتكسير (فَيْعل).

٣٢- جاء في ص١٨٨س قبل الأخير ما نصه: " فإن كانت العين واواً نحو: سُورة، لم تحرك لئلا تتقلب[٣]الواو بالضم أو تقلب ألفاً إن فتحت..." قال المحقق في الحاشية (٣): " في م: تنقل" الظاهر أن قوله: " تنقلب " تحريف، وقوله: " تنقل " تصحيف، وأن الصواب "تثقل" بالثاء.

٣٣- جـــاء فـــي ص١٨٩س٣-٤مـــا نصه: " ...نحو كُلْية، فالتسكين هو الوجـــه لما تقدّم في الواو، ولو فُتحت العين لأدى القياس إلى قلب اللام ألفـــاً أو حذفهـــا لالـــتقاء الســـاكنين." الظاهر أن قوله: " أو حذفها " تحريف، وأن الصواب " وحذفها ".

٣٤- جـــاء فـــي ص١٩٠ س٦-٥من تحت ما نصه: " فمن ذلك: (ليلة) جُمعـــت علـــى (لـــيالٍ)، وكان قياسها: (لِيال) مثل (جِفان)، أو ليلاً..." الظاهر أن قوله: "لِيال" سهو، وأن الصواب " لِيالاً".

٣٥- جـــاء في ص١٩٨س الأخير ما نصه: " ...وتقول: مررت بِرَجِلٍ - فتكســـر الجيم- ولا تقول: هذه رَجِلٌ لئلا تخرج من كسر إلى ضم في حشـــو. وتقـــول: هذا بُسُر، فتضم، ولا تقول:أكلت من بُسِرْ- فتكسر- لئلا تخرج من ضم إلى كسر لازم في حشو...] الظاهر أن قول"بِرَجِلْ" ســـهو، وأن الصـــواب "بِرجِلْ"؛ لأن الأصل: مررت بِرجْلٍ، ثم نقلت حركة اللام في الوقف إلى الجيم الساكنة، فأصبحت: بِرجِلْ. فلو كانت بِرَجِلْ. فهذا يعني أن الأصل " مررت بِرَجُلٍ " والجيم هنا ليست ساكنة فـــلا يصح النقل. والظاهر أيضاً أن قوله: " رَجِلٌ" سهو، وأن الصواب "رجُلْ" ويقال فيها ما قيل في التي قبلها إلاّ أن الحركة المنقولة في هذه ضـــمة. والظاهـــر أن قوله : "إلى كسر لازم " لا يؤدي المعنى، وأن الصواب يكون بالتكملة الآتية: " إلى كسر[غير] لازم"؛ لأن الكسر ليس من بنية الكلمة، وللمتحدث عنه مندوحة، فلا يَلْجأ إليه.

٣٦- جـــاء في ص٢٠٠س٤-٥في حديثه عن علة امتناع الإبدال في الوقف في حالي الرفع والجر ما نصه: "...والياء في الجر تلتبس بياء الجمع أو ضـــمير المتكلم أو ياء المتكلم[٣] ..." قال المحقق في الحاشية(٣): " في ح: ياء النسب ...) الظاهر أن قوله:"أو ياء المتكلم" وهم، وأن الصواب كمـــا فـــي (ح): " أو ياء النسب"؛ لأن المصنف قال قبلها: " أو ضمير المـــتكلم" وضمير المتكلم هو ياء المتكلم في هذا السياق لقوله: " والياء في الجر..." ولا ضمير للمتكلم في الجر إلاّ الياء.

٣٧- جاء في ص٢٠٢س٢ في حديثه عن إثبات التاء التي للتأنيث في الأسماء تاءً في الوقف عند بعضهم ما نصه: " ومنه قول[١]: يا أهلَ سورةِ البقرتْ، فقال مجيب: ما أحفظ منها ولا آيتْ، ولا يبدل هنا من التنوين ألفاً." قال المحقق في الحاشية (١): " كلمة (قول) ساقطة من (ح). الظاهر أن قوله: " قول" مقحم في هذا السياق، وأن الصواب إسقاطه كما في (ح). والظاهر أيضاً أن قوله: " ولا يبدل هنا من التنوين ألفاً" لا تؤدي المعنى، إذ ليس المقصود التنوين على إطلاقه، وأن الصواب يكون بالتكملة الآتية: "... من التنوين[في النصب] ألفاً." أي على لغة هؤلاء لا نقول في قولنا: " رأيتُ بقرةً " في الوقف: (بقرتا)، وإنما نقول أيضاً: بقرتْ كما هو الحال في الرفع والجر.

٣٨- جـــاء فـــي ص٢٠٣س٣ في حديثه عن لغة من ينقل حركة الهمزة المتطرفة في الوقف ويحذفها ما نصه: " ومنهم مَنْ يُلقي حركة الهمزة علـــى مـــا قـــبلها ويحذفهـــا فيقول: هذا الوَثُ بغير همزة في الأحوال الـــثلاث، لكن يضم الثاء في الرفع، وبفتحها في النصب وبكسرها في الجر كما كانت الهمزة كذلك." الظاهر أن قوله: " وبفتحها...وبكسرها" تصـــحيف، وأن الصواب: "... ويفتحها...ويكسرها..." بالياء؛ لأنه قال قبلها: "يلقي... ويحذفها فيقول ...يضم".

٣٩- جاء في ص٢١٠س٤ما نصه: " ألا ترى أنّ الألف في (ما) لو كانت منقلبة لكانت عن واو أو ياء ولو كان كذلك لخرجتا على الأصل

لأنهما في مثل ذلك ساكنان[٣]..." قال المحقق في الحاشية(٣) : " في ح: ساكنتان" الظاهر أن قوله: " ساكنان" تحريف، وأن الصواب "ساكنتان كما في (ح) لقوله: " لخرجتا ".

٤٠- جاء في ص٢٣٠س٦ما نصه " أما المكرر نحو وَسْوَسة وصيصة..." الظاهر أن قوله: " صيصة " تحريف، وأن الصواب: صِيْصِيَة " كما في سيبويه٢/٣٤٧، ٣٨٦ (بولاق).

٤١- جاء في ص٢٣١س الأخير ما نصه: " وأما إِدْرَوْن فإفْعَوْل لأنه مشتق من الدَّرْن لأنه دُرْديّ الزيت وذلك كالدَّرن." وجاء في ص٢٣٨ س٣ما نصه: " [مسألة: إِدْرَون: إفعول من الدَّرن، لأن معناه دُرديّ الزيت، ويقال أيضاً: فلان على إدرونه أي على أصله][٣]." قال المحقق في الحاشية(٣): " ما بين المعقوفتين من ح وهو مكرر وليس فيه زيادة إلا الجملة الأخيرة." الظاهر أن الكلام على (إِدْرَون) حقّه أن يكون في ص٢٣١؛ لأن المصنف تحدّث في هذا الموضع عن زيادة الهمزة وساق لذلك أمثلة منها (إِدْرَون) فهو- كما ذكر المحقق- مكرر في ص٢٣٨، ويشهد له بذلك عدم وروده في النسخة (م)، وكان الأولى أن تضاف في آخر كلامه عنه في ص٢٣١ الجملة الزائدة، وهي[ويقال أيضاً فلان على إِدْرونه أي على أصله] مع الإشارة في الحاشية إلى التكرار.

٤٢- جاء في ص٢٢٣س٢ ما نصه: " وأما أَرَوْنان فيحتمل ثلاثة أوجه: اظهرها أنها أَفْعَلان من الرَّون وهو الشدَّة. ويقال: يومٌ أَرَوْنان أي شديد[٣]..." قال المحقق في الحاشية(٣): " قال سيبويه٢/٣١٧: "وأَرَوْنان... وفي سفر السعادة١/٤٣...يوم أَرَوْنان ..." قوله: " أَرَوْنان" في المواضع الأربعة وهم، والصواب " أَرْوَنان"؛ لأن المصنف ذكر أن وزانه إمّا (أَفْعَلان) أو (أَفْوَعال) أو(فَوْعَلان)، وكلها تقتضي الضبط المشار إليه. ويُنظر سيبويه ٢/٣١٧، والممتع ٣٥٦،٣٥٧، وسفر السعادة١/٤٣، واللسان(رون).

٤٣-جاء في ص٢٣٧س٣-٤ في حديثه عن الهمزة في (إوزّة) ما نصه: " ...ولا يجوز أن تكون الهمزة والواو أصلين إذ ليس في الأصول (وزّ) [٢]..." قال المحقق في الحاشية(٢): " في ح: إذ ليس في الأصول كلمة مركبة: همزة، واو، زاي." الظاهر أن قوله: " وزّ " تحريف، وأن الصواب "أوز"، يشهد بذلك السياق وما في (ح). (يُنظر الممتع: ٧٤).

٤٤- جاء في ص٢٤٠س٨ ما نصه: " [مسألة: إصلِيت: إفعيل من صلَت وأصله السرعة] [٦]." قال المحقق في الحاشية (٦): " ما بين المعقوفتين ساقط من م ومكرر في ح وقد سبق ذكره." ما ذكره المحقق صحيح فقد ذُكرت العبارة في ص٢٣١ وكان الأولى الاقتصار على ما ورد في الحاشية دون تكرار العبارة في النص.

٤٥- جاء في ص٢٤٢س٦ ما نصه: " ومنها شَمْأل، بزيادة الهمزة ثانية وثالثة..." الظاهر أن قوله: "شمأل...وثالثة" لا يؤدي المعنى، وأن السياق يقتضي تكملة على الشكل الآتي: ".... ومنها [شَأْمَل] وشَمْأل..." (تُنظر حاشية المحقق رقم ٢).

٤٦- جاء في ص٢٤٦ س قبل الأخير ما نصه: " وزائدة للتكثير كألف (قَبَعْثَرى) وليس للإلحاق إذ ليس في الأسماء[٧] سداسي فتحلق به." قال المحقق في الحاشية (٧): " في م: (في الأصل)." الظاهر أن الصواب في الجمع بين النسختين، مع عَدّ لفظة " الأصل " في (م) محرّفة، فيكون: " إذ ليس في أصول الأسماء...".

٤٧- جاء في ص٢٦٨ س٤في باب زيادة التاء ما نصه: " وأنتما تقومان للمؤنثين." الظاهر أن قوله: " للمؤنثين" تصحيف، وأن الصواب "المؤنثتين".

٤٨- جـاء فـي الصفحة نفسها س٧ما نصه: " وقد زيدت التاء أولاً في الأسـماء نحـو: (تُرْتـب)، وفيه ثلاث لغات: فتح التاء الأولى وضم الثانية،وضـم الـتاء الأولى وفتح الثانية، وضمهما فيلزم مثل ذلك في الثالثة. والثاني أنه الشيء الراتب فاشتقاقه من رَتَبَ أي: ثَبَت واطَّرَد." الظاهـر أن قوله: "...وضمهما فيلزم مثل ذلك في الثالثة." لا معنى له، وأن قولـه: " الثاني " لا أول له، وأن المعنى يظهر بالتكملة الآتية التي أفدتها من حديثه عن " تتفل " في ص٢٦٩: "...وضمهما[والتاء الأولى زائـدة لأمرين: أحدهما: زيادتها واجبة على اللغة الأولى والثانية لعدم النظـير] فيلزم مثل ذلك في الثالثة. والثاني..." فبهذه التكملة أو بمثلها يلتئم السياق الذي أشار المحقق إلى اضطرابه في الحاشية (٥). ومراد المصـنف أنه لما كانت زيادة التاء واجبة في اللغة الأولى والثانية لعدم النظـير وجـب الحكم بزيادتها في اللغة الثالثة مع وجود النظير، وهو (بُرْثُن) حملاً على زيادتها في اللغتين الأولى والثانية.

٤٩- جـاء في ص٢٦٩س٢-٣في حديثه عن زيادة التاء في (تنضب) ما نصه: "...والثاني أن (تَنْضُباً) شجر طويل دقيق الأغصان، فهو من معـنى نضوب الماء، فكأن الماء بَعُدَ عنه، ومثله الشوط[٢][كذا] وهو شـجر يُشْبِهه كأن الماء شَحِطَ عنه." قال المحقق في الحاشية (٢): " فـي م: الشـحوط؟ والشوحط: شجر تصنع منه السهام." الظاهر أن قولـه: :" الشـوط " تحريف، وأن الصواب: "الشوحط" كما في (ح)، ولا حاجـة لعلامـة الاسـتفهام التـي وضعها المحقق في الحاشية. والظاهر أيضاً أن قوله : " شَحِطَ " وهم، وأن الصواب " شَحَطَ ".

٥٠- جـاء في الصفحة نفسها س٣ من تحت وما بعده في حديثه عن علة زيـادة التاء في (تَتْفُل) ما نصه: "...والثاني أنه قريب من معنى التَّفْل وهـو البَصْـق، لأن وَلَدَ الثعلب وهو التَّتْفُل يجري في مشيه بسهولة كرقَّة البصاق، أو كأنه يَقْذِفُ جَرْيَه كقَذْفه البُصاق[٦]." قال المحقق في الحاشـية (٦): كلمـة (البصاق) ساقطة من (ح)." الظاهر أن قوله:"

البصـــاق" مقحم في هذا السياق، وأن الصواب إسقاطه كما في (ح)؛ لأن الهاء في قوله: " كقذفه " تعود إلى البصاق المذكور آنفاً.

٥١- جـــاء فـــي ص٢٧٠ س٤ ما نصه: " وأما (التصدير)[٢] فتاؤه زائدة لأنـــه مـــن الصَّـــدر." قـــال المحقق في الحاشية (٢): " في ح: وأما التصـــدير للجبل." الظاهر أن ما في (ح) هو الصواب، لأن التصدير مصـــدر (صَـــدَّر) ولا أحـــد يشك بزيادة التاء فيه؛ لذلك يكون مراد المصنف (التصدير) اسماً للجبل.

٥٢- جاء في ص٢٧٤س٦ وما بعده في حديثه عن (راق يريق) ما نصه: " فإذا أردت تعديته زدت عليه همزة فقلت: أرَقْتُه مثل: بات وأَبَتُّه، فإذا قالوا : أَهْرقته فقد زادوا الهاء، ومنهم من يقول: هَرَقْتُ الماء، فالهاء هنا بدل من الهمزة. فإذا بنيت منه اسمَ الفاعل قلت على الأول فهو مُهَرِيق، والمفعول مُهَراق. فالهمزة محذوفة والهاء تحركت كما كانت في الفعل، ونظيره من الصحيح: أكرمَ. إذا زدت عليه الهاء قلت: أُهَكْرِم فهو مُهَكْرِم والأصل٠ مؤهكرم. فأما من أبدل الهمزة هاءً فقال: هراق، فاسم الفاعل: مُهَرِيق وأصله مثل: مُؤرِيق. ثم نقلت حركة الياء إلى الراء وسكَّنت الهاء..." والظاهر أن قوله " مُهَرِيق " الثانية وهم، وأن الصواب " مُهْرِيق " بسكون الهاء. الظاهر أيضاً أن قوله: " مُؤرِيق " تحريف، وأن الصواب " مُهَرِيق "؛ لأن مراد المصنف أن كسر الراء في البناءين (مُهَرِيق ومُهْرِيق) هو من نقل حركة الياء إليها.

٥٣- جاء في ص ٢٧٦س٤ من تحت ما نصه: " ومما يوقف عليه بالهاء والنون بعد الواو والياء نحو: مُسْلِمُونَهْ ومُسْلِمينَهْ..." والظاهر أن الواو في قوله: " بالهاء والنون " مقحمة في هذا السياق، وأن الصواب "... بالهاءِ النونُ...".

٥٤- جاء في ص٢٨١ س٣ ما نصه: " وأما الإلحاق إذا كان حشواً فيكون بالـياء والواو والنون..." ثم مثّل لإلحاق الواو ثانية وثالثة، وكذلك فعل فيما يخص الياء، ولم يمثل لإلحاق النون حشواً.

٥٥- جاء في ص٢٨٤ س٥-٦ ما نصه: " فإن قيل لمَ فرّقوا بين العوَض والـبدل فيما ذكرت؟ البدل في اللغة من جنس المبدل منه..." الظاهر أن في العبارة سقطاً، وأن تكملتها: "...ذكرت؟ [قيل]: البدل...".

٥٦- جـاء في ص٢٨٥س٤ من تحت في حديثه عن بدل الحروف، وأنه علـى ضربين: مقيس وغير مقيس، وأن المقيس ضربان : لازم مطرد ولازم غـير مطـرد مـا نصـه: " وأما ما ليس بلازم ولا مطرد فهو الجائـز..." الظاهر أن قوله: " ما ليس بلازم ولا مطرد فهو الجائز" لا يـؤدي المعـنى، وأن الصواب يكون بالتكملتين الآتيتين: " وأما ما ليس بلازم [مطرد] ولا [لازم غير] مطرد فهو الجائز..." .

٥٧- جـاء في ص٢٨٩س٣ وما بعده في ذكره لتخريج فتح الراء من قول الراجز:

أيومَ لم يقدرَ أم يومَ قُدِرْ

مـا نصه: " وقال أبو الفتح: قدَّر الراء متحركة بحركة الهمزة المجاورة لهـا كمـا همـزوا الـواوَ السـاكنة لانضمام ما قبلها نحو: (المؤقدان) و(مؤسـى) ثم همزة الألف لسكونها وسكون الميم بعدها. قلت: ولو قيل: إنه ألقى حركة الهمزة على الراء وأبدلها ألفاً ثم عمل ما ذكر كان أوْجه لأنـه أقل عملاً. و(السؤق)، ثم أبدل من الهمزة ألفاً كما قال في المرأة: مَـراة، وفـي الكَمْأة: كَماة." الظاهر أن العبارة مضطربة، واضطرابها ممـا حصـل فيها من تقديم وتأخير، وأن الصواب "وقال أبو الفتح: قدَّر الـراء ...نحو: (المؤقدان) و(مؤسى) و(السؤق) ثم أبدل من الهمزة ألفاً كمـا قـال فـي المرأة: مَرَاة وفي الكَمْأة: كَمَاة، ثم هَمَزَ الألف لسكونها

وســـكون الميم بعدها. قلتُ: ولو قيل: إنه ألقى...لأنه أقل عملاً." (ينظر ســـر الصـــناعة ٧٩/١). والظاهر أيضاً أن قوله: "همزة " تحريف، وأن الصواب "هَمَزَ".

٥٨- جاء في ص٢٩٣س٩ في سياق حديثه عن قلب الواو همزةً إذا كانت عيناً في (فاعل) ما نصه: "...وكان قياس ذلك أن تقلب ألفاً إلاّ أن قلبها ألفاً فلم يجمع بين ساكنين." الظاهر أن قوله: " ...إلاّ أن قلبها ألفاً فلم يجمع بين ساكنين" لا معنى له، وأن صواب العبارة بالتكملة الآتية: " ...ألفاً [يعني الجمع بين ساكنين] فلم يجمع بين ساكنين." فبهذه التكملة أو بنحوها يلتئم السياق.

٥٩- جاء في ص٢٩٦س٤في كلامه عن إبدال الهمزة من الياء ما نصه: " وأمـــا إبدالهـــا مـــن الياء فقد جاء شاذاً في أَيْد، قالوا: قطع الله أَدَوهُ وأَدَيَـــه..." الظاهـــر أن قوله: " أيد" تحريف؛ لأنه جمع بين البدل وهو الهمزة والمبدل منه وهو الياء، وأن الصواب " أد ". والظاهر أن قوله: " أدَيــه " وهـــم، وأن الصواب " أَدْيَهُ ". وقولهم: " أدْيِّ " يكون بإعادة الياء المحذوفة التي هي لام (يد). (يُنظر الممتع ص٣٤٦).

٦٠- جاء في ص٢٩٨س٦-٧ ما نصه: " وأما إبدال الهمزة من الهاء فقد جاء ذلك في حروف ليست بالكثيرة، والوجه في إبدالها أن مخرجيهما مـــتقاربان إلاّ أن الهاء خَفية والهمزة أبين منها، فأبدل الخفي من البين" الظاهر أن قوله " فأبدل الخفي من البين " وهم، وأن الصواب: " فأبدل البين من الخفي".

٦١- جـــاء فـــي ص٣٠٢س٨-٩مـــا نصه: " وقيل: إن الياء والواو إذا تحركـــتا صارت كل واحدة منهما بمنزلة حرف مدّ. قالوا: والمفتوحة كواو وألف..." الظاهر أن قوله: " والمفتوحة " تحريف، وأن الصواب: " قالوا: الواو المفتوحة..." .

٦٢- جــاء فــي ص٣٠٧س٣ ما نصه: " وإنما كان كذلك لأن الهمزة إذا انفــردت ثقــل النطق بها، فإذا انضم إليها أخرى تضاعف الثقل، وإذا تصــاقبا وسُــكنت الثانية ازدادت الكلفة بالنطق بها ولا سيما إذا أراد الــنطق بواحدة بعد أخرى." الظاهر أن قوله: " تصاقبا " تحريف، وأن الصــواب " تصــاقبتا "؛ وذلــك لقوله: " انفردت...بها... إليها أخرى تضــاعف " والظاهــر أيضاً أن قوله: " أراد " تحريف، وأن الصواب "أُريد"؛ وذلك لقوله: " سُكِنت ".

٦٣- جاء في الصفحة نفسها س الأخير ما نصه: " وإذا صغرتَ آدم أو جمعته أبدلت الألف واواً فقلت: أُوَيْدم وأوادِم، كما تقول: في ضارِب: ضُوَيرِب وضَوارِب..."؛ الظاهر أن قوله:" ضارب: ضُويرب" تحريف، وأن الصواب فيهما:"ضاربة: ضُوَيْربة"، لأن (فَواعِل) لا يكون جمعاً لـــ (فاعل) وصفاً، وإنما هو جمع (فاعلة). (يُنظر سر الصناعة٢/٥٧٩) (وشرح الشافية: ٢/١٥٨).

٦٤- جـــاء في ص٣٠٩س٢ما نصه: " الألف في قولهم: أإدني من فلان بمعـــنى: أنصـــفني، بـــدل مـــن الهمزة..." الظاهر أن قوله : "(أإدنيْ) تحريف ، وأن الصواب(آدِني)

٦٥- جاء في الصفحة نفسها س٨ في ذكره لأصل ألف (آدني) ما نصه: "والآخر هي بَدَلٌ من الياء في (يد) لأنهم يقولون: يَدَيِ وأدْيٌ، وهذه الهمزة بدل من الياء، والمعنى: كن أيداً عليه." الظاهر أن قوله : "يَدَي وأدْيٌ " وهم؛ وأن الصواب " يَدَى وأدَى". (ينظر التاج "يدي") والظاهر أيضاً أن قوله : " أيداً " تحريف؛ لأنه جمع بين البدل وهو الهمزة والمبدل منه وهو الياء، وأن الصواب " يداً ". ومراد المصنف أن معنى قولهم: " آدِني " على هذا التأويل: كف يداً عليه. وأغلب الظن أن العبارة لا تؤدي المعنى، وأنها تحتاج إلى التكملة الآتية: " كن يداً [لي] عليه".

٦٦- جاء في الصفحة نفسها س١٠ ما نصه: قال " المبرد: هي من الأيد والأد وهـو القوة..." الظاهر أن قوله: " الأد " تحريف، وأن الصواب "الآد" بالمد (يُنظر التاج: أيد).

٦٧- جاء في ص٣١٨س٥ من تحت بعد ذكره لشروط قلب الواو ياءً في نحـو (حوض وحياض) ما نصه: "... وعلى هذا صحت في (عَوان) لأنـه واحد ولم تتكسر الفاء، وكذلك صَوْغ." الظاهر أن قوله (صَوْغ) تحريف، وأن الصواب:" صُواع "؛ لأن المصنف ذكر هنا ألفاظاً وقعت فيها الواو قبل ألف، فذكر (حياض) و(عوان) ثم بعد تعليله لعدم القلب في (عوان) قال: " وكذلك" وهذا يدل على أن اللفظة التي سيذكرها بعد " كذلـك" مساوية لـ (عوان) في الحكم، و(صُواع) كذلك، فهي مفردة كـ(عـوان)، وفاؤهـا مثل فاء (عوان) غير مكسورة. والمؤلف أراد بـالأولى التي في قوله تعالى: [عَوان بين ذلك] (البقرة:٦٨)، وبالثانية التي في قوله تعالى: [صُواع الملك] (يوسف:٧٢).

٦٨- جـاء فـي ص٣١٩س الأخير ما نصه: " وقد أبدلت الواو ياءً في (أفعِـل) ممـا لامـه واو نحو: دَلْوٌ وأدْلٍ وجَرْوٌ وأجْرٍ..." الظاهر أن قوله: "أفعِل" وهم، وأن الصواب " أَفْعُل "؛ لأن (دَلْواً وجَرْواً) إذ كُسِّرا في العلة فالأصل أن نقول: " أدْلُوٌ وأجْرُوٌ"، ثم قلبت الواو ياءً لتطرفها إثـر كسـرة في لفظة عربية معربة، ثم أُعلاّ إعلال المنقوص. (ينظر شذا العرف:٧٣جموع القلة).

٦٩- جـاء في ص٣٢٠س٣ ما نصه: " ومما جاء من المصادر من ذلك: عُتَـيٌّ، والأصـل: عُـتُوّ. فأبدلوا من الضمة كَسْرةً فانقلبت الواو ياءً لسـكونها وانكسـار مـا قبلها، ثم وقعت الواو الثانية بعد ياء وكسرة فأبدلت ياء وأدغمت الأولى فيها." الظاهر أن قوله: " عُتَيّ " بفتح التاء وهم، وأن الصواب " عُتِيّ " بكسر التاء.

٧٠- جـــاء فـــي ص٣٢٥ س٢ في حديثه عن اصل الياء في (دريه) ما نصـــه: " أحدهما من الراء وأصلها ذرّوة، فأُبدلت الراء واواً ثم أُبدلت من الضمة كسرة فانقلبت الواو الأولى ياءً والثانية كذلك ثم أدغم الأول في الثاني." الظاهر أن قوله: " ذرّوة " تحريف، وأن الصواب: ذُرُّوْرَة" (يُنظر التاج: ذرّ).

٧١- جاء في الصفحة نفسها س١ من الحاشية نقلاً عن (البغداديات) ما نصه: "...أن يكون (ذرِّيَّة) فُعْلُولة من الذَّر، كأنه: ذَرَوْرَة..." الظاهر أن قوله "ذَرَوْرَة" وهم، وأن الصواب: " ذُرُّوْرَة " كما أسلفت في التعليق.

٧٢- جـــاء في ص٣٤٦س٤-٥في ذكره لإبدال الهاء من الألف ما نصه: "وقالوا الأصل في (مهما): ماما، فأبدلوا من الألف الأولى هاءً في أحد القولين، وقد ذُكر في حروف الشرط، وقد جاء في الشرط[٣] بعد (مَهْ) نـــريد بعد: ما." قوله: " وقد جاء في الشرط بعد (مَهْ) نريد بعد: "ما " غـــير واضــــح، ولم أنته فيه إلى شيء. وقال المحقق في الحاشية ٣): "في ح: في الشعر."

٧٣- جـــاء في ص٣٤٨س٤ من تحت في الفصل الذي عقده لإبدال الدال مـــا نصه: " وأما الذال فكقولك من ذَرَأ اذَّرأ والأصل: اذْتَرَأ ، فقلبت الـــتاء دالاً، والذال دالاً..." الظاهر أن قوله: " اذّرأ " بالذال تصحيف، وأن الصواب: " أدّرأ " بالدال.

٧٤- جاء في ص٣٦٨ س٣ من تحت في ذكره لأصل (أشياء) ما نصه: "وفيها قول رابع: أن الواحد شَيْء ثم جمع على أشياء شاذاً كما قالوا: سَمْح وسُمَحاء فأجْرَوا فَعَلاء مجرى فعيل في الجمع كـــ (عليم وعُلماء)." الظاهر أن قوله " فُعَلاء" وهم، وأن الصواب " فَعْلاً ". (يُنظر شرح الشافية ١١٨/٢).

٧٥- جـاء فـي ص٣٩٩س قبل الأخير: " قد تُنقل الحركة إلى ما بعدها لضـرب من التخفيف أو المجانسة، فمن ذلك قوله تعالى: [ويَخْشَ الله ويَتَّقْهِ]، تُقْرأ بكسر القاف وإسكان الهاء، والأصل كسرُ الهاء لأنها هاء الضمير إلاّ أنهم سكنوا القاف والهاء، وأما الهاءُ فوقفوا عليها فسكّنت، وأمـا القـاف فخففوهـا كما سكّنوا التاء في كَتْف: وشبهوا المنفصل بالمتصل...". قوله: " تقرأ بكسر...، والأصل" لا يؤدي المعنى في هذا السـياق، والظاهـر أن السـياق يحـتاج إلى تكملة على النحو الآتي: "...وإسـكان الهاء،[وبإسكان القاف وكسر الهاء]. والأصل..." (يُنظر الكشف٢/١٤٠-١٤١).

٧٦- جاء في ص٤٠٨س١ في حديثه عن جمع (خطيئة) ما نصه: "أحدها أنـك لَيَّنْـتَ همزت (خطيئة) فبقي مثل عَطيَّة، فلما جمعت زدت ألف التكسـير، وهمـزت اليـاء الأولى، ووقعت الياءُ بعدها، فصار اللفظ: خطـاأي، مـثل عـذراء وعذاري...وقال الخليل: تجمع خطيئة على خَطَائـي أي بهمزتيـن مثل: سفائن..." الظاهر أن قوله: " خطاً أي " وهـم، وأن الصواب " خَطائِيء" بهمزتين في الطرف. والظاهر أيضاً أن قولـه: " خَطـا أئـي" وهم، وأن الصواب " خَطائِئ" بهمزتين في الطرف. (يُنظر شذا العرف١١٧ فصل في قلب الهمزة ياءً أو واواً).

٧٧- جـاء فـي ص٤٠٩س٨ فـي كلامـه عن جمع شاوية وراوية ما نصـه:"..فصـار: شَـوَاأي." الظاهر أن قوله: " شَوَا أي " وهم، وأن الصواب: " شَوائِي " (يُنظر التعليق رقم٢٠).

٧٨- جاء في ص٤١٢س٩ ما نصه: " إذا أُدْغمت الواو و الياء فيما بعدهما ولم تكن محاورةً للطرف تحصنت من القلب..." الظاهر أن قوله " والياء" تحريف، وأن الصواب " أو الياء " . والظاهر أيضاً أن قوله: " بعدهما " تحريف، وأن الصواب " بعدها "؛ لأن المؤلف قال بعد ذلك: " ولم تكن مجاورةً...تحصنت...".

٧٩- جاء في ص٤١٤س٢ ما نصه: " فإن كانت العين واللام ياءين نحو: حَيِيْ وعَيِيْ ففيه وجهان: التصحيح الأصل، والإدغام..." واضح أن قوله: " حَيِيْ وعَيِيْ " وهم، وأن الصواب " حَيِيَ وعَيِيَ " بفتح الياء الثانية فيهما. والأشبه أن قوله: " التصحيح الأصل " سقط منه، وأن تكملته: " التصحيح [وهو] الأصل".

٨٠- جاء في ص٤١٥ س٣ وما بعده في نفس السياق ما نصه: " ...قلت على الوجه الأول: حَيِيا فجمعت بينهما لأنه موضع يجب فيه تحريك الحرفين. ومع الواو: حَيُّوا وعَيُّوا، فتحذف الثانية لثقل الضمة عليها." الظاهر أن قوله " حَيُّوا وعَيُّوا " وهم، وأن الصواب: حَيُوا وعَيُوا " بياء واحدة؛ لأن المؤلف قال بعد ذلك: " فتحذف الثانية..." وكلامه هنا عن الوجه الأول أي وجه التصحيح لا عن الوجه الثاني أي وجه الإدغام.

٨١- جاء في الصفحة نفسها س٧ في نفس السياق السابق مانصه:"...فتقول على اللغة المشهور: حِيّ وعِيّ فتنقل كسرة الياء الأولى إلى الحرف الأول وتُدغم، وإن أشرت هناك أشرت هنا(٣)." قال المحقق في الحاشية(٣): " هكذا وردت العبارة في م وح. وكأن صوابها: وإن أشممت هناك أشممت هنا " الظاهر أن قول المحقق صواب محض، لا يحتاج إلى " كأن " وكان الأولى والأجدر أن يثبت ذلك في النص، ويشير في الحاشية إلى أن (أشرت) في الموضعين تحريف.

٨٢- جاء في الصفحة نفسها س١١ ضمن السياقين السابقين ما نصه:"...قلت على لغة التصحيح: أُحْيِيَ وأُعْيِيَ، وفي الجمع أُحيّوا وأُعَيّوا، فحذفت الياء الثانية لما تقدّم." الظاهر أن قوله: " أُحيّوا وأُعَيّوا" وهم، وأن الصواب " أُحْيُوا وأُعْيُوا" لقول المؤلف بعد ذلك: " فحذفت الياء الثانية". (يُنظر التعليق رقم ٨٠).

٨٣- جـــاء فـــي ص٤١٨س١ ومـــا بعـــده ما نصه: "فأما الحَيَوانُ" فقال المازنـــي: الواو أصل إذ لا موجب لانقلابها عن شيء، وزعم أن هذا الأصــــل لم يشتق منه فعلٌ بل هو كقولهم: فاضَ الميتُ فَيْضاً وفوضاً، فالياء توحّد في التصريف، والواو لم يجئ منها فعِل" الظاهر أن قوله " توحّـــد" تصـــحيف، وأن الصـــواب " توجد" بالجيم من غير تشديد. والظاهر أن قوله: " فعِل " وهم، وأن الصواب " فعلٌ ".

٨٤- جاء في ص٤٣١س٤ من تحت وما بعده ما نصه: " وكذلك إنْ قال: ابـــنِ مـــن (عَلِـــم) مثل: عَنْسل، لأنك لو فعلت ذلك لقلت: عَلّم، وإنْ أظهـــرت النون خالفت باب الإدغام وكذلك إن بنيت منه مثل عمل لأن الـــنون الساكنة تدغم في الميم..." الظاهر أن قوله: " إنْ بنيت منه مثل عمل" لا يؤدي المعنى، وأن الصواب " إنْ بنيتَ مثله من عمل ".

٨٥- جـــاء فـــي ٤٣٢س١ وما بعده ما نصه: " إذا قيل: ابنِ من قَرَأَ مثل دَحْـــرَجَ أو جَعْفَر قلت: قَرْأَ ا، فقلبت الهمزة الثانية ألفاً لثقل الجمع بين همزتيـــن، وكانت الألف أولى لسكونها وانفتاح ما قبلها فإن بنيت مثل درهـــم...وإن بنيـــت مثل: بُرْثُن...وإن بنيت مثل (سفرجل)..." قوله: "قَـــرْأا" ترســـم " قَرْآ " (يُنظر التعليق رقم٢٠). والظاهر أن في قوله: "فـــإن بنيـــت مـــثل...وإن بنيت مثل... وإن بنيت مثل..." سقطاً، وأن تكملـــته: " فـــإن بنيـــت[منه] مثل...وإن بنيت [منه] مثل.... وإن بنيت [مـــنه] مـــثل...". ويؤيـــد ذلـــك قـــول المؤلـــف فـــي الصفحة نفسها س ٣، ٧، ١٢، ١٤: "...بنيت منه مثل...".

٨٦- جـــاء فـــي الصفحة نفسها س٧ من تحت وما بعده ما نصه: " فإن بنيـــت منه مثل: جَحْمَرِش قلت: قَرْأَإِء، فأبدلت الثانية ياءً ثم قلبتها ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها. فإن بنيت منه مثل جَحَنْفَل قلت: قَرَأْيَأ، فقلبت الثانـــية يـــاءً ثم ألفاً لما تقدّمَ." الظاهر أن قوله: " قَرْأَإِء" تحريف، وأن الصـــواب " قَـــرْآء"، لأن المؤلف قال بعد ذلك: " فأبدلت الثانية ياء ثم

قلبــتها ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها." والظاهر أيضا أن قوله: " ثم ألفا لما تقدّم" مقحم في هذا السياق.

٨٧- جاء في ص٤٣٣س٢وما بعده ما نصه: " وإن بنيت من غَزا ورَمَى مثل كتفٍ قلت: غزٍ ورَمٍ، فقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها فصار مثل: شجٍ وعمٍ...فإن بنيت منهما مثل سَفَرْجَل قلبت الأخيرة ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ولم تُغَيَّر الأولى ولا الثانية للتحصن بالإدغام فتقول: غزوّا. فإن بنيت مثل حَجْمَرِش ففيه وجهان:... والثاني: غَزْوَاوٌ فتقلب الوسطى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها. ولم تغيّر الأولى لسكون ما قبلها وما بعدها، وإلاّ تجمعُ بين إعلالين...." الظاهر أن قوله: " غزوّا فإن بنيت مثل..." يحتاج إلى التكملتين التاليتين: " غزوّا [ورَمَيّا] فإن بنيت [منه] مثل...". والظاهر أن قوله: " وإلاّ تجمعُ" تحريف، وأن الصواب " ولئلا تجمعَ ".

٨٨- جاء في ص٤٣٤س٩ وما بعده:"فإن بنيتَ من (حَيِيَ) مثل عُصفُور قلت: "حُيويّ" على لفظ النسب، والأصل: حُيَّوي بثلاث ياءات، فأدغمت الأولى في الثانية لسكونها، واجتمعت الواو والياءُ الأخيرة، وشرط القلب فيها موجودٌ فصار اللفظ بها: حُيّيا بياءين مشدّدتين، فقلبت الثانية واواً فصار حُيُوِيّاً مثل: أمُوِيّ. فإن بنيت مثلها من أوى، فالأصل أن تقول: وُيْؤوي فلام الكلمة ياءٌ فتجتمع الواو والياء، والأولى ساكنة فتصير إلى الياء المشددة. والياء الأولى خفيفة مضمومة فيصير: وُيُؤيّ، فإن بنيت مثلها من أَوَى قلت: أُيِّيٌّ، ثم تصير إلى لفظ النسب فتقول: أُيويّ." الفقرة السابقة فيها كلمات تحتاج إلى فضل ضبط، وفيها أمور عدة سأقف عندها. أما ما يحتاج إلى فضل ضبط فقوله: " حُيويّ " :"حُيُويٌّ"، وقوله:"حُيَّوي":"حُيَّوْيٌ" " أُيويّ " : " أُيْوِيٌّ". وأما الأمور الأخرى فهي:

أ- الظاهرأن قوله: " حُيَيّا " وهم وأن الصواب: " حُيَّيٌّ "؛ إذ لا وجود لألف بالطرف هنا بدليل قوله: " حُيُوِيّ " في صورتها الأخيرة أي بعد قلب الياء الثانية واواً.

ب- الظاهر أن قوله: " وُيْؤوِيٌّ " وهم، وأن الصواب " وُؤَيْوِيٌّ "؛ لأن ثاني (وأى) همزة لا ياء.

ج- الظاهر أن قوله: " وُيَؤيٌّ " وهم، وأن الصواب " وُؤوِيٌّ"؛ لأن (وُؤَيْوِيّ) إذا أدغمت ياؤه الأخيرة بالواو التي قبلها بعد قلب الواو ياءً يصير: " وُؤَيِيّ "، فيصير على لفظ النسب(أي قلب الياء الأولى واواً كما في عَلَوِيّ): " وُؤْوِيٌّ ". ينظر التعليق الآتي (د).

د- الظاهر أن قوله: " فيصير وُؤْوِيٌّ " لا يؤدي المعنى، وأن تمام السياق يكون بالتكملة الآتية: فتصير [إلى لفظ النسب فتقول]: وُؤْوِيٌّ ".

هـ - الظاهر أن قوله: " فيصير " الوارد في التعليق (د) تصحيف، وأن الصواب " فتصير "؛ ليوافق ما قبله: " فتصير إلى الياء " وما بعده: " ثم تصير...".

و- الظاهر أن قوله: " أُيَيّ " وهم، وأن الصواب " أُيَيٌّ".

٨٩- جاء في ص٤٣٥س١ ما نصه: " باب ما يعرف به المقصور من الممدود. قد ذكرنا في أول الكتاب أن المقصور لا يكونُ إلاّ في المعرب، فإن سُمي شيء من المبنيات مقصوراً أو ممدوداً فعلى التجوز لوجود مد الصوت فيه أو قصره." الظاهر أن قوله: " أن المقصور لا يكون إلا في المعرب " لا يؤدي المعنى، وأن تمام السياق لا يكون إلا بالتكملة الآتية: " أن المقصور [والممدود]..."؛ لأن المؤلف قال بعد ذلك: " فإن سمي شيء من المبنيات مقصوراً أو ممدوداً...". والظاهر أن قوله " لايكونُ " تحريف، وأن الصواب: " لا يكونان ".

٩٠- جاء في ص٤٣٦س١ ما نصه: " أمثلة ما يعرف به المقصور وهي أربعة: الأول: المصدر وشرطه أن يكون فِعْلُه على فَعِل يَفْعَل فهو: أفعل أو فَعِل [أو فعلان] [٢]..." قال المحقق في الحاشية(٢): "زيادة من ح." والأولى أن توضع التكملة في مكانها الصحيح على النحو الآتي: " فهو: أفعل[أوفعلان] [٢] أو فَعِل..."؛ لأن المصنف بدأ بالتمثيل لـ (أفعل)، ثم ثَنّى بالتمثيل لـ (فعلان)، ثم مَثَّل لـ (فَعِل) آخراً.

٩١- جاء في ص٤٣٧ س٦ ما نصه: " والقسم الثاني من أقسام المقصور اسم المفعول وهو كلُّ معتل اللام زائد على ثلاثة أحرف..." قوله: "وهو كلّ..." لا يؤدي المعنى، والأشبه: " ...اسم المفعول مِنْ كلٍّ معتل اللام...".

٩٢- جاء في الصفحة نفسها بعد قوله السابق ما نصه: " فاسم المفعول منه مقصور نحو: أُعْطِيَ فهو مُعْطًى، وحُلِّي هو مُحَلّىً..." الظاهر أن قوله " هو " تحريف، وأن الصواب: " فهو "؛ ليوافق ما قبله: " ...فهو مُعْطًى " وما بعده: " ...فهو معافًى " و "... فهو مُستدعىً" و " ...فهو مُشْترىً".

٩٣- جاء في ص٤٣٩س١ ما نصه: " فصل وأما الممدود المعروف من جهة القياس..اعلم أن الممدود..." لم يوضح لنا المحقق في الحاشية مراده بالنقطتين اللتين وضعهما بعد قوله: " جهة القياس "، والسياق غير ملتئم، والتئامه يحتاج إلى تكملة، لم انته إلى شيء فيها.

٩٤- جاء في ص٤٤٠س٤-٥ ما نصه: " ومن المصادر الممدودة ما كان فِعْلُه على أكثر من أربعة أحرف وفي أوله همزة وصل، ومن معتل اللام..." الأشبه أن السياق يحتاج إلى التكملة الآتية: "...وصل، و[هو] من معتل...".

٩٥- جاء في الصفحة نفسها س١٠وما بعده: " ومن المصادر الممدودة ما كـان صـوتاً معتلاً على فُعال نحو: الدعاء...وعلى فِعال: النداء..."؛ الظاهـر أن العـبارة تحـتاج إلـى الـتكملة الآتـية: "وعلـى فِعال [نحو]: النداء..."لتوافق ما قبلها.

٩٦- جـاء في ص٤٤١س٥ من تحت وما بعده ما نصه: " فأما خليفة فقد يجمـع على خلفاء، وهو للمذكر وفيه وجهان: أحدهما: أنه لمّا اختص بالمذكـر كـان بمنزلة ما لا تاء فيه. والثاني: أنه يجمع على خليف ثم يقـال: خلفـاء. فعلـى هذا هو من الباب." الظاهر أن قوله: (يجمع) تحريف، وأن الصواب " يجيء "، فقد ورد في (تاج العروس): (خلف) ما نصه: "...كالخليف بغير هاء أنكره غير واحد، وقد حكاه أبو حاتم، وأورده ابـن عـباس في (المحيط) وابن بري في (الأمالي) وأنشد أبو حاتم لأوس بن حجر:

إن مِن الحيّ موجوداً خليفته وما خليف أبي وهب بموجود

...وقـالوا أيضـاً (خلفاء) من أجل أنه يقع على المذكر، وفيه الهاء جمعوه علـى إسقاط الهاء، فصار مثل ظريف وظرفاء...هذا كلام الجوهري ومثله فـي (العـباب)، وهو نص كلام ابن السكيت . وعلى قول أبي حاتم وابن عباد لا يحتاج إلى هذا التكلف."

٩٧- جـاء فـي ص٤٤٤ س الأخير: " فإن وقعت الهمزة المتحركة بعد الألف جاز تخفيفها، وتخفيفها هو(٥)أن تجعل بين بين." قال المحقق في الحاشية(٥): " في ح: هو." [كذا].

٩٨- جاء في ص٤٤٧س٢-١ من تحت ما نصه: " فالأخفش يُبْدِلُ الهمزة فـيهما يـاءً بعد الكسرة واواً بعد الضمة..." الأظهر " ...الكسرة، [و] واواً..."

٩٩- جـــاء فـــي ص٤٥٣س٣ فـــي باب الإمالة ما نصه: " ...وقد يشبّه المنفصـــل بالمتّصـــل كقولـــك للرجل: (من[١] ماله)." قال المحقق في الحاشـــية(١): " زدنـــا (من) للتوضيح " الأشبه أن (ماله) محرّف عن (مالي)، وقد يكون (مالي) كُتِب بياء مردودة، فقرئت هاءً.

١٠٠- جاء في ص٤٥٥س٥-٦ في باب الإمالة ما نصه: "...لأن الصوت أخـــذ فـــي التسفّل والتحدّر فاستمر فِي المستعلي إلى أن بلغ الألف على التسفُّل." الظاهر أن قوله: " في " تحريف، وأن الصواب "من".

١٠١- جاء في ص٤٧٥ س٥ من تحت ما نصه: " فأما قولهم امّحى الشيء، فجاز إدغامه لأن اللبس مأمون إذا كانت الميم هنا فاء الكلمة..." الأشبه " مأمون إذْ كانت...".

١٠٢- جـــاء في ٤٩٤س ٣في آخر النسخة المصرية ما نصه: " حمداً يكافئ نعمـــه ويوافي... حمداً لا أبلغ مدحَه" لم يبين لنا المحقق مراده بالنقط الـــثلاث التـــي وضـــعها بعـــد لفظـــة (يوافـــي). وتكملـــة الجملة: " يوافي[مزيده]" وهي من عبارات النساخ المشهورة جداً.

الأغلاط المطبعية في الجزء الأول من (اللباب)

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
١٥	الأخير	ابن الجيش	ابن الحبيشي
٢٥	الحاشية	سقطت الحاشية رقم(١)	(١) نكت الهيمان١٧٩
٣٩	٦	...عن الضبط جدّاً	...عن الضبط حدّاً
٤٤	٤ من تحت	...وأما دللاته	...وأما دلالته
١٥٧	٥	...له واحتقاراً	...له أو احتقاراً
١٧١	٤ من تحت	الذي يعديه	...الذي يُعَدّ به
٢١٢	٤من تحت	...ويقول العرب...	...وبقول العرب
٢٢٤	٢	والمكسور	والمكسورة
٢٤٠	الحاشية(٢)	أو عمر	أو عمرو
٢٧٣	٣	...تخفيفاً (٥)	تخفيفاً(٢)
٣٢٩	٩	من حيث أن	من حيث إن
٣٧٧	٢	حذفت حروف	حذفت حرف
٣٩٩	٣	واحده	وحده
٤٢٥	٢	الرأي	الرائي
٤٣٥	١	و(مأمورُهورها)	و(مأمورها)
٤٦٢	١	أنه نصوب	أنه منصوب
٤٦٩	الحاشية(٢)	أهكلته	أهلكته
٤٩٧	٢	فقرب	فيقرب
٤٩٨	الحاشية(١)	البرامكي	البرامكة
٥١١	٧	أموها	أمرها

الأغلاط المطبعية في الجزء الثاني من (اللباب)

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٤٧	٧	من حيث أنها	من حيث إنها
٧٢	١٢	وآرْ منَّ	وارْمنَّ
٧٢	قبل الأخير	اينانَّ	إينانَّ
١٢١	٤ من تحت	بالأصائل	بالأصائل(٣)
١٤٦	الحاشية(١)	الين	العين
١٥٨	٢ من تحت	أيْ أنّ	أي إنّ
٢٠٢	٢	البقره ت	البقرت
٢٤٢	الأخير	ضَهْياء وضَهْياء	ضَهْياء وضَهْيَأ
٢٧١	١	تَذْرَأ	تَذْرَأ
٣١٠	١	زيدا	زِيدا
٣١٩	٦	سُبِقت	سَبَقت
٣٢١	١	يُسَكنُ	يَسْكنُ
٣٢٣	٣	أشياءٌ	أشياءُ
٣٤٧	١ من تحت	فيروىء الأوجه	فيروى بالأوجه
٣٥١	٩	أصيل ل مثل	أصيل مثل
٣٦٨	٥ من تحت	شيّيء	شيِيْء
٤٠٠	الأخير	يَلْداهُ	يَلْدَه
٤٠١	الأخير	وسكّنت	وسَكَنت
٤١٢	٤ من تحت	صيّادُ	صُيَّادٌ
٤١٦	٦	وقلْبَها	وقَلْبِهَا
٤٣٢	١	جَعْفرَ	جَعْفرِ
٤٣٤	٦	أوءؤوت	أوْؤوتَ
٤٧١	٨	حرف الحد	حرف المد
٤٨١	٥	إلى كتاب	إلى كتابة

تعليقات ومناقشات

تقريظ للمفتي ابن عمار

ظروفه ونصه

الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله

التقريظ الذي نقدمه هنا عثرنا عليه في قسم المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٦٨٨٠، وهو بقلم المفتي أحمد بن عمار الجزائري الذي كان قد كتبه لكتاب ألفه الوزير حمودة بن عبد العزيز التونسي(1) وتاريخ التقريظ هو ١١٩٦هـ (١٧٨١م).وقد رأينا أن نضع بين يدي القراء هذا التقريظ لما يمثله من أساليب البلاغة الموروثة عن المدرسة الأندلسية في بلاد المغرب، وهي المدرسة التي كان أحمد بن عمار من أواخر فحولها في الجزائر، وقبل إيراد نص التقريظ رأينا، أن نعرّف أولاً بابن عمار وزميله ابن عبد العزيز، ثم نعرّف بباي تونس(علي بن حسين) وابنه الذي تولى السلطة من بعده (حموده باشا).

أحمد بن عمار: عاش معظم حياته في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي). ولدينا عنه تواريخ محددة وأخرى ظنية. فنحن لا نعرف متى ولد، ولكننا نغلّب ان يكون من مواليد مدينة الجزائر حوالي

---

(١) درسنا حياة أحمد بن عمار في كتاب(تاريخ الجزائر الثقافي)، ج٢، المؤسسة الوطنية للكتابة، الجزائر، ١٩٨٥، وكذلك كتاب(مختارات مجهولة من الشعر العربي)، ط٢، بيروت، ١٩٩٢. وفي بحثنا عن الرحلات الحجازية المنشورة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية.ج٢،ط١، الرياض ١٩٧٩ ضمن سلسلة دراسات تاريخ الجزيرة العربية الصادر عن الندوة العالمية التي نظمها قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة الرياض ١٩٧٧.

وفي إجازته لمحمد خليل المرادي المنشورة في كتاب(تجارب في الأدب والرحلة)، الجزائر، ١٩٨٢.

أما حمودة بن عبد العزيز فحياته مدروسة إلى حد كبير في المصادر الآتية: (الكتاب الباشي)، تحقيق محمد ماضور، تونس ١٩٧٠، و(إتحاف أهل الزمان) لأحمد بن أبي الضياف،ج٧، تونس ١٩٧١، وأحمد عبد السلام(المؤرخون التونسيون)، تونس ١٩٩٣، انظر باقي المراجع في آخر هذا البحث.

١١١٩هـ(١٧٠٧م) ، وأنه في الغالب قد توفي في الحجاز بعد سنة ١٢٠٦ (١٧٩١) وأصله من العائلات الأندلسية المهاجرة إلى الجزائر بعد خروج العرب والمسلمين من الأندلس. وقد تكون أسرته قد استقرت في مستغانم أو تلمسان قبل انتقالها إلى مدينة الجزائر بعد أن أصبحت عاصمة للقطر كله في العهد العثماني[١].

أما التواريخ المعروفة من حياة ابن عمار فهي على التوالي: سنة ١١٥٩(١٧٤٦) حين كتب تقريظاً شهد فيه على دراسة زميله عبد الرزاق بن حمادوش على الشيخ أحمد الورززي الذي وفد على الجزائر من المغرب[٢]. وسنة ١١٦٣هـ حين ذكر ابن عمار أنه تبادل الشعر مع شيخه محمد بن محمد المعروف بابن علي[٣]. وسنة ١١٦٦(١٧٥٢) حين توجه لأداء فريضة الحج، وقد رافقه ابن حمادوش والحسين الورثلاني صاحب الرحلة الشهيرة[٤] وهناك تاريخان آخران معروفان أيضاً، أولهما سنة ١١٨٠(١٧٦٦) حين وجدناه متولياً لوظيفة الفتوى المالكية، وهي الوظيفة التي بقي فيها إلى سنة ١١٨٤(١٧٧٠) [٥]وقد سجل السفير المغربي أحمد الغزال أنه حضر درساً لابن عمار في الجامع الكبير بالعاصمة سنة١١٨٢(١٧٦٨). وثانيهما سنة ١١٩٥(١٧٨٠)، حين سجلت المصادر أن أحمد بن عمار قد توجه إلى تونس" بقصد الاستيطان بها"[٦] يغادرها ربما إلى المشرق. والدليل على ذلك أننا لا نجد له تاريخاً لنشاطه في الجزائر بينما نرجح من بعض المصادر أنه كان سنة ١٢٠٥ في الحجاز حيث وجدنا توقيعه في هذا

---

(١) هذا الرأي عبر عنه المرحوم المهدي البوعبدللي رسالة منه بتاريخ ١٩٨٢.

(٢) عن زيارة الورززي إلى الجزائر وظروفها والتقائه بعلمائها، انظر تحقيقنا لرحلة ابن حمادوش (لسان المقال)، الجزائر، ١٩٨٣.

(٣) انظر مختارات مجهولة من الشعر العربي، ص٣٩.

(٤) هي نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار تحقيق محمد بن أبي شنب، الجزائر، ١٩٠٨

(٥) البير ديفوكس A.Devoulx المؤسسات الدينية في مدينة الجزائر، الجزائر ١٨٧٨، ص١١٧.

(٦) إبراهيم السيالة (مباسم الأزهار) مخطوط رقم ٢٦٠، المكتبة الوطنية، تونس.

التاريخ على الإجازة التي أجاز بها الشيخ محمد خليل المرادي صاحب (سلك الدرر) (١).

إن ثقافة أحمد بن عمار ثقافة أدبية ودينية عميقة كما تظهر في مؤلفاته. ويبدو أنه تلقى تعليمه محلياً، ولم يتلقه خارج الجزائر إلا في كهولته وبعد توليه الوظائف. ومن شيوخه الذين نعرفهم بالاسم: محمد بن محمد المعروف بابن علي(٢). وقد كان ابن علي من أصول عثمانية- أوروبية ومن الشعراء المجيدين أيضاً، وقد تولى الفتوى على مذهب الإمام أبي حنيفة(٣) . ونعرف من جهة أخرى أن ابن عمار كان يحضر مجالس العلماء الوافدين على الجزائر مثل دروس أحمد الورززي المغربي. أما خارج الجزائر فلا تحدثنا الوثائق إلا على تتلمذه على الشيخ خليل المغربي في مسجد الحسين بالقاهرة(٤) . ولا شك أن في كتاب ابن عمار(منتخب الأسانيد) أسماء الشيوخ الذين درس عليهم أو أجازوه(٥). ألف ابن عمار في عدة فنون، ومعظم تأليفه يعتبر في حكم الضائع، فكتابه (لواء النصر في فضلاء العصر) ، وديوان شعره، ورحلته الحجازية كلها مفقودة باستثناء(نبذة) من رحلته المسماة (نحلة اللبيب في الرحلة إلى الحبيب) (٦) . ومن كتبه المفقودة أيضاً (تاريخ علي باي)(٧) الذي سنتحدث عنه. وقد وجدنا بعض شعر ابن عمار ضمن المختارات التي اختارها بنفسه من أشعار ابن علي. أما كتبه الباقية فليست بذات شأن من الناحية الأدبية والتاريخية، ومنها

---

(١) انظر، إجازة ابن عمار للمرادي في كتاب(تجارب في الأدب والرحلة)، مرجع سابق.

(٢) ترجمنا له في الجزء الثاني من تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، فصل الشعر، وأيضاً في (مختارات مجهولة)، مرجع سابق.

(٣) كانت عائلته تلقب أيضاً بالعلج، وهو لقب كان يطلق على من دخل الإسلام من الأوروبيين.

(٤) جاء ذلك في رحلة الورتلاني، مرجع سابق،.

(٥) عن الكتاب الأخير، انظر عبد الحي الكتاني، (فهرس الفهارس). ج١/١٢١-١٢٢. وهنا وهناك.

(٦) نشر النبذة محمد بن أبي شنب، الجزائر ١٩٠٣.

(٧) يقول ابن عمار عن هذا الكتاب وهو يتحدث عن علي باي "ونظمت في سلك هذا الملك السعيد... عقد لبّه وتاج مفرق مما فتح الفتاح العليم..." انظر (مباسم الأزهار)، مرجع سابق.

رســالته في مسألة وقف، وهي مطبوعة[١] ، ثم ثَبته المعروف بمنتخب الأسانيد، وهــناك نصوص أخرى أشار إلى بعضها عبد الحي الكتاني في فهرسه. ونعتقد أن أحمد بن عمار كان مقصوداً من زملائه ومعاصريه للإجازة والتقريظ، ولدينا مــن ذلــك إجازته للشيخ المرادي كما أنه من المعروف أنه أجاز تلميذه إبراهيم السيالة[٢] .

حمــودة بــن عبد العزيز: إذا كانت وظائف ابن عمار قد اقتصرت على الفتوى والخطابــة فــإن وظــائف حمــودة بن عبد العزيز قد شملت الوظائف السياسية والإدارية، إضافة إلى الكتابة والتعليم. وقد وصفته المصادر التي ترجمت له بأنه كــان عارفــاً بالسياســية والرياســة، وعلوم المنقول والمعقول، وأنه كان حسن المحاضرة فصيح اللسان عذب المجالس قوي القلم[٣] .

ولــد حمودة بن عبد العزيز في تونس وتربى في عائلة تونسية مترفهة، وقد درس علــى مشــايخ في جامع الزيتونة، ومنهم والده ومحمد بيرم الأول ومحمد المــاكودي، وتمكــن في الفقه والأدب والتاريخ واللغة، وتعاطى الشعر، وتولى الوظائف الدينية والرسمية كما أشرنا.

وقد قيل أنه تولى التدريس بجامع الزيتونة وتخرج على يديه تلاميذ أصبحوا مــن علمــاء الوقــت، كمــا قــرأ علــيه ولي عهد تونس حمودة بن علي باي (حمودة باشا). وكانت الخطوة الأولى له في سلم العمل الرسمي هي تكليف الباي لــه ابــنه، فعلمه الحساب والتاريخ والنحو والصرف ثم قربه الباي إليه فزوجه ابنــته أيضــاً، وأسند إليه رئاسة الكتّاب، ومنحه لقب وزير قلم الإنشاء. لكن هذا التقريــب جعــل حمودة بن عبد العزيز مستهدفاً للحساد والطامعين في الوصول

---

(١) طبعت ضمن رسالة في الرد على الوهابية لإسماعيل التميمي، تونس.

(٢) يبدو أنه أجازه بتونس أثناء زيارة ابن عمار لها. أنظر (مباسم الأزهار) مرجع سابق، والسيالة من عائلة صفاقسية معروفة.

(٣) ابن أبي الضياف الإتحاف،ج٧، ص٢٣، عن حياة حمودة بن عبد العزيز، انظر مراجع الهامش الأول..

إلى السلطة. وقد ازداد دالّة على تلميذه حمودة باشا منذ توليه السلطة بعد والده. فقد أقرّه الباشا في وظيفته وعهد إليه بتدريب الوزير يوسف صاحب الطابع على شؤون الدولة. وظل ابن عبد العزيز على هذه الحظوة والإدلال عند الباشا حوالي خمس سنوات، ثم حدثت أمور أدت إلى محاولة اغتياله ثم إلى نبذه ثم وفاته سنة ١٧٨٧.

ألف حمودة بن عبد العزيز عدة كتب، أبرزها(الكتاب الباشي) الذي أرخ فيه لعهد علي باي[١] وديوان شعر[٢] ورسالة في القبلة، ثم حاشية على وسطى السنوسي في العقائد وأخرى على كتاب في علم الكلام، وهي التي خصها ابن عمار بالتقريظ الآتي. ولكن هذه التآليف لا تدل على مكانة علمية باهرة. ويبدو أن سمعته كانت قائمة بالأساس على منزلته السياسية وطمع الطامعين في الاستفادة منه. ولكنه انتهى نهاية مأساوية. فقد قيل إنه سقط في عين الباي وأعين الناس ومات مكروهاً من الجميع.

علي باي وابنه حمودة: حكم علي باي بن حسين تونس بين ١٧٥٩-١٧٨٢. ونحن نذكر ذلك هنا لأن كلاً من أحمد بن عمار وحموده بن عبد العزيز كتب تاريخ حياته ومدحه وعاش في بلاطه. عاش علي باي فترة اضطراب في تونس. ثم التجأ مع أخيه محمد إلى الجزائر. ولا ندري إن كان ابن عمار قد تعرف عليه أثناء لجوئه إلى الجزائر. ومهما كان الأمر فقد رجع الأخوان إلى تونس وحكمها محمد فترة قصيرة (١٧٥٦-١٧٥٩) ثم تولى علي حوالي ربع قرن. وقد عرف عهده بالاستقرار النسبي وتشجيع العمران والتعليم والأدب.

---

(١) تحقيق محمد ماضور، القسم الأول، تونس، ١٩٧٠، إلى الآن لا نعرف العلاقة بين التاريخ الباشي (أي تاريخ علي باي الباشا) وبين كتاب ابن عمار في تاريخ الباي نفسه، وهو كتاب مفقود فأي الكتابين أسبق، وما الفرق بينهما في المحتوى، وهل هناك تداخل أو حتى شك في النسبة .

(٢) كان ابن عبد العزيز كثير الأشعار، وقد ظهر ذلك في (الكتاب الباشي) وكان في بلاط علي باي شعراء آخرون معروفون منهم محمد الورغي وعلي الغراب، وكان هؤلاء متنافسين أيضاً، ولا ندري ما علاقتهم بالشيخ الزائر أحمد بن عمار. انظر محمد الهادي الغزي، الشعر التونسي في العهد الحسيني.

اسـتوزر علـي باي بعض الوجوه التي تبدو غير منسجمة مع بعضها، كما يـبدو أن أصحابها طموحون غاية الطموح. ولعل الباي نفسه لم يستطع السيطرة علـى حاشـيته. فبالإضـافة إلى حمودة بن عبد العزيز الذي أعطاه قلم الإنشاء ورئاسـة الكتاب استوزر الباي أيضاً مصطفى خوجة الذي كان غريباً عن البلاد وتقاليدها. فقد قيل إن هذا الوزير جاء إلى تونس مملوكاً من بلاد القرج (القوقاز) وحيـن تعـرف علـيه علي باي أعجبه ذكاؤه وقدرته على العمل. فأولاه خطة خزندار، وزوجه ابنته وحين توفيت زوجه أختها. وكان مصطفى هذا في مرتبة الوزيـر الأول، وبذلك أصبح غريماً لحمودة بن عبد العزيز، وكلا الرجلين كان شـيخاً لابـن الـباي، وهـو حمودة الذي سيتولى بعد والده. ويضاف إلى هذه الشخصـيات ظهور الوزير يوسف صاحب الطابع الذي سيلعب دوراً بارزاً في عهد حمودة باشا.

تولى حمودة باشا الحكم بعد والده، وطال عهده في الحكم(١٧٨٢-١٨١٤م) (١) ويعتـبر عهـده فـي تونس من أكثر العهود استقراراً وإصلاحاً. وتهمنا من عهده السـنوات الخمـس الأولـى فقـط. فلقد كان من خلالها تحت تأثير وزراء والده المذكوريـن، ومنهم حمودة بن عبد العزيز ومصطفى خوجة المتنافسان. ويقـال إن خوجة هو الذي كان متهماً بمحاولة اغتيال ابن عبد العزيز. ومهما كان الأمر فـإن الباشـا قد أمر بتسليم الجاني إلى المجني عليه ليرى رأيه فيه، فحكم عليه حكمـاً فظـيعاً وهـو تكسير يديه ورجليه وتركه يموت في ساحة القصبة موتاً بطيـئاً. وربمـا هذا هو الذي جعل الناس، والباشا منهم، ينقمون على حمودة بن عبد العزيز فعلته هذه وينبذونه حتى مات هو أيضاً في عزلة وإهانة.

فـي هـذا الجو المشحون بالمؤامرات جاء أحمد بن عمار إلى تونس "بقصد الاسـتيطان بها" كما يقول تلميذه إبراهيم السيالة. فهل خاب أمله، وعاد من حيث

---

(١) خصـه رشـاد الإمـام بأطروحـته الدكـتوارة وعـنوانها (سياسـة حمودة باشا في تونس (١٧٨٢-١٨١٤)، تونس ١٩٨٠. وقد تحدث عن بلاط تونس أثناء حكم علي باي وابنه حمودة.

جاء بعد فترة قصيرة، أي قبل وفاة علي باي؟ أو هل بقي حتى تولى حمودة باشا ومرت السنوات الخمس الأولى بسلام ثم غادر تونس بعد النهاية المأساوية لصاحبه؟ إن الوثائق المتوفرة لا تسعفنا بالجواب الآن. فالتاريخ الوحيد الذي نعرفه بعد ذلك هو سنة ١٢٠٥هـ المسجل على إجازة ابن عمار للمرادي. وقد قلنا إن الإجازة ربما كتبت بالحجاز لأنها كانت ضمن قطاع طويل من الورق يضم مجموعة من الإجازات التي حصل عليها المرادي من ابن عمار وغيره.

ومهما كان الأمر فإن دراستنا ستساعدنا على فهم نفسية ابن عمار وعلاقته بابن عبد العزيز وبايات تونس والأسلوب الأدبي الذي تميز به.

نص التقريظ: يعبر التقريظ عن مدح ابن عمار لتأليف (رسالة) من تآليف حمودة بن عبد العزيز، وهو تأليف لا نعرف له عنواناً، ولكنه لا يخرج عن علم الكلام. ونفهم من النص أن المؤلف هو الذي طلب من ابن عمار تقريظ تأليفه. أما تاريخ التقريظ فهو شهر صفر سنة ١١٩٦هـ(١٧٨١م) وهو تاريخ يشير إلى أنه قد مضى على إقامة ابن عمار في تونس بضعة أشهر فقط، كما يشير إلى أن ابن عبد العزيز كان لا يزال في قمة نفوذه وسمعته في البلاط وبين الناس، وقد أفادنا ابن عمار أيضاً أن علي باي (وهو يسميه الملك) كان مريضاً، ودعا له بالشفاء.

ويمكننا تقسيم النص إلى الفقرات الآتية:

الفقرة الأولى: تمثلها الديباجة التقليدية التي استهل بها ابن عمار تقريظه وأظهر فيها براعته وتفننه، وفيها إشارات إلى موضوع الرسالة، والمتأمل في عبارات الديباجة يدرك حتى قبل أن يصل إلى رسالة ابن عبد العزيز- أن موضوعها هو وحدانية الله والحديث عن صفاته التي وصف نفسه "ونجزم بأنك المنفرد بإيجاد الكائنات بالإيجاب ولا وجوب ولا واسطة، والمستبد بخلق العباد وأعمالهم المرضية والساخطة، وبهذا الدين مجانباً للفلاسفة والقدرية الضُّلال الدناة دنت".

الفقرة الثانية: تبدأ من قوله: "أما بعد" وقد أخبر فيها أن حمودة بن عبد العزيز هو الذي أطلعه على الرسالة (التأليف) التي كتبها "لهذا التاريخ" وهو سنة ١١٩٦ هـ، كما أشرنا. ثم انطلق ابن عمار يمدح الرسالة نفسها بأوصاف الدقة والتحقيق، مشيراً إلى أنها تضمنت أسئلة كلامية وردت على "الحضرة". وقد مَجَّدَ ابن عمار صاحب الرسالة ووصفه بأوصاف السلطة وبكونه "زين الوزراء والكتاب" ومطمح الطامحين.

الفقرة الثالثة: تتضمن أيضاً مدح ابن عمار للرسالة وصاحبها. ويبدأ من قوله: "فرأيتها قد حازت قصب السبق" وبناء على ذلك فإن الرسالة تجعل صاحبها من شيوخ أهل السنة لاعتمادها على علوم شتى سيما أصول الدين وأصول الفقه ودفاعها عن الدين من وجهة نظر أهل السنة. وقد دعا ابن عمار لصاحب الرسالة بالبقاء من أجل إيالة تونس حتى تشق طريقها به بين الدول. وأخبر أن أمثال ابن عبد العزيز لا يجود بهم الدهر إلا نادراً.

الفقرة الرابعة: احتوت على القطعة الشعرية ومقدمتها. وكان من عادة ابن عمار أن يمزج تقريظه النثري بأبيات من الشعر. وتتألف القطعة من اثني عشر بيتاً من بحر البسيط، وقد التزم ابن عمار بأربعة أحرف في قافيتها، وهي اللام والياء والهاء والألف وتبدأ بقوله:

شمسٌ تجلت فما أسنى تجليها　　　لاحت على غُرّة الدنيا تُحلّيها

وقد أثنى فيها أيضاً على الرسالة وصاحبها بعبارات شعرية رقيقة، وقال عن الرسالة بأنها ستتجي مَن واظب على قراءتها.

الفقرة الخامسة: تبدأ من قول ابن عمار: "إيه أيها الساري ولا رفيق..." وهذا الجزء من التقريظ ربما يكون أجود ما خطه قلم ابن عمار في هذا الشأن، فقد جاء فيه بمعاني سامية وألفاظ جميلة وصور رائعة وإبداعات من المحسنات

البلاغــية، ولكن بأسلوب تميز به في أدبياته، وقد نوه بصاحب الرسالة على أنه مـــن المدافعيـــن عن السنة الشريفة والرادين على الجهلة. واغتنم الفرصة ليدعو للباي بالشفاء، ونوه كذلك بولي عهده وبالدولة الحسينية.

ونلاحـــظ هـــنا أن عبارة "الدولة" وردت أكثر من مرة في النص وأن عبارة "الأيالـــة" وردت مرتيـــن فقط. وقد ختم ابن عمار التقريظ بالدعاء "لشموس هذه الدولـــة المـــباركة" وهـــو يشير بذلك إلى الباي وابنه ووزرائه، ومنهم ابن عبد العزيـــز نفســـه. [وســـيكون عملنا هو إيراد النص والتعليق عليه بما نراه مفيداً، كالإشـــارات التاريخـــية والأعلام، ونحو ذلك، ونرجو أن نكون بهذا قد وفقنا في تقديم خدمة ولو متواضعة للأدب العربي في بلاد المغرب في عصر كان المعتقد فيه أنه عصر جمود وركود ثقافي، سيما في الجزائر وتونس العثمانيتين.

نص التقريظ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

نحمـــدك اللهم يا واجب الوجود، ولا واجب لذاته إلا أنت، ونشكرك ياخالق العـــالم بالاختيار ومقتضى الحكمة والرحمة والجود، إذ كنت في أزلك ولا عقول ولا نفـــوس ولا (اصطقصـــات)[1]، وأنت الآن على ما عليه كنت. ونشهد أن لا إلـــه إلا أنت وحدك لا شريك لك شهادة حق واطأ الجنانُ فيها اللسان ما شككت فـــيها ولا مِنْـــت، ونجزم بأنك المنفرد بإيجاد الكائنات بلا إيجاب ولا وجود ولا واســـطة، والمســـتبد بخلـــق العـــباد وأعمالهم المرضية والساخطة. وبهذا الدين مجانباً للفلاسفة والقدرية الضّلاّل الدناة دِنْت[2].

ونشـــهد أن ســـيدنا ونبيـــنا ومولانا محمداً عبدك ورسولك الذي فتَقْت رتق الكائنات من نوره، ورتبت ظهورها على ظهوره وأدرت المملكة على قطبه ولها بـــه زِنْت، اللهم صلي وسلم عليه وعلى وآله وأصحابه، مستجلي شمسه المنيرة ومنتجعـــي ســـحابه، الذيـــن نزهـــتهم عن صفة القصور والتقصير في نصرته وصُـــنته، وأنزلت عليه في حقهم فبِما رحمة من الله لنت، وارض اللهم يا كريم عـــن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان. وعن العلماء الراسخين الذين شرفتهم بمعرفـــتك التـــي كرمت بها نوع الإنسان، وما شوهتهم برذيلة الجهل ولا شنت، واغفـــر اللهم لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات المسلمين والمسلمات ما أسروا وما أعلنوا وما أسررت وما أعلنت.

أما بعد، فقد أطلعني الفاضل النحرير صاحب القلم الأعلي والقدح المعلى في التحبـــير والتحرير زين الوزارء والكتاب، وروض الرائد الأنف ونجعة المنتاب، والنبـــيه النبـــيل الـــنظار، مَـــرقى أغراض المستفيدين والمسترشدين في العلوم

---

(١) ما بين القوسين كلمة لم نستطع قراءتها، وهي تتضمن الحروف "اصطقصات" لم نهتد إلى معناها إن كانت صحيحة.

(٢) قلنا إن موضوع التقريظ هو رسالة في علم الكلام، ونلاحظ ذلك في عبارات ابن عمار في هذه الديباجة.

والمعـــارف ومطمح الأنظار، والشفوف والتبريز، السيد حمودة بن محمد بن عبد العزيـــز، صـــانه الله وأبقاه، وإلى أوج المعالي والكمالات رقّاه، على الرسالة[1] المحـــبرّة، المنقّحة المحررة، التي لهذا التاريخ أملاها، وأولاها من باهر التحقيق والتدقـــيق ما أولاها وضمنها أجوبة عن أسئلة كلامية[2] وردت- كما ذكر أعزه الله- علـــى الحضرة[3] ذات البهجة والنظرة[4]. فنظرتها بعين الدقة والأوصاف، مجانـــباً للتعصـــب والتعسف شيمة سليمي الصدر كاملي الأوصاف، فرأيتها قد حازت قصب السبق في مضمار الإجادة وميدان الإصابة، وانتظمت هي ومؤلفها مـــع شيوخ أهل السنة[5] ومؤلفاتهم المحررة في تلك العصابة، وشهد له- أدامه الله وأدام النفع به- برسوخ القدم في المعارف وسعة الاطلاع، وكمال التملي من العلـــوم خصوصاً الأصلين وما يتعلق بها وقوة الاضطلاع، فالله جل جلاله يبقيه زيـــنة لهـــذه الإيالـــة السعيدة وهذه الدولة[6] تصول به ويصول بها على الدول وكـــتابها أعظـــم صولة، فإن مثله- أعزه الله- لخليق أن يباهي به وأين مثله حتى يباهى به ويفتخر، ولعمري لقد خباه الدهر إلى هذا العصر وادخر، وما أحقه بقول أبـــي العـــلاء المعري عند من وفقه الله إلى الإنصاف وأرشده، وكأنما على لسانه أنشده:

وإني وإن كنت الأخير زمانه ... لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل

وعـــندما خـــرّ طرفي لملاحتها راكعاً، وكرَّ من ملاحتها راجعاً، ضربت يدي لمبايعـــتها بالترئـــيس فـــي يدها، وصدعت بما يميل من عطفها ويطيل من غيدها،

---

(١) كـــذا دون عـــنوان، ولا نعرف مَنْ وصفها غير ابن عمار، ولابن عبد العزيز حاشية على عقائد السنوسي أيضاً.

(٢) بالإضافة إلى موضوع العقائد العام، أجاب ابن عبد العزيز على ثماني رسائل وردت من علماء قسنطينة، الجزائر، انظر أحمد عبد السلام (المؤرخون التونسيون)، مرجع سابق، ص٢٩١.

(٣) "الحضرة" قد يكون قصد بها المجلس العلمي لحمودة بن عبد العزيز أو البلاط عموماً، ثم أجاب عنها هو.

(٤) كذا، ولعلها النضرة.

(٥) نفهم من هذا أنها تدور حول العقائد الأشعرية أيضاً.

(٦) أي الدولة التونسية الحسينية، دول علي باي.

ورفعت عقيرتي مقرظاً لمحاسنها ومادحا، وعلى أغصان روض أجادتها الغناء ومجادتها الغراء صادحاً، بقولي:

شمسٌ تجلت فما أسنى تجلّيها ... لاحت على غُرّةِ الدنيا تُحلّيها
أبدت مطالعها أسنى طوالعها[1] ... من أين للشمس تجلّي في مجاليها
قوّى[2] بها عضد التوحيد مُنشئها ... فالسعد يكتبها والفخر يمليها
دلت معالمها على إبايتها[3] ... ومن إشارتها لاحت معاليها
مواقف يُكبر النظام مدخلها ... وهي النجاة لمن أضحى يواليها
لله أبكار أفكار شفعت بها ... تملي علينا فما أحلى أماليها
قوت القلوب وإحياء النفوس لمن ... (يبغي)[4] مقاصدها والحق يعليها
صحائف نقح التجريد حاصلها ... يبلي الزمان ولا يستطيع يبليها
اسطعْ ببرهانها المنخول واسم إلى ... شمس المعارف في اسمى تجليها
فالله يحرس منشيها ويُسكنه ... من جنة الخلد في أعلى أعاليها
يا ليت شعري بماذا من محاسنه ... أثني (وإن عمرت)[5] أوقات مُمّليها
لا زال ينظم في جيد الإيالة[6] من ... در المحاسن ما يحكي لآليها

إيه، أيها الساري ولا رفيق إلا التوفيق، ويا أيها الشاري خذ أحرار النفوس، فكل لذاك الطبع الرقيق رقيق. هكذا هكذا، وفي عين الشاني القذا. اطلع شمس معارفك وعوارفك في أفلاك البراعة والاتقان. وزين سماء رياستك من فضائلك وفواضلك بأبهى من النجوم الزاهرة والزبرقان، وعيشّ بأنوارها أعين عُمش الجهالات والعشي، ووش بأنوائها رياض المحاسن والمحامد أبدع وشي، جادل عن الملة الحنيفية بلسانها، وجالد بسيف السنة ودافع بإحسانها، وخذ من جاني الجهل الصائل بالثأر، واصدع بتحقيقاتك وتدقيقاتك فذلك شعار وهذا دثار، وافخر وجر رداء العز والسؤود فأنت زينة المصر بل العصر، واهصر أغصان

---

(١) في الأصل (طولعها).

(٢) في الأصل (قوّ).

(٣) كذا مرسومة تقريباً في الأصل، وما زال اللفظ والمعنى والوزن غير دقيق في نظرنا.

(٤) ما بين القوسين كلمة اجتهدنا في تخريجها على ذلك النحو (يبغي) لأنها غير واضحة في الأصل.

(٥) ما بين القوسين تعبير قرأناه على النحو المذكور ولكنه غير واضح في الأصل.

(٦) الإيالة هي الولاية أو الإقليم الإداري في العهد العثماني، وكانت الكلمة شائعة بالنسبة للجزائر وتونس.

الرياســة بالدولــة الحسينية[١] واجن ثمارها فأنت أهل لذلك الهصر، وشفى الله الملــك الســعيد[٢] وحــيا ابنه الأمير السيد حمودة الحميد[٣]فقد رميا منك الكتابة بــبديعها، وسقيا روض الوزارة منك بمطر نيسانها وغيث ربيعها، فأخصبت بك مــروجها بعــد الاجــداب، وحيِّيَت رسومها الماحلة بغرر تلك الآداب، والله جل جلالــه يبقي شموس هذه الدولة المباركة الميمونة معززة ببدرك، ويطلعها منك على تلك المناقب الثواقب حتى تقدرك حق قدرك، ويحفظ كمالك على المستفيدين والمسترشــدين حــتى تــتملى صدورهم وتتشنف أسماعهم ببنات فكرك ونفثات صدرك إن شاء الله تعالى.

---

(١) نسبة إل الحسين بن علي مؤسس العائلة وقد حكم بين ١١١٧-١١٥٣(١٧٠٧-١٧٤٠). وقد استمرت العائلة في حكم تونس إلى سنة ١٩٥٧حين اختارت تونس النظام الجمهوري بعد الاستقلال.

(٢) هو علي باي(الباشا) الذي حكم بين ١٧٥٩-١٧٨٢.

(٣) كان حمودة عندئذ وليا للعهد. وحكم بين ١٧٨ ٢-١٨١٤، كما أشرنا سابقاً.

والسلام على حضرتكم العلية وسيادتكم الباهرة الجلية، ما انعقد بين المتناسبين وداد، ونبذوا زخرف الواشين فجروا على السداد[1] ، ورحمة الله وبركاته، ما تعاقبت سكنات الكون وحركاته. وكتب غبار نعال العلماء والأشراف، ومثار الإضاعة والإسراف، غريق الأوزار، أقل الخلائق أحمد بن عمار لطف الله به[2]. بتاريخ أواسط صفر الخير من شهور سنة ستة وتسعين ومائة وألف.

---

(١) لعل في هذه العبارات إشارة إلى وجود التحاسد وتوتر الجو بين ابن عبد العزيز وزملائه، وربما كان ابن عمار يخشى أن يشمله ذلك أيضاً ومن ثمة الإشارة إلى "زخرف الواشين".

(٢) كان ختم ابن عمار عندما كان مفتياً يحمل هذه العبارة:"الواثق بالجبار عبده أحمد بن عمار" وروى أبو راس الناصر الذي لقي ابن عمار شخصياً وتتلمذ عليه أنه كان يضع على ختمه هذه العبارة "سليل الأشراف الصالحين، وخلاصة مجد التقى والدين" انظر: أبو راس الناصر (فتح الإله)، تحقيق محمد عبد الكريم، الجزائر، ١٩٨٠.

مراجع البحث

١- أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان،ج٧، تحقيق: أحمد عبد السلام، تونس، ١٩٧١.

٢- أحمد بن عمار، (نبذة) من رحلته نحلة اللبيب نشرها محمد بن أبي شنب، الجزائر، ١٩٠٣.

٣- إبراهيم السيالة، مباسم الأزهار ودوحة الأفكار، مخطوط رقم ٢٦٠، المكتبة الوطنية، تونس.

٤- أحمد عبد السلام، المؤرخون التونسيون في القرون ١٧،١٨،١٩، تعريب أحمد عبد السلام، وعبد الرزاق الحليوي، تونس ١٩٩٣.

٥- إسماعيل التميمي، الرد على الوهابية، تونس، (فيه رسالة مسألة وقف لابن عمار).

٦- أبو راس الناصر، فتح الإله ومنّته، ك٢٢٦٣، الخزانة العامة- الرباط، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الجزائر، ١٩٩٠.

٧- أبو القاسم سعد الله، "الرحلات الجزائرية الحجازية" في أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج١،ط٣، بيروت، ١٩٩١.

٨- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة عن (إجازة ابن عمار لمحمد المرادي)، الجزائر، ١٩٨٢.

٩- الحسين الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، (رحلة)، تحقيق محمد بن أبي شنب، الجزائر، ١٩٠٨.

١٠- حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، تحقيق محمد ماضور، تونس، ١٩٧٠.

١١- رشـــاد الإمام، سياسة حمودة باشا في تونس ١٧٨٢-١٨١٤، تونس، ١٩٨٠ .

١٢- عــبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات، جزآن، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٢.

١٣- عــبد الرزاق بن حمادوش، لسان المقال في النبإ عن الحسب والنســب والآل (رحلــة)، تحقيق أبو القاسم سعد الله، الجزائر، ١٩٨٣.

١٤- كارل بروكلمان، ذيل تاريخ الأدب العربي، ٦٨٨، SUP II.

١٥- محمــد بــيرم، التعريف بنسب الأسرة البيرمية بتونس، تاريخ تيمور ١٤٣٤، دار الكتب القومية، القاهرة.

١٦- محمــد بيرم الرابع، الجواهر السنية في شعر الديار التونسية، تحقيق الهادي حمودة الغزي، تونس ١٩٧٣.

١٧- محمد الحاج صادق، المولد عند ابن عمار (بالفرنسية)، دمشق، ١٩٥٧.

١٨- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، القاهرة، ١٩٢٩.

١٩- محمد النيفر، عنوان الأريب، جزآن، تونس، ١٣٥١.

٢٠- محمــد الوزير السراج، الحلل السندسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، أجزاء، تونس ١٩٧٠.

٢١- الهـــادي حمـــودة الغزي، الأدب التونسي في العهد الحسيني، تونس،١٩٧٤.

٢٢- محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق على الزواري ومحمد محفوظ، جزآن، بيروت، ١٩٨٨.

٢٣- المهدي، البوعبدللي، مراسلة بتاريخ ٧ يناير ١٩٨٢.

٢٤- Devoulx, Albert, Les, edifices religieux a Alger, Alger, ١٨٧٨.

أخبار مجمعية

المؤتمرات والندوات والمحاضرات

انطلاقاً من حرص مجمع اللغة العربية الأردني على المشاركة الفاعلة في المؤتمرات والندوات العلمية والأدبية التي تعقد في داخل الأردن وخارجه، فقد شارك الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع في المؤتمر الثاني لمجمع اللغة العربية بدمشق في الفترة من ٢٠-٢٣ تشرين الأول ٢٠٠٣م، وكان موضوعه " اللغة العربية في مواجهة المخاطر". وأقيم في اليوم الأول من أيام المؤتمر حفل تذكاري لمؤسس مجمع اللغة العربية بدمشق المرحوم الأستاذ العلامة محمد كرد علي بمناسبة مرور خمسين سنة على وفاته، وألقى الأستاذ الرئيس في الحفل كلمة بعنوان:" من مواقف الأستاذ الرئيس محمد كرد علي"، وكذلك شارك الأستاذ الرئيس في المؤتمر ببحث عنوانه:" عالمية اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم". وقد أصدر المؤتمر الثاني لمجمع اللغة العربية بدمشق التوصيات الآتية:

١- مناشدة الدول العربية إصدار تشريعات ملزمة لحماية اللغة العربية من خطر استعمال اللهجات العامية واللغات الأجنبية في الإعلام والإعلان والإشهار، وترتيب عقوبات على المخالفين الذي لا يبالون بجعل العربية غريبة في دارها.

٢- دعوة الدول العربية إلى رسم سياسة لغوية واضحة تتفق مع النصوص الواردة في دساتيرها، التي تنص على أن اللغة العربية لغتها الرسمية، مما يرتب عليها تعميم استعمالها في مختلف ميادين مناشطها فتكون لغة التعليم بجميع مراحله وأنواعه، ولغة الإدارة والقضاء والاقتصاد والإعلام وسائر وجوه الحياة الأخرى.

٣- دعوة الدول العربية، وخاصة وزارات التربية فيها، إلى إيلاء تعليم اللغة العربية في مدارسها العناية الفائقة وتحسين طرائق تدريسها قراءةً وكتابة، وتعويد التلامذة والطلاب المطالعة المفيدة التي تنير الفكر وترهف الحسّ وتغذي الناشئة، مع اتباع الأساليب المشوقة، وإكساب الناشئة المهارة اللغوية وأساليب التعليم الذاتي وإجراء

التدريبات اللازمة لاكتسابها، مع دعوتها لتحديد مجالات القصور في أساليب تعليم اللغة العربية وسبل الارتقاء بالواقع.

٤- دعـوة مجـامع اللغة العربية ووزارات التربية في الدول العربية إلى وضـع الدراسـات المـتعلقة بـتطوير مناهج تدريس اللغة العربية، وخاصة الصرف والنحو والإملاء، وتأليف مرجع مُيَسَّر لهذه القواعد مع الاستفادة مما وصلت إليه نظريات علم اللغة وفروعه الخاصة.

٥- دعـوة الـدول العربية، وبخاصة وزارات التربية، إلى تدريس المواد العلمية في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية باللغة العربية دون سواها، وذلك دون إهمال تعليم الطلاب في المراحل العليا من التعليم العـام لغة أجنبية أو أكثر، للحاجة إليها في التخصص والتواصل مع الآخر.

٦- مناشـدة الدول العربية التي شرعت في تعريب تدريس المواد العلمية فـي معاهدهـا وجامعاتهـا، استكماله وتوفير مستلزماته كيما يكون التعريـب عامل تقدم علمي لها وسبيلاً لاستيعاب طلاب العلم استيعاباً صـحيحاً، مع تحويل البحث العلمي إلى اللغة العربية تحقيقاً لتوطين العلم وفتح السبيل إلى الكشف والإبداع في العلم.

٧- مناشـدة الدول العربية التي لم تشرع في تعريب التدريس العلمي في مـرحلة التعلـيم العالي، مباشرته من دون تأخير مع توفير متطلباته الأساسـية: المدرِّس الكفيّ والكتاب المؤلَّف بالعربية أو المترجم إليها، والمصطلح العلمي الصحيح.

٨- الإفـادة من المنجزات التي تحققت في البلدان الآخذة بالتعريب، وذلك بعقـد اتفاقات تعاون ثنائية بين الجامعات والمؤسسات العلمية العربية الراغـبة فـي التعريـب والجامعات والمؤسسات المعربة في البلدان العربية.

٩- الإفـادة من الجهود والمنجزات التي حققتها المجامع اللغوية والعلمية والجامعـات والمركـز العربـي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

بدمشق، ومركز تنسيق التعريب بالرباط والهيئات والمؤسسات الثقافية العاملة في ميدان المصطلح والترجمة وتصنيف المعاجم العامة والمتخصصة والموسوعات العلمية.

١٠- دعوة الدول العربية، ووزارات التربية والتعليم إلى تنفيذ المقررات التي اتخذتها المؤتمرات الوزارية (وزراء التربية، وزراء التعليم العالي، وزراء الثقافة) والتوصيات التي أصدرتها الندوات والملتقيات والاجتماعات التي دعت إلى انعقادها بشأن التعريب والترجمة والمصطلح، والعمل على إنفاذ الخطة الشاملة للثقافة العربية والخطة القومية للترجمة والخطة القومية للتعريب، هذه الخطط التي وضعت بإشرافها.

١١- دعوة الدول العربية لاتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية الهُوية الثقافية واللغةِ العربية من أخطار الغزو الثقافي الجامح، والعولمة الزاحفة التي تسخر لتحقيق أغراضها جميع أدوات الاتصال والإعلام الحديثة، وتسعى جاهدة لاختراق ثقافتنا ولغتنا.

١٢- دعوة جامعة الدول العربية والدول العربية إلى المساعدة على نشر اللغة العربية السليمة في مواطن الاغتراب وبلدان الشعوب الإسلامية المتعطشة إليها، وتعزيز استعمالها في هيئة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية، وذلك بتقديم العون البشري والمادي والفني لها مع دعوة ممثلي الأقطار العربية إلى الالتزام باللغة العربية.

إن جهوداً مخلصة ومستمرة تبذل في هذا السبيل، تُمكِّن اللغة العربية من تحقيق عالميتها وبلوغ مرتبة متقدمة بين لغات العالم.

١٣- دعوة مجامع اللغة العربية إلى الاهتمام بإعداد المعجم التاريخي للغة العربية الذي يرصد اللغة من أقدم عصورها حتى اليوم، لما في ذلك من خير للعربية وكشف عن جوهرها الذي لا تضاهيها به لغة أخرى.

١٤- توفير الآليات الضرورية لتحقيق الزيادة المطلوبة في المحتوى العربي للشبكة العالمية (الانترنيت) عن طريق التحول نحو الرقمية وإصدار التشريعات الحافزة لقيام صناعات في المحتوى العربي للشبكة وتعليم المعلوماتية والاتصالات بالعربية واعتماد مبادرات

علـــى مستوى كل دولة عربية، وعلى المستوى القومي تهدف إلى تحقـــيق الآليات اللازمة لذلك التطور وإلى إيجاد الحلول للعقبات التقنية التي تعوق ذلك.

١٥- الســـعي لإنشـــاء مرصد عربي للمصطلحات ، يشجع التعاون في البحـــث المصطلحي النظري والتطبيقي، ورصد المولّدات وجمع البـــيانات المصـــطلحية والمعجمـــية ومعالجتها وخزنها وتحليلها وتـــبادلها ونشرها، وتطوير التدريب المصطلحي، والمساعدة على اعـــتماد سياســـة تخطيط مصطلحي في إطار الخطط الثقافية التي أقـــرتها الهيـــئات المختصـــة، إضافة إلى إقامة علاقات خارجية، والمشاركة في المشروعات المصطلحية الدولية.

١٦- دعـــوة مجامع اللغة العربية إلى متابعة جهودها في تحقيق التراث ونشره، للكشف عن كنوز حضارتنا العربية الإسلامية التي رفدت الحضارة البشرية بالعلم والمعرفة، ودعوة المجامع اللغوية الجديدة إلى انتهاج النهج نفسه، وإقامة أشكال مختلفة من التنسيق والتعاون بين المجامع في هذا المجال.

١٧- تشـــجيع مراكز الترجمة والتعريب، بيوت الحكمة المعاصرة، على أداء مهامهـــا علـــى الوجـــه الأكمل، وذلك بالعناية باختيار الكتب المراد ترجمتها واختيار المترجمين والمراجعين الأكفياء في شتى فـــروع المعـــرفة، والاســـتعانة بقواعـــد المعطيات الاصطلاحية والتجهـــيزات الحاســـوبية، وربطهـــا بشبكة اتصالات تساعد على تواصـــل الأفـــراد والجمعيات والهيئات، مع التشجيع على إنشاء جمعـــيات للمترجميـــن، تساعد على حماية حقوقهم وجمع شملهم خدمة للثقافة العربية وتحقيق التواصل مع الثقافات الأخرى.

١٨- ينوّه المؤتمر بالجهود التي بذلتها المجامع اللغوية والعلمية العربية فـــي مجالات حماية اللغة العربية ووضع المصطلحات وتوحيدها، وفي تحقيق التراث العربي ونشره.

مجمعيون في ذمة الله

فقد المجمع خلال هذا العام (٢٠٠٣م) الأستاذ الدكتور إحسان عباس، الذي انتقل إلى جوار ربه يوم ٢٩ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ الموافق ٢٩ تموز ٢٠٠٣م.

ولد إحسان رشيد عباس في قرية عين غزال بمنطقة يافا في فلسطين في اليوم الثاني من كانون الأول ١٩٢٠، وبدأ دراسته الابتدائية في مدرسة القرية وأتم دراسته الثانوية في مدرستي حيفا وعكا ثم في الكلية العربية بالقدس الشريف، وعمل مدرساً في مدرسة صفد الثانوية، ثم سافر إلى مصر بمنحة من إدارة المعارف بفلسطين، والتحق بقسم اللغة العربية بجامعة القاهرة وفيها تخرج سنة ١٩٤٩م، وعمل مدرساً بجامعة الخرطوم، ثم في الجامعة الأميركية في بيروت، واستقر في الثمانينات في عمان إلى أن وافاه الأجل المحتوم.

وشارك الدكتور إحسان عباس في ضروب مختلفة من النشاط الثقافي، وتتجاوز كتبه الستين كتاباً بين مؤلَّف ومحقَّق ومترجم، وتتعدى بحوثه الثمانين بحثاً بين دراسة ومراجعة. ويمتاز نتاجه الأدبي بتنوع في الموضوعات داخل حقل الدراسات العربية والإسلامية.

وقد اكتسب الدكتور إحسان عباس تقدير الجهات العلمية المختلفة ولذلك اختير عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق وفي المجمع العلمي العراقي ومجمع اللغة العربية بمصر والمجمع الهندي العلمي وعضواً مؤازراً في مجمع اللغة العربية الأردني.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه.

كمـــا فقـــد المجمـــع الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي رئيس المجمع العلمي العراقي، عضو الشرف في مجمع اللغة العربية الأردني.

ولـــد الفقـــيد فـــي الموصـــل ســـنة ١٩١٨م، وفـــيها أنهى دراسته الابتدائية والمتوســـطة، ثـــم التحق بدار المعلمين العالية ببغداد ودرس فيها أربع سنوات، حصل في نهايتها على شهادة الليسانس في العلوم الاجتماعية بمرتبة الشرف سنة ١٩٤٣، وبعد سنتين حصل على شهادة الليسانس في التاريخ بمرتبة الشرف من جامعة القاهرة، ثم التحق بجامعة أكسفورد في بريطانيا ودرس فيها أربع سنوات نال في نهايتها شهادة الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٩٤٩م. عمل مدرساً في جامعة بغداد وتولى رئاسة قسم التاريخ فيها عدة سنوات، ثم عين رئيساً للمجمع العلمي العراقي منذ سنة ١٩٧٨م.

أغـــنى الفقـــيد المكتـــبة العربـــية بالعديد من المؤلفات والدراسات التاريخية والجغرافية وفي الإدارة والاقتصاد والحضارة الإسلامية.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه

إنا لله وإنا إليه راجعون.

رسائل الدكتوراه والماجستير

حرصاً من المجمع على التعاون والتنسيق مع المؤسسات العلمية والأكاديمية، وعلى رأسها الجامعة الأردنية، فقد تمت في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع مناقشة الرسائل الآتية المقدمة إلى الجامعة الأردنية:

- رسالة دكتوراه بعنوان "بنية الأفعال العربية في معاجم الأفعال، دراسة صوتية صرفية" مقدمة من الطالبة ريم المعايطة.

وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور جعفر العبابنة (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور نهاد الموسى، والأستاذ الدكتور إسماعيل العمايرة، والأستاذ الدكتور حسن الشاعر وذلك يوم الأحد ٢٠٠٣/٧/٢م.

- رسالة دكتوراه بعنوان "شعر الأطفال في الأردن: ١٩٥٠- ٢٠٠٠" مقدمة من الطالب: رائد علي أبو مريم.

وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمود السمرة (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور سمير قطامي، والأستاذ الدكتور إبراهيم خليل والأستاذ الدكتور محمد المجالي وذلك يوم ٢٠٠٣/٧/٢٤م.

- رسالة دكتوراه بعنوان "محمود درويش ناثراً" مقدمة من الطالبة: تهاني علي.

وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمود السمرة (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي، والأستاذ الدكتور صلاح جرار والأستاذ الدكتور محمد إبراهيم حور وذلك يوم ٢٠٠٣/٨/١٠م.

- رسالة الدكتوراه بعنوان :"التفكير الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي" مقدمة من الطالب: علاء الدين الغرايبة.

وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور جعفر عبابنة (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة والأستاذ الدكتور زكريا أبو حمدة والأستاذ الدكتور سمير شريف استيتية وذلك يوم ٢٠٠٣/٨/١١م.

- رسالة دكتوراه بعنوان:"الظاهر اللغوي في علوم العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة" مقدمة من الطالب: ناصر آل مبارك.

وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور جعفر عبابنة (المشرف) رئيساً وعضوية: الأستاذ الدكتور نهاد الموسى والأستاذ الدكتور محمد حسن عواد والأستاذ الدكتور عبد الحميد السيد. وذلك يوم ٢٠٠٣/٨/١٨م.

- رسالة دكتوراه بعنوان:" الحال بين واقع التنظير وحقيقة الاستعمال" مقدمة من الطالبة: سائدة العيص.

وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور نهاد الموسى والأستاذ الدكتور محمد حسن عواد والأستاذ الدكتور حسن الشاعر وذلك يوم ٢٠٠٣/١١/١٦م.

- رسالة دكتوارة بعنوان:" عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دراسة لسانية" مقدمة من الطالب: صايل رشيد.

تألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور نهاد الموسى (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي والأستاذ الدكتور محمد حسن عواد والأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس وذلك يوم ٢٠٠٣/١١/٢٠م.

- رســـالة دكـتوراة بعـنوان "التـناص فـي الـنقد العربـي القديـم" مقدمة من الطالبة: فاطمة البريكي.

وتألفـت لجـنة المناقشـة من الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور محمود السمرة والأستاذ الدكتور صلاح جرار والأستاذ الدكتور خليل الشيخ وذلك يوم ٢٠٠٣/١٢/٣م.

رسائل الماجستير

- رسـالة ماجسـتير بعـنوان:"رسـم الشخصـية في روايات غالب هلسا" مقدمة من الطالبة: ريم خميس الزير

وتألفـت لجـنة المناقشـة مـن الدكـتور إبراهيم خليل (المشرف) رئيساً، وعضوية: الدكتور سمير قطامي والدكتورة امتنان الصمادي الدكتور نبيل حداد وذلك يوم ٢٠٠٣/٧/٧.

- رسـالة ماجستير بعنوان:" السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة في الأردن" مقدمة من الطالبة: سناء الشعلان

وتألفـت لجـنة المناقشـة مـن الدكتور إبراهيم خليل (المشرف) رئيساً، وعضـوية: الدكـتور إبراهـيم السـعافين والدكـتور سـمير قطامـي والدكتور نبيل حداد وذلك يوم ٢٠٠٣/٨/١٢م.

- رسـالة ماجسـتير بعـنوان:" نمـاذج إنسـانية في السرد العربي القديم" مقدمة من الطالب: سيف محمد المحروقي.

وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي (المشرف) رئيسـا، وعضـوية: الأسـتاذ الدكتور إبراهيم السعافين والدكتور ياسين عايش والدكتور ابتسام الصفار وذلك يوم ٢٠٠٣/٨/١٧م.

- رســـالة ماجســـتير بعـــنوان:" ســـورة المؤمنيـــن دراســـة أســـلوبية" مقدمة من الطالب: معتصم محمد الصمادي.

وتألفـــت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي (المشرف) رئيســـاً، وعضوية: الدكتور عبد الكريم الحياري والدكتور محمد علي أبو حمدة والأستاذ الدكتور عبد القادر الرباعي وذلك يوم ٢٠٠٣/٨/٢١م.

- رســـالة ماجستير بعنوان "صورة الهاشميين في الشعر الأردني المعاصر" مقدمة من الطالب: بشير الحجاحجة.

وتألفـــت لجـــنة المناقشة من الدكتور هاني العمد (المشرف) رئيساً، وعضوية: الدكـــتور ســـمير القطامـــي والدكـــتور إبراهـــيم خليل والدكتور زياد الزعبي وذلك ٢٠٠٣/٨/٣١م.

- رســـالة ماجســـتير بعـــنوان:" المصـــدر بيـــن التنظـــير والاســـتعمال" مقدمة من الطالبة: حنان جبر.

وتألفـــت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة (المشرف) رئيساً، وعضـــوية: الأستاذ الدكتور محمود حسني مغالة والأستاذ الدكتور عبدالله عنبر والأستاذ الدكتور عبد الكريم مجاهد وذلك يوم ٢٠٠٣/١١/١٢.

- رســـالة ماجســـتير بعـــنوان "النظرية التوليدية التحويلية في الفكر اللساني العربي الحديث" مقدمة من الطالبة: بدرة فرحي.

وتألفـــت لجـــنة المناقشـــة من الأستاذ الدكتور نهاد الموسى (المشرف) رئيساً، وعضـــوية: الدكـــتور ولـــيد ســـيف والدكـــتور إبراهيم خليل والأستاذ الدكتور فوزي الشايب وذلك يوم ٢٠٠٣/١٢/٢٤م.

إلى الأخوة الكتّاب :

يرجى مراعاة ما يلي :

١ ــ أن تقتصر البحوث على اللغة العربية ، والتراث العربي الإسلامي : العلمي والأدبي والفني ، وشؤون التعريب ، ومراجعة الكتب المحقّقة وما إليها ، والمناقشات والتعليقات المتعلقة بهذا وأمثاله .

٢ ــ أن يتأكّد الكاتب من سلامة اللغة ، وحسن الترقيم ، والتوثيق قبل إرسال بحثه للنشر .

٣ ــ أن تتّسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الهادئ ، الخالي من الانفعالات الحادّة التي قد تسيء إلى المؤلّف أو الباحث .

٤ ــ أن تكون البحوث المرسلة للنشر في نسختها الأُصلية ، وخاصة بالمجلّة .

رئيس التحرير

ISSN 0258 - 1094

JOURNAL
Of The Jordan Academy Of Arabic

No. 65 Vol XXVII